T.C.
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

# ÖMER BİN MUHAMMED EL-ÜSKÜBÎ VE *FETHU'L-ĞITÂ AN VECHİ'L-AZRÂ* ADLI ESERİ

## -İNCELEME VE TAHKİK-

Yüksek Lisans Tezi

SAMİR ZULLUFİ

İstanbul, 2020

T.C.
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

# ÖMER BİN MUHAMMED EL-ÜSKÜBÎ VE *FETHU'L-ĞİTÂ AN VECHİ'L-AZRÂ* ADLI ESERİ

## -İNCELEME VE TAHKİK-

Yüksek Lisans Tezi

SAMİR ZULLUFİ

Danışman: PROF. DR. BAHATTİN DARTMA

İstanbul, 2020

## GENEL BİLGİLER


Adı ve Soyadı : Samir Zullufi

Anabilim Dalı : Temel İslam Bilimleri

Program : Tefsir

Tez Danışmanı : Prof. Dr. Bahattin Dartma



Tez Türü ve Tarihi : Yüksek Lisans – 2020

Anahtar Kelimeler : El-Üskübî, Fethu'l-Ğitâ, metod, eleştiri, Beyzâvî, hâşiye, tahkik


# ÖZET

## ÖMER BİN MUHAMMED EL-ÜSKÜBÎ VE *FETHU'L-ĞİTÂ AN VECHİ'L-AZRÂ* ADLI ESERİ

## -İNCELEME VE TAHKİK-


Ayasofya vaizi ve şeyhu'ş-şuyûh lakablı Ömer b. Muhammed el-Üskübî, kendi zamanının seçkin Osmanlı alimlerinden biridir. Kökeni Debre şehrine dayanmaktadır, günümüzde Makedonya'nın kuzeyinde kendisine nisbet edilen Üsküp şehrinin yakınında yer almaktadır. Tefsîr, Tasavvuf, Vaaz kitabı ve bunların dışında birçok ilmi zenginlik barındıran eser bırakmıştır. Önemli teliflerinin başında Beyzâvî Tefsîri üzerine yapmış olduğu *Fethu'l-Ğitâ an Vechi'l-Azrâ* isimli haşiye ve taʿlik türünden eseri gelmektedir. Eserinde Tefsîr, Kelâm ve diğer ilimlere dair görüşleri ve kendi bakış açıları yer almaktadır. Aynı zamanda bazı müfessir ve Beyzâvî Tefsîri üzerine hâşiyesi olan muhaşşilerin görüşlerine dair tenkitleri bulunmaktadır.

Bu çalışma giriş, iki bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır. Hayatı, ilmi eserleri ve zikredilen eser üzerinde durulmaktadır. Rivayet ve dirayet tefsîri açısından yöntemi incelemekte olup, aynı zamanda bazı âlimlere yönelik ilmi tenkitleri kapsamaktadır. Yapılan eleştiriler, ele alınan konunun muhtevasındaki ilimlere göre düzenlenmiştir. Aynı zamanda eserin tahkîki yer almaktadır.

## GENERAL INFORMATION


Name and Surname : Samir Zullufi

Department : Basic Islamic Sciences

Programme : Qur'anic Exegesis (Tafsīr)

Supervisor : Prof. Dr. Bahattin Dartma



Type and Date of Thesis : MA – 2020

Keywords : Al Uskūbī, *Fatḫu Al Ghiṭā'*, methodology, criticism
Al Bayḍāwī, gloss, edition


## ABSTRACT

### 'UMAR IBN MUḤAMMAD AL USKŪBĪ AND HIS WORK ENTITLED *FATḪU AL GHIṬĀ' 'AN WAJHI AL ADHRĀ'*

### -STUDY AND CRITICAL EDITION-


'Umar Ibn Muḥammad Al Uskūbī, who was called the preacher of Haghia Sophia, and the master of scholars, is one of the prominent Ottoman scholars of his time whose origin traces back to the city of Dibra, located in present-day North Macedonia, and close to the city of Skopje to which he is attributed. He left a scientific wealth represented in several books on exegesis, Sufism, sermon, and others. Among his most important works is his book entitled *Fatḫu Al Ghiṭā 'an Wajhi Al Adhrā'*, which is classified as a supercommentary (ḥāshiyah) and annotation (ta'līq) on Tafsīr of Al Bayḍāwī. This work includes his viewpoints on exegesis, theology and other sciences, and his criticism of some commentators and some annotators' opinions on Al Bayḍāwī's tafsīr.

This study, which consists of the introduction, two chapters, and the conclusion, revolves around his life, scientific works, and his aforementioned book. Thus, it is a study of his methodology in terms of traditional and rational interpretation of the Qur'an and his criticism of some scholars, which is arranged according to the sciences that deal with these issues; followed by the critical edition of his mentioned work.

## معلومات عامة


**الاسم واللّقب** : سامر زولوفي

**القسم** : العلوم الإسلامية الأساسية

**التخصّص** : التّفسير

**المشرف** : الأستاذ الدكتور بهاء الدّين دارتما



**نوع الرسالة وتاريخها** : ماجستير – 2020

**الكلمات المفتاحية** : الأسكوبي، فتح الغطاء، منهج، نقد علمي، البيضاوي، حاشية، تحقيق


## المستخلص

### عمر بن محمّد الأسكوبي وكتابه "فتح الغطاء عن وجه العذراء"

### – دراسة وتحقيق –


عمر بن محمّد الأسكوبي، الملقَّب بواعظ أياصوفيا، وشيخِ الشيوخ، أحد العلماء العثمانيين البارزين في عصره، ترجع أصوله إلى مدينة ديبرا الواقعة في مقدونيا الشمالية حاليا، والقريبة من مدينة سكوبيا التي يُنسب إليها. ترك ثروة علمية تتمثّل في عدّة كتب في علم التّفسير، والتصوّف، والموعظة، وغيرها. ومن أهمّ مؤلَّفاته - والمصنَّف كحاشية وتعليق على تفسير البيضاوي- كتابه المسمّى "فتح الغطاء عن وجه العذراء"، المشتمِل على آرائه ووجهات نظره في التّفسير وعلم الكلام وغيرهما، ونقده العلمي لبعض آراء المفسّرين والمحشّين على تفسير البيضاوي.

فهذا البحث المتضمِّن لمدخل وفصلين وخاتمة، يدور حول حياته وآثاره العلمية وكتابِه المذكور، فهو دراسةٌ لمنهجه فيه من حيث التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرأي، ونقده العلمي لبعض العلماء مرتَّبا حسب العلوم المتناوِلة لتلك المسائل؛ بالإضافة إلى تحقيق الكتاب.

## المقدّمة

الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات، والصّلاة والسّلام على خير البريّة وصاحب البركات، نبيّنا محمّد الّذي أُنزل إليه القرآن ليبلّغه ويبيّنه للنّاس، فمن وعاه ورعاه حاز أعلى الدرجات، أما بعد:

فقد تمّ بفضل الله ومنّه هذا العمل الّذي هو جهد مقلّ، رغبة مني أن يكون مسجّلا في دفتر الصّالحات، وأن يكون حجّة لي لا عليّ يوم تُكشف المكنونات.

وقد كنت صادفت خلال بحثي في المخطوطات والآثار العلميّة القديمة اسم الأسكوبي وكتابه المسمّى فتح الغطاء عن وجه العذراء، وبعدما تعمّقت قليلا فيه وفي شخصيّة المؤلّف، وجدت أنّه أثر قيّم يستحقّ الدّراسة والتّحقيق، وخصوصا كون كاتبه – الملقّب بشيخ الشّيوخ وواعظ آيا صوفيا - شبه مجهول رغم أنّه من أهمّ الشّخصيات العلميّة في الدّولة العثمانية في عصره. فأقدمت على هذا العمل بغرض التعريف بهذا العالِم وشخصيته العلمية، من حيث تغطية جوانب من سيرة حياته، وآثاره العلمية، والفترة التي عاش فيها؛ ويقع هذا كلّه في الفصل الأوّل من الرسالة. أمّا الفصل الثّاني فهو دراسة وتحليل لمنهجه في التّفسير من حيث أهمّ مباحث هذا العلم، متمثّلة بنوعي التّفسير (بالمأثور وبالرأي). ثم تطرّقت إلى ما يزيد هذاّ الكتاب قيمة علميّة، ألا وهو نقده العلمي لعلماء بارزين في المسائل التّفسيرية والكلامية وغيرها. كما قمت بتحقيق الكتاب، وكان من أشقّ الأعمال عليّ؛ يرجع ذلك إلى عدم وجود نسخ كاملة غير نسخة واحدة، بالإضافة إلى صعوبة أسلوب المؤلِّف.

والإنسان مهما اجتهد يبقى محدود القدرة والخبرة، فيحتاج إلى من يقف معه ويساعده ويوجّهه، ومن لا يشكر النّاس لا يشكر الله. فعملا بهذه الحكمة النّبويّة أشكر كلّا من: الأستاذ الدكتور بهاء الدين دارتما – مشرفي على هذه الرّسالة - الّذي لولا تدقيقه لما خرجت هذه الدّراسة بهذا الشّكل، الأستاذ الدّكتور عمر تشليك - الذي تعلّمت منه الآداب الراقية قبل علمه الغزير-، والأستاذ الدّكتور كريم بلادي؛ لما قدّموا من الجهد في مناقشة الرّسالة وتوجيهاتهم القيّمة. كما أشكر زملائي الأفاضل؛ الأستاذ عبد الغني لكيرد الجزائري، والأستاذ يوسف الزرعي، والأستاذ عصام عطار لما قدّموه من المساعدة في نسخ المخطوط، وكل من كان سندا لي بأيّ شكل من الأشكال لإتمام هذه الرسالة بالنجاح.

وأستغلّ هذه الأسطر لأوجّه شكرا خاصّا للأستاذ الدّكتور عدنان إسماعيلي الذي لم يبخل عليّ بشيء إلا قدّمه في سبيل تحقيق ما أتيت لأجله، فكان خير معين بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وبهذا الصدد أقدّم شكري وامتناني للدّولة التّركية متمثّلة برئاسة شؤون أتراك المهجر والمجتمعات ذوي القربى (YTB) على ما قدّمت لنا من الخدمات والتّسهيلات، لنتمكّن من الدّراسة في إحدى أحسن جامعاتها؛ كما أشكر جميع المنسوبين لجامعة مرمرة العريقة، وبشكل خاصّ أساتذة كليّة الإلهيات.

ونهاية أهدي هذا العمل إلى:

- الوالدين الذين طالما صبرا على الفراق كل هذه الأعوام، وكان دعاؤهما خير مطمْئِن لي.
- شيخي الفاضل سعد أيرولي – رحمه الله – الّذي غادر هذه الدنيا وأنا في فترة الدّراسة، وقد كان من أقرب النّاس إليّ.
- زوجتي الّتي طالما صبرت عليّ وظلّت معي في مواجهة كلّ الصّعوبات الّتي مررت بها خلال هذه السّنوات.

سامر زولوفي

إسطنبول – 2020

## المحتويات

## عمر بن محمّد الأسكوبي وكتابه "فتح الغطاء عن وجه العذراء"

## – دراسة وتحقيق –


**ÖZET**.....**i**

**ABSTRACT**.....**ii**

**المستخلص**.....**iii**

**المقدّمة**.....**iv**

**المحتويات**.....**vi**

**الرّموز والإشارات**.....**xi**

**المدخل**.....**1**

1. موضوع البحث، أهدافه ومنهج الدراسة.....1

2. الدّراسات السّابقة والمصادر.....3


### الفصل الأوّل

### الأسكوبي – سيرة حياته ومؤلَّفاته


**1. عمر بن محمّد الأسكوبي سيرة حياته**.....**6**

1.1. اسمه ولقبه ونسبته ومكان ميلاده وتاريخ ولادته.....6

2.1. حياته العلميّة، شخصيّته ووظائفه.....7

3.1. شيوخه وتلاميذه.....9

4.1. من تأثّر به ومن أثّر فيه.....11

5.1. مذهبه.....12

1.5.1. مذهبه العقدي.....12

2.5.1. مذهبه الفقهي.....13
6.1. انتسابه إلى الطريقة وشخصيته الصوفية.....13
7.1. وفاته.....14
**2. البيئة التي عاش فيها.....15**
1.2. البيئة السّياسية.....15
2.2. البيئة العلميّة.....17
3.2. الحالة الاقتصادية.....18
**3. مؤلّفاته.....19**
1.3. مؤلّفاته في التّفسير.....19
1.1.3. فتح الغطاء عن وجه العذراء .....19
1.1.1.3. تاريخ التّأليف وسببه.....19
2.1.1.3. محتواه .....20
3.1.1.3. طريقة المؤلِّف في التأليف وأسلوبه .....21
4.1.1.3. مصادره.....22
5.1.1.3. نسخه .....26
1.5.1.1.3. منهج الباحث في تحقيق الكتاب.....27
2.1.3. بيان أقوال تفسير القاضي في آيات الموازين.....29
3.1.3. تعليق على تفسير "فلا يكن في صدرك حرج".....30
4.1.3. رسالة متعلقة بآيات الموازين.....30
2.3. مؤلّفاته في التّصوّف.....31
1.2.3. الحجّة النّيّرة في بيان الطّريقة المنيرة.....31
2.2.3. صمصام الخصام.....31
3.2.3. آداب الطّريقة.....31
3.3. مؤلّفاته في الموعظة.....32
1.3.3. بدر البدور في فضائل الشّهور.....32
4.3. مؤلّفاته الأخرى.....32
1.4.3. كيافتنامة (Kıyafetname) .....32

2.4.3. مناقب (Menâkıb) ..... 32
**4. ترجمة المفسّرين الذين نقدهم الأسكوبي أو اعتمد عليهم ..... 33**
1.4. الزّمخشري..... 33
2.4. الرّازي ..... 33
3.4. البيضاوي ..... 34
1.3.4. حياته ومؤلّفاته..... 34
2.3.4. كتابه المسمّى أنوار التّنزيل..... 36
4.4. المحشّي ابن التّمجيد..... 38
5.4. المحشّي سعدي جلبي..... 38
6.4. المحشّي شيخ زاده..... 39
7.4. أبو السّعود..... 39

## الفصل الثاني

## كتاب فتح الغطاء عن وجه العذراء – خصائصه من ناحية التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرأي ونقد الأسكوبي العلمي

**1. خصائصه من ناحية التّفسير بالمأثور..... 41**
1.1. تفسير القرآن بالقرآن..... 42
2.1. تفسير القرآن بالسّنة..... 44
3.1. تفسير القرآن بأقوال الصّحابة والتّابعين..... 47
1.3.1. أقوال الصّحابة..... 47
2.3.1. أقوال التّابعين..... 48
4.1. أسباب النّزول..... 50
5.1. القراءات..... 51
**2. خصائصه من ناحية التّفسير بالرّأي..... 53**
1.2. الفقه وأصوله..... 53
1.1.2. الفقه..... 53
2.1.2. أصول الفقه..... 55

2.2. علم الكلام.....56
1.2.2. إيراده المسائل الكلامية وتوجيهها.....56
2.2.2. تتبّعه المسائل الاعتزالية والتّنبيه عليها.....58
3.2.2. إيراده المسائل الكلامية دون توسّع.....59
3.2. اللّغة .....60
1.3.2. اعتماده على المعجم.....60
2.3.2. ذكره الاختلافات النّحوية .....61
3.3.2. تنوّع التفسير بناء على اختلاف النحاة.....61
4.3.2. توظيف معاني حروف العطف .....62
5.3.2. الوصل والفصل .....62
6.3.2. ذكره مسائل صرفيّة .....63
4.2. البلاغة.....63
1.4.2. علم البيان.....63
2.4.2. علم المعاني.....65
5.2. التّفسير الإشاري.....66
**3. نقد الأسكوبي العلمي.....67**
1.3. نقده في المسائل اللّغوية.....68
1.1.3. نقده للمفسّرين.....68
1.1.1.3. الرّازي.....68
2.1.1.3. البيضاوي.....69
3.1.1.3. أبو السّعود.....71
2.1.3. نقده للمحشّين.....72
1.2.1.3. المحشّي ابن التّمجيد.....72
2.2.1.3. المحشّي سعدي جلبي.....73
3.2.1.3. المحشّي شيخ زاده.....74
2.3. نقده في المسائل التّفسيرية.....76
1.2.3. نقده للمفسّرين .....76
1.1.2.3. البيضاوي.....76

2.1.2.3. أبو السّعود .....77
2.2.3. نقده للمحشّين.....78
1.2.2.3. المحشّي ابن التّمجيد.....78
2.2.2.3. المحشّي سعدي جلبي.....79
3.2.2.3. المحشّي شيخ زاده.....80
3.3. نقده في مسائل علم الكلام.....81
1.3.3. نقده للمفسّرين.....81
1.1.3.3. الزّمخشري.....81
2.1.3.3. الرّازي.....82
3.1.3.3. البيضاوي.....84
4.1.3.3. أبو السّعود.....84
2.3.3. نقده للمحشّين.....86
1.2.3.3. المحشّي ابن التّمجيد.....86
2.2.3.3. سعدي جلبي.....86
3.2.3.3. شيخ زاده.....87
نماذج من المخطوطات.....89
**نص الكتاب** المحقّق (فتح الغطاء عن وجه العذراء).....95
**الخاتمة**.....**227**
**قائمة المصادر والمراجع**.....**229**

## الرّموز والإشارات

| | |
|---|---|
| أ | : نسخة إسطنبول |
| ت | : توفّي |
| ج | : جمع |
| الخ. | : إلى آخره |
| س | : نسخة المكتبة السليمانية |
| س. | : سنة |
| ق. هـ | : قبل الهجرة |
| م | : نسخة دار الكتب المصرية |
| م | : الميلادي (إذا كانت بعد الأرقام) |
| منه | : من المؤلّف |
| منهوات | : من المؤلّف |
| هـ | : الهجري |

| | |
|---|---|
| hzl. | : Hazırlayan |
| İSAM | : İslam Araştırmaları Merkezi |
| TDV | : Türkiye Diyanet Vakfı |
| yay. | : Yayınevi |
| TTK | : Türk Tarih Kurumu |

# المدخل

## 1. موضوع البحث، أهدافه ومنهج الدّراسة

شهد التّاريخ الإسلامي اهتمام العلماء المسلمين بتقييد العلم والتّأليف، ونالت بعض المؤلَّفات اهتماما بالغا حيث كثرت الكتابات حولها، سواء أكانت في خدمة تلك الكتب بالشّرح والبيان لما فيها من مجمل وما يحتاج إلى توضيح، أو بالتّعليق والنّقد العلمي عليها. ومن تلك المصنّفات التي تركّز حولها اهتمام العلماء وطلبة العلم بالدّراسة والتّحشية عليه؛ تفسير البيضاوي المسمّى بأنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، وخصوصا في الدّولة العثمانية حيث دُرّس في المدارس وكتبت عشرات الحواشي والتّعليقات حوله.

ومن بين العلماء الذين ألّفوا حول تفسير البيضاوي على شكل حاشية؛ عمر بن محمّد الدَّبْرَوِي ثم الأسكوبي ثم القسطنطيني، أحد أبرز المفسّرين العثمانيين في عصره، والواعظ في جامع آيا صوفيا. خلّف عمر الأسكوبي عدّة مؤلّفات في علوم متنوّعة، دُرس بعضُها والبعض الآخر لا يزال مخطوطا في المكتبات، منها كتابه في علم التّفسير المسمّى فتح الغطاء عن وجه العذراء، كحاشية جزئية على تفسير البيضاوي. فبعدما صادفت اسم هذا العالِم ونسبته إلى بلاد أنتمي إليها؛ وجدت أنّه شخصية علميّة بارزة في عصره، وكتابه هذا ليس مجرّد شرح من عشرات الشّروح لتفسير البيضاوي، وإنما كتاب اشتمل على فوائد غزيرة، ونقد علمي وتحقيق في مسائل علمية متنوّعة من خلال تعليقاته التي تطرّقت إلى كتب كثيرة، وعدد كبير من المفسّرين والمحشّين، ممّا جعلني أختار شخصيّته وكتابه هذا للدّراسة؛ محاولا إبرازه وتعريفه -مع العلم أنّه شخصية شبه مجهولة في البلاد التي يُنسب إليها- وإحياء علمه وكتابه هذا؛ ليستفاد من التّراث الإسلامي عامّة، وفي علم التّفسير خاصّة.

فموضوع هذا البحث يتمثّل في دراسة حياته وآثاره العلمية وكتابه فتح الغطاء، من حيث منهجه في التّفسير مبرزا خصائصه من ناحية التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرّأي، ثمّ التّركيز في نقده العلمي وتعليقاته على بعض المفسّرين الذين تطرّق إليهم في الكتاب.

ويهدف هذا البحث- كما أشرت سابقا- إلى تعريف هذا العالِم وأعماله وكتابه المذكور إلى العالم عامّة، والبلاد التي ينتسب إليها خاصّة؛ وإلى بيان منهج المؤلّف في التّفسير ونقده العلمي، وتقديم المادّة العلمية الموجودة في هذا الكتاب مدروسة ومنقّحة إلى طلبة العلم والباحثين ليُستفاد منها، وأخيرا وليس آخرا إلى إحياء شيء من التّراث الإسلامي وخدمته.

يتكوّن هذا البحث من مدخل، وفصلين وخاتمة، ويليها متن كتاب فتح الغطاء محقّقا. ففي الفصل الأوّل حاولت إبراز شيء من سيرة حياته وآثاره العلمية، والتي أغلبها كتابات في التّفسير والتصوّف والموعظة، مركّزا على كتابه المذكور في التفسير. كما درست بشيء من الإيجاز البيئة التي عاش فيها من حيث الأحوال السّياسية والاقتصادية والعلمية. واعتمدت في هذا الفصل المنهج التّاريخي والوصفي، وذلك بالرّجوع -قدر الإمكان- إلى المصادر القديمة التي تسلّط الضّوء على حياة هذا العالم وجهوده العلمية، ووصف كتبه التي تم الوصول إليها بتقديم البيانات الأساسية حولها ومضمونها.

أمّا الفصل الثّاني فهو محاولة لدراسة منهجه في التّفسير من خلال كتابه المذكور آنفا، وحاولت الإتيان بأمثلة تبيّن كيفية ومدى استعماله التّفسير بالمأثور الذي يندرج تحته تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسّنة، وتفسير القرآن بأقوال الصّحابة إلى آخره؛ ولمنهجه في التفسير بالرّأي، وتمّ ذلك حول علم الفقه وأصوله، وعلم الكلام، علم اللغة والبلاغة؛ محاولا بيان كيفية تطرّقه لمسائل تلك العلوم واستعمالها وتوظيفها في خدمة التّفسير، من خلال الإتيان بنماذج تطبيقية عليها. يليه قسم تناوَل نقده العلمي مقتصرا على أبرز من نقدهم من المفسّرين أمثال الرّازي والبيضاوي وأبي السّعود، والمحشّين على تفسير البيضاوي؛ أمثال سعدي جلبي وشيخ زاده وغيرهما. كما عملت على الإتيان بأمثلة تبيّن هذا الجانب من كتابه، وقسّمت تلك الأمثلة حسب العلوم المتناولة، واقتصرت على اللّغة والتّفسير وعلم الكلام نظرا لكثرة ورودها مقارنة ببقية العلوم. واستعملت في هذا الفصل المنهج التّحليلي والمنهج الاستقرائي.

يلي الفصل الثاني متن الكتاب محقّقا حسب قواعد التّحقيق، وسيأتي الحديث حول منهجي فيه، وبعده الخاتمة التي تحتوي على نتائج البحث وخلاصته.

## 2. الدّراسات السّابقة والمصادر

بعد البحث في المكتبات والمواقع التي تعتني بالبحوث العلمية لم أعثر إلا على دراسة علمية واحدة حول المؤلِّف وآثاره العلمية، وهي عبارة عن رسالة علمية لنيل درجة الدّكتوراه للباحث فرزنده إديز (Ferzende İdiz) بعنوان "عمر الأسكوبي وكتبه الثّلاثة في التصوّف" ( Ömer Fani Efendi ve Tasavvufa Dair Üç Eseri). وهو بحث قيّم قام الباحث بدراسة حياته وشخصيّته العلمية وركّز على الجانب الذي يتعلّق بالتصوّف، حيث درس كتبه الثّلاثة فيه. وقد استفدت من هذه الرّسالة بمعرفة المصادر التي تتحدّث عن الأسكوبي ومن ثم الرجوع إليها. وقد ذكر الباحث كتابه فتح الغطاء لكنه لم يعثر عليه.

وقد نُشر بحث مؤخّرا بعنوان "العلماء ذوي الأصول الألبانية ومؤلّفاتهم في علوم القرآن والتّفسير في العهد العثماني" ( Osmanlı Döneminde Arnavut Asıllı Müelliflerin Kur'an İlimleri ve Tefsir Alanındaki Çalışmaları) للباحث ألفرد بيكو (Alfred Piku) ذكر الباحث فيه ترجمة للمؤلّف وتطرّق إلى أهمّ مواقف حياته، وقام بتعريف كتبه وكتاب فتح الغطاء بشيء من التّفصيل.

هذا ما توصّلت إليه من الدّراسات الحديثة حول المؤلِّف، ولم أعثر على أيّ دراسة حول كتابه فتح الغطاء. فخلال عملي في الفصل الأوّل تمّ الرّجوع إلى عدّة مصادر ومراجع في البحث عن حياة المؤلّف. فبحثت في مؤلّفاته المتوفّرة لدي، واستفدت منها بعض المعلومات المتعلّقة بألقابه وكنيته، وبعض مشايخه وتلاميذه، وكذلك ما يتعلق بتاريخ تأليف بعض كتبه. فيمكن أن أخصّ بالذّكر كتابه "الحجّة النّيرة" و"فتح الغطاء".[1] ولكن لمّا لم تستوف هذه المعلومات حياته الشّخصية والمهنية؛ رجعت إلى بعض المؤلّفات لبعض معاصريه بالدرجة الأولى. وأهمها:

- "حدائق الحقائق في تكملة الشّقائق" *(Hadâikü'l-Hakâik fi Tekmileti'ş-Şakâik)* لعطاء الله أو كما يعرف عطائي (Nev'îzâde Atâî) المتوفى سنة 1046هـ/1636-37. وهو تكملة لكتاب الشّقائق لطشكوبرو زاده، ويتناول فيه المؤلِّف تراجم وحياة العلماء العثمانيين. أكثر ما

[1] الأسكوبي، عمر بن محمد، الحجّة النّيّرة في بيان الطريقة المنيرة، مخطوط، جامعة إسطنبول، (رقم 3808)، ورقة 52 أ.

استفدت منه في البحث عن حياة المؤلِّف؛ هو هذا الكتاب، حيث كتب عن الشّيخ عمر الأسكوبي في صفحة ونصف تقريبا تحت عنوان مستقل.[1] وتناول معلومات كثيرة حوله.

❖ "لمظات الخلوية" *(Lemezât-ı Hulviyye ez Lemeât-ı Ulviyye)* لمحمود جمال الدّين الخلوي (المتوفى سنة 1054هـ/1654م). تناول المؤلّف في هذا الكتاب الأسكوبي تحت عنوان مستقل. وأورد فيه مكانته العلمية وانتسابه للطّريقة الخلوتية، كما تناول شيئا من شخصيّته.[2]

❖ تاريخ بتشوي *(Peçevi Tarihi)* لبتشوي إبراهيم أفندي (المتوفّى سنة 1062هـ/1651م). هو كذلك أفرد كلاما عن عمر الأسكوبي وذكر اطّلاعه الكثير على كتب التّفسير وأنّه شارك في معركة أسترغون.[3]

ورجعت بعدها إلى مراجع أخرى مثل:

❖ "سجل عثماني" *(Sicill-i Osmanî)* لمحمّد سريا (المتوفى سنة 1909م). هو كذلك ذكر أهمّ المعلومات عن الأسكوبي وأنّ ابنه إبراهيم أخلفه في تكيّته وذكره بلقب "رئيس المحدّثين".[4]

❖ "هديّة العارفين" لإسماعيل بن محمّد البغدادي (المتوفى سنة 1920م). ذكر البغدادي ترجمة الأسكوبي وزاد معلومة مهمّة وهي اسم أبيه الذي هو محمّد. كذلك ذكر بعض مؤلّفاته.[5]

❖ "عثمانلي مؤلّفلري" *(Osmanlı Müellifleri)* لبورسالي محمّد طاهر أفندي (المتوفّى سنة 1925م). بورسالي ذكر ترجمة عمر الأسكوبي كذلك، وخالف البقية في تاريخ وفاة

---

[1] ينظر:

Atâî, Nev'izâde, *Hadâikü'l-Hakâik fî Tekmileti'ş-Şakâik*, 1. Basım, İstanbul: Türkiye Yazma Eserler Kurumu Başkanlığı yay., 2017, II/1855.

[2] ينظر:

Hulvîzâde, Mahmud Cemâleddin, *Lemezât-ı Hulviyye ez Lemeât-ı Ulviyye*, hzl. Mehmet Sarhan Tayşi, İstanbul: Marmara Üniversitesi İlahiyat Vakfı Yay., 1993, 604.

[3] ينظر:

Peçevi, İbrahim Efendi, *Peçevi Tarihi*, hzl. Bekir Sıtkı Baykal, 1. Basım, Ankara: Kültür ve Turizm Bakanlığı Yay., II/335.

[4] ينظر:

Süreya, Mehmed, *Sicill-i Osmanî*, hzl. Nuri Akbayar, İstanbul: Tarih Vakfı Yurt yay., IV/1315.

[5] ينظر: البغدادي، إسماعيل بن محمّد، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، الطّبعة الأولى، إسطنبول: مؤسسة التّاريخ العربي، 1951م، 797/1.

الأسكوبي حيث حدّد تاريخ وفاته بسنة 1032هـ/1623م. كما ذكر كتابا للأسكوبي اسمه كيافتنامة،[1] و لم أعثر عليه ولا على أي معلومة عنه في غير كتاب بورسالي.

وفيما يتعلّق ببقيّة الأعلام – سواء أكانوا جزءا من البحث أو في قسم التّحقيق – تَمّ الرّجوع إلى عديد من كتب الأعلام والتراجم، منها:

- ❖ الطّبقات الكبرى لابن سعد البغدادي (ت. 785م)
- ❖ التّاريخ الكبير للبخاري (ت. 870م)
- ❖ سير أعلام النّبلاء للذّهبي (ت. 1347م)
- ❖ طبقات الشّافعية الكبرى (ت. 1370م)
- ❖ طبقات المفّسرين للدّاوودي (ت. 1538م)
- ❖ الشّقائق النّعمانية لطاشكوبري زاده (ت. 1561م)
- ❖ كشف الظّنون لحاجي خليفة (ت. 1657م)
- ❖ الأعلام للزّركلي (ت. 1976م)، وغيرها.

أمّا فيما يتعلّق بالفصل الثّاني الذي جُلّ العمل فيه تحليلي، فيتركّز العمل حول كتاب فتح الغطاء نفسه، ويتمّ الرّجوع إلى الكتب التي ينقل المؤلِّف عنها، بغرض التّأكّد من الأقوال المنقولة أو من أجل فهم المسألة المطروحة على وجه أكمل. ويمكن أن يُخَصّ بالذّكر هنا تفسير الزّمخشري وتفسير الرّازي وتفسير البيضاوي وتفسير أبي السّعود. كما استفدت من بحوث متشابهة من حيث المنهج، منها بحث أستاذي د/ بهاء الدّين دارتما (Bahattin Dartma) بعنوان: شهاب الدّين السواسي أحد أوائل المفسّرين العثمانيين وتفسيره (İlk Osmanlı Müfessirlerinden Şihabuddin es-Sivasi ve Kur'an Yorumu).

كما استفدت من دليل تحقيق المخطوطات لمركز البحوث الإسلامية (İSAM Tahkik Kılavuzu) في قسم تحقيق الكتاب.

---

[1] Bursalı, Mehmet Tahir Efendi, *Osmanlı Müellifleri*, hzl. A. Fikri Yavuz, İsmail Özen İstanbul: Meral Yay., İstanbul: 1972, I/173.

# الفصل الأوّل

## الأسكوبي – سيرة حياته ومؤلَّفاته

### 1. عمر بن محمّد الأسكوبي سيرة حياته

#### 1.1. اسمه ولقبه ونسبته ومكان ميلاده وتاريخ ولادته

هو الواعظ الشّيخ عمر بن محمّد، الأسكوبي، الدبروي، ثمّ القسطنطيني.[1] لم أجد اسم أبيه في المصادر التّابعة لمعاصريه، وذكره البغدادي في كتابه "هدية العارفين".[2] لُقّب بألقاب كثيرة، منها: "تفسيريّ"،[3] و"رئيس المفسّرين"،[4] و"سلطان المفسّرين"،[5] "وشيخ الشّيوخ"،[6] و"تاج المحدّثين"،[7] و"عمدة المذكّرين".[8] وذكره محمّد سريا في "سجل العثماني" ك"رئيس المحدّثين وتاج المفسّرين".[9]

يغلب الظّنّ على أنّه ولد في مدينة (ديبرا)[10] بكسر الدّال –وهو الأصل–؛[11] فلذا انتسب إليها. أمّا "الأسكوبي" فانتسابا إلى مدينة سكوبيا؛ بحكم أنّها كانت أكبر المدن وأشهرها، حيث كانت مركز ولاية كوسوفا في الدّولة العثمانية. وأكثر ما نجده في التّراجم والسّجلات هو باسم "عمر أفندي"،[12]

---

[1] البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

[2] ينظر: البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

[3] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye* 604.

[4] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[5] Peçevi, *Peçevi Tarihi*, II/335.

[6] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء عن وجه العذراء، نسخة جامعة إسطنبول، (A2134 616) ورقة 56 ب؛
Hulvîzâde،*Lemezât-ı Hulviyye,* 604.

[7] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[8] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[9] Mehmed Süreya, *Sicill-i Osmanî*, hzl. Nuri Akbayar, İstanbul: Tarih Vakfı Yurt yay., IV/1315.

[10] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855; Süreya, *Sicill-i Osmanî*, IV/1315.

[11] باللغة الألبانية: (Dibra)، ويقال باللغة التركية (Debre) أما بالمقدونية: (Debra). وهي مدينة في غرب دولة مقدونيا الشمالية اليوم، وتبعد عن أسكوبيا حوالي 130 كيلومتر.

[12] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855

أو "دراغمن شيخي"،[1] أو "الواعظ الأسكوبي"؛[2] لتولّيه مهام الوعظ -كما سيأتي-، أو "عمر الفاني" كما يسمّي نفسه[3]، أو "عمر الأسكوبي"[4] فقط.

يبقى احتمال أن يلتبس اسمه بشخصية علمية أخرى اسمه مثل اسمه (عمر بن محمّد) الملقّب "أستاذ السّلطان" الذي كان مفسّرا وواعظا في آيا صوفيا أيضا،[5] لوجود هذه المزايا المشتركة. وسنستعمل اسم (عمر الأسكوبي) في بحثنا هذا أو نقتصر على (الأسكوبي)؛ لتمييزه عن بقية العلماء الذين يُطلق عليهم (عمر أفندي)، وعددهم كثير، وكذا لوروده بهذا الشّكل في كتابه فتح الغطاء.

أمّا بالنّسبة لتاريخ ولادته فلم يقيّده معاصروه، و هو في القرن التّاسع الهجري الموافق للسّادس عشر الميلادي بناء على تاريخ وفاته، وسيأتي.

### 2.1. حياته العلميّة، شخصيّته ووظائفه

من المحتمل أن الشّيخ عمر الأسكوبي بدأ تحصيله العلمي في مدينة ولادته (ديبرا) ومدينة سكوبيا التي كانت المركز السّياسي والثّقافي لولاية كوسوفا في عصره. وذكر عطاء الله في كتابه أنّه بعدما حصل على مبادئ العلوم واصل طريقة طلب العلم في مجالس العلماء، ليدخل بعد ذلك حلقات العلم للشّيخ خوجازاده محمّد أفندي في حلقات العلم للسّليمانية سنة 999هـ/1591م.[6] ليرجع إلى سكوبيا بعد عدّة سنين حيث تولّى وظيفة "قسّام عسكري".[7] ثم عاد إلى إسطنبول مرّة أخرى ليلازم الشّيخ عبد المؤمن أفندي الذي كان خليفة نورالدّين زاده في تكية ترجمان. وبعد حصوله على المراتب المطلوبة في العلم والزّهد أخلف شيخه عبد المؤمن في تلك التّكية سنة 1004هـ/1595م.[8]

---

[1] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604

[2] البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

[3] ينظر: عمر الأسكوبي، الحجة النيرة في بيان الطريقة المنيرة، مخطوط، جامعة إسطنبول،(3808) ورقة 52 أ.

[4] المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل بيت، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن مخطوطات التفسير وعلومه، عمان: المجمع الملكي، 1989م، 676/1.

[5] ينظر: Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1788.

[6] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[7] "قسام عسكري" هي وظيفة من يقوم بتقسيم ميراث المنسوبين إلى العسكرية. ينظر: *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul: TDV, 2001, 24/579-582.

[8] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

نال الشّيخ عمر الأسكوبي درجة عالية في الزّهد والعلم، وخاصّة في علم التّفسير والحديث. يدلّ على ذلك ما قيّده خلوزاده وعطاء الله وغيرهما ممّن عاصروه في كتبهم، فيقول عنه خلوزاده وبتشوي (Peçevi) أنّه لم يكن ينظر إلى كتاب ولا يتقيّد بورقة خلال دروسه في التّفسير، بل يلقي من حفظه وعلمه.[1] وذكر الأسكوبي نفسُه في كتابه "الحجّة النيرة" أنه أخذ إجازة علمية في الحديث عن الشّيخ عبد الرّحمن البهوتي الحنبلي.[2] كما يظهر اهتمامه وتمكّنه من علم الحديث في كتبه في مناقشاته العلمية، وإيراده للأحاديث وشرحها. ويظهر كلّ هذا بوضوح في كتابه فتح الغطاء؛ فهو لم يكتف بكتابة مجرّد حاشية، ولم ينقل مجرّد نقل، بل يفعل غالبا إذا كان يزيد من عنده تعقيبا على القول المنقول أو نقدا له.

كان الشّيخ عمر الأسكوبي قويّ الشّخصية وقويّ الحجّة، أسلوبه مميّز في التّركيب والعبارة، وهو إلى ذلك موضوعيّ. كان يقول الذي يراه حقّا ولا يخشى لومة لائم، هكذا وصفه خلوزاده فيقول ما مفاده: أنّه لم يخجل في حديثه من أحد ولم يغضب من أحد، وكان يقول الحقّ مهما كان، وكان يعلّم النّاس الأوامر والنّواهي الدّينيّة بأحسن طريقة.[3] وتتجلى لنا شخصيته العلمية كمحقق ونقّاد في كل كتبه، حتى أسلوبه قاس بعض الأحيان كما سيأتي الكلام عنه بشيء من التفصيل.

مع كل ما ذُكر يمكن أن يقال أنه متوازن الفكر والمنهج بعيد عن التعصّب، وإن كان يدافع عن مذهبه وينتصر له. ويحاول أن يجمع بين علوم الظاهر والباطن وبين النقل والعقل. كما أنّه جادل فكريّا بعض الفرق مثل جماعة قاضزاده[4] من جهة، والملامية[5] من جهة أخرى.[6]

---

[1] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604; Peçevi, *Peçevi Tarihi*, II/335.

[2] الأسكوبي، الحجة النيرة، ورقة 52 ب.

[3] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604.

[4] هم حركة دينية إجتماعية ظهرت في الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، تميزوا بتشدّدهم ومعاداتهم على كل ما يرونه بدعة. (ينظر: İslam Ansiklopedisi, İstanbul: TDV, 2001, XXIV, 100-102)

[5] هي طريقة صوفية تبنت مفهوم اللوم على النفس (ينظر:
İslam Ansiklopedisi, İstanbul: TDV, 2004, XXIX, 25-29)

[6] ينظر:
Ferzende İdiz, *Ömer Fânî Efendi ve Tasavvufa Dair Üç Eseri* (Doktora Tezi), Erzurum: Atatürk Üniversitesi, 2009, 23-32.

تولّى مهام التّدريس في عدّة مساجد، فأخذ وظيفة "مفسّر" في مسجد السّلطان سليم خان،[1] ومسجد السّلطان محمّد، ومسجد السّلطان سليمان، وقام بتدريس "مشكل القرآن" فيها لسنوات عديدة.[2] وسُجّل في المراجع أنّه شارك في الحملة العسكرية لجيش السّلطان محمّد الثّالث في خروجهم إلى أكرة (Eğri) لرفع عزيمة العسكريّين ومعنويّاتهم لمحاربة العدو، وذلك سنة 1004هـ/1595م.[3] كما ذكر معاصره إبراهيم بتشوي أنّه شارك في حملة أسترغون (Estergon) مع الصّدر الأعظم لالا محمّد باشا (Lala Mehmet Paşa).[4]

وبعد كل المهامّ ووظائف التّدريس في المساجد المذكورة أعلاه تولّى وظيفة الواعظ في المسجد الكبير (آياصوفيا)، ذُكر ذلك في أغلب المصادر والمراجع.[5] كما ذكر عطاء الله أنّه قام بتدريس التّفسير والحديث فيه.[6] ويكفي هذا المنصب ليدلّ على مكانته العلميّة، كما يشهد بذلك ألقابه الكثيرة مثل "سلطان المفسّرين" و"عمدة المذكّرين" وما إلى ذلك، كما أسلفنا.

### 3.1. شيوخه وتلاميذه

لقد رأينا أن الشّيخ عمر الأسكوبي نال من العلم قدرا وافرا، خاصّة في التّفسير والحديث. ولكن لا نملك معلومات عن جميع شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم. فبناء على ما قيّده عطاء الله وخلوزاده نرى أنّه تتلمذ على يد:

---

[1] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604.

[2] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[3] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

[4] Peçevi, *Peçevi Tarihi*, II/335.

[5] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 56ب؛ Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1788.؛
Süreya, *Sicill-i Osmanî*, IV/1315; Peçevi, *Peçevi Tarihi*, II/335.

[6] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855.

❖ الشّيخ خوجازاده محمّد أفندي: هو محمّد بن سعد الدّين محمّد بن حسن جان، مفتي الإسلام، الرّومي، الحنفي، الشّهير بخواجه زاده، الملقّب بأسعد، المتوفى سنة 1034هـ/1624م.[1] يحتمل أنّ عمر الأسكوبي أخذ عنه علوم الآلة مثل العربيّة.[2]

❖ الشّيخ عبد المؤمن أفندي: كان أحد شيوخ الطّريقة الخلوتية. تتلمذ على يده عمر الأسكوبي ولازمه حتّى توفي، ثمّ خلفه في زاوية ترجمان، كما أنّه تزوّج ابنته.[3] هو أبرز شيوخه وهو الذي نصحه بتأليف كتابه فتح الغطاء.[4]

❖ الشّيخ عبد الرّحمن البهوتي: هو عبد الرّحمن بن يوسف بن علي البهوتي المصري زين الدّين الحنبلي المتوفَّى بدمياط سنة 1089هـ/1678م.[5] أخذ عنه علم الحديث وأجازه فيه، ذكر ذلك بنفسه في كتابه الحجّة النيرة.[6]

❖ عثمان أفندي: السّيد عثمان بن محمّد السيواسى البيرامى المتخلّص بهاشمي،[7] ذكر خلوزاده أن عمر الأسكوبي شارك في حلقاته، وإن كان في مرتبته في العلم.[8]

أمّا بالنّسبة لتلاميذه فلا نملك معلومات كثيرة عن من تتلمذ على يده، ويحتمل أنّ ابنه إبراهيم أخذ عنه العلم لأنّه خلف أباه في منصبه في زاوية ترجمان بعد وفاته.[9]

ويحتمل أن يكون محمّد بن مصطفى النّاسخ لكتاب فتح الغطاء أحد تلاميذه حيث كتب تعليقا في غلاف الكتاب ما هو نصّه: "...هذه حواش على البيضاوي لشيخنا وأستاذنا عمر أفندي

---

[1] البغدادي، هدية العارفين، 274/2.

[2] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855

[3] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855; Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604; Süreya, *Sicill-i Osmanî*, IV/1315.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 2 أ.

[5] البغدادي، هدية العارفين، 550/1.

[6] الأسكوبي، الحجة النيرة، ورقة 52 ب.

[7] البغدادي، هدية العارفين، 657/1.

[8] Hulvîzâde *Lemezât-ı Hulviyye*, 604.

[9] Süreya, *Sicill-i Osmanî*, IV/1315.

الأسكوبي..."[1] وكتب عن نفسه: "وأنا أفقر الورى محمّد بن مصطفى الناصح بجامع أرنوس بك في نكى واردار" [2]

### 4.1. من تأثّر به ومن أثّر فيه

لا شكّ أن عمر الأسكوبي، مثل كلّ إنسان، تأثّر بالشّخصيّات والمدارس التي مرت في حياته، سواء الفكرية، أو المذهبية، أو السّياسية. وقد ذكرنا الحلقات والتكيات التي تعلّم فيها وانتسب إليها. ويبدو أن تكية أو زاوية ترجمان والجماعة الخلوتية أثّرت فيه أكثر من البقية، حيث صار من مريدي الطّريقة الخلوتيّة. كذلك بالنّسبة للشّخصيات يمكن أن نخصّ بالذّكر شيخه عبد المؤمن أفندي الذي لازمه فترة طويلة وتزوّج من ابنته.

وبالنّسبة إلى التّفسير لم أصل إلى معلومة حول من أخذ عنه علم التّفسير بشكل مباشر، ولا شكّ أنّه تأثّر بالبيضاوي، حيث كتب تعليقات على تفسيره، ورسالة في توفيق أقواله في آيات الموازين، كما تأثر بالمفسّرين الآخرين الذين اعتمد عليهم في كتابه في التفسير، أمثال الرازي وأبي السعود، وسيأتي.

المطّلع على مكانة الأسكوبي العلمية ومناصبه التي تولّاها يستنتج أنّه كان له تأثير في البيئة والنّاس حوله، وخاصّة في عامّة النّاس حيث اشتغل بالموعظة في جامع آيا صوفيا، وهو أحد أكبر وأهمّ الجوامع في إسطنبول. كما كان له تأثير في شؤون الدّولة حيث دعي ليشارك في الحملات العسكرية لتحفيز العسكريين وتشجيعهم.

ولو نظرنا إلى المستوى العلمي لكتابه وكثرة انشغاله بالتّدريس يمكن أن نستنتج أنّه لا بدّ أن يكون له عدد كبير من طلبة العلم. وإن كنت لم أحصل على الأعيان الذين أخذوا عنه وتأثّروا به.

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة الغلاف.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة الغلاف.

### 5.1. مذهبه

#### 1.5.1. مذهبه العقدي

نرى من خلال كتابه فتح الغطاء أن عمر الأسكوبي يهتمّ بعلم الكلام حيث ذكر كثيرا من المسائل الكلامية وتوسّع في بعضها. وإذا نظرنا إلى مذاهب العقيدة بمنظورها الواسع فيمكننا القول إنّه ينتمي إلى مذهب أهل السّنة والجماعة، ويؤكّد ذلك أمران:

أوّلهما: ينتصر لمذهب أهل السنة والجماعة عند اختلاف الأقوال ويجعله معيارا للحكم على الآراء.[1]

ثانيهما: يردّ على المعتزلة وفرق أخرى مخالفة ويدافع عن مذهب أهل السّنة في كتابه كله.[2] فينبّه ويعاتب من وافق المعتزلة أو تأثّر باعتزاليات الزّمخشري في التّفسير، ويقول في موضع يردّ فيه على أبي السّعود: "لعلّه نسي مذهبه، واغترّ بكلام الزّمخشري ... وليس هذا أوّل ما خدع علماءنا بمذهبه السّخيف، فانخدع به كل فطن ظريف".[3] ويسميها في موضع آخر"رشحة اعتزالية".[4]

وبعد النّظر في تفسيره لبعض الآيات المتشابهة والتي تسمّى في علم التوحيد آيات الصّفات، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾؛[5] نرى أنّه يشرح مذهب السّلف والذي هو التّسليم دون الدخول في التأويلات؛ أو تفويض المعنى إلى الله. ويشرح مذهب الخلف الذي هو التأويل، ولا يرجح بينهما. يسمي الأول "المذهب الحق الأسلم"[6] والثاني "المذهب الحق الأحكم".[7]

---

[1] ينظر: عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 أ، و38 أ، 54 أ.

[2] ينظر: عمر الأسكوبي، فتح الغطاء ، ورقة 16 ب، 29 أ، 48 ب، 54 أ.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 22 ب.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 9 ب.

[5] الأعراف (7)، 54.

[6] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 21 أ.

[7] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 21 أ.

### 2.5.1. مذهبه الفقهي

كان عمر الأسكوبي حنفي المذهب كما هو حال أغلب العلماء العثمانيين. يشير إلى ذلك في كتابه "الحجّة النّيرة" فيقول عن نفسه: "...فلتكن تحفة الفقير عمر الفاني خويدم الفقراء الصوفية إلى أهل المذهب الحنفي والملّة الحنفية...".[1]

وفي كتابه فتح الغطاء وصف أبا حنيفة بوصف لم يصف أحدا من العلماء به، فممّا قال في حقّه:

وقد قال من تطابق في علوّ شأنّه علماء الأعصار، وتوافق في وضوح برهانه عقلاء الأمصار، تواترت عنه أطايب الآثار، وتكاثرت منه أعاجيب الأسرار، اقتدت به الأمّة المحمّدية، وتقرّرت برأيه الملّة الأحمديّة؛ وما أحد أحق بهذه الأوصاف السّنية، وأولى بالأخلاق العلية، إلا من نقل في فضله الآثار، حتى من النّبي المختار، وشهد بكماله من الصحابة الأبرار ومن التابعين الأخيار؛ يغترف من بحره أئمة الأمّة، ويعترف بفضله الكلّ حتى خلاف الملّة، وهو سراج أمة أحمد ومنهاج ملّة محمّد، الإمام الأعظم، والمقتدى المكرّم المعظم، أبو حنيفة الكوفي... .[2]

ويقول بعد أسطر:"فالتّعويل ليس إلّا على ما جرى من لفظه المعتبر...".[3]

فنرى مكانة أبي حنيفة عنده ومدى تأثّره به، ورجحان آرائه عنده. فكل هذا وما سبق ذكره يؤكّد لنا انتسابه للمذهب الحنفي في الفقه. وذكر ذلك البغدادي في ترجمته له فقال: "الشّيخ عمر بن محمّد الاسكوبى الدبره وي ثم القسطنطيني الحنفي...".[4]

### 6.1. انتسابه إلى الطّريقة وشخصيته الصوفية

كان الأسكوبي من مشايخ الطّريقة الصّوفية الخلوتيّة، وهذا جزء مهمّ من شخصيته فنُقل في أغلب المصادر والتّراجم،[5] وذكر بنفسه في كتابه "الحجّة النّيرة" أنّه التزم أو انتسب إلى أكثر من طريقة،

---

[1] عمر الأسكوبي، الحجة النيرة، ورقة 52 أ.

[2] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 29 أ.

[3] عمر الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 29 ب.

[4] البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

[5] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604.؛ البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

فيقول عن نفسه: "...ملتزم الآداب مرّة خلوتيا ومرة جلوة[1] وأخرى نقشبنديا...."[2] فيبدو أنّه استفاد من كل ما ذكر وانتسب إلى الخلوتية لمحيطه والتكية التي خدم فيها، وخصوصا لتأثره بشيخه عبد المؤمن أفندي.

كان الأسكوبي بعيدا عن غلاة الصوفية ومعطلي الشريعة، بل كان يحاول الجمع بينهما كما يبين ذلك في مقدمة كتابه قائلا: "...وقد فاز بالحظ الوافر مَن وُفّق بالجمع بين الباطن والظاهر".[3] ويظهر تمكنه واهتمامه بالعلوم الشرعية بوضوح، وتمسّكه بالمأثور من العلوم. فكل هذا يدلّ على توازن شخصيته الصوفية.[4]

### 7.1. وفاته

ذكرت المراجع أن الشّيخ عمر الأسكوبي توفي بعد أدائه فريضة الحجّ، يُفهم من كلامهم أنّه إمّا توفي في رحلة الحجّ أو بعدها بوقت قصير.

واختلفت الروايات حول تاريخ وفاته، فذكر عطاء الله ومحمّد سريا والبغدادي أنّه توفي سنة 1033هـ الموافق 1624م.[5] وذكر برصلي محمّد أفندي أنّه توفي سنة 1032هـ الموافق 1623م.[6] وأرجّح سنة 1033هـ؛ لأنّ هذه رواية معاصره عطاء الله ولكثرة ورود هذه الرّواية في المراجع.

ودفن في تكية ترجمان يونس بالقرب من فاتح.[7]

---

[1] نقلتها كما هي مكتوبة في النسخة التي راجعتها (جلوة)، وأصوب منها (جلوتيا).

[2] عمر الأسكوبي، الحجة النيرة، ورقة 52 أ.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 1 ب.

[4] ينظر: Ferzende İdiz, *Ömer Fânî Efendi ve Tasavvufa Dair Üç Eseri*, 36-37.

[5] البغدادي، هدية العارفين، 797/1.

[6] Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855; Süreya, *Sicill-i Osmanî*, IV/1315. Bursalı, *Osmanlı Müellifleri*, I /173.

[7] Süreya, *Sicill-i Osmanî* 1315؛ Atâî, *Hadâikü'l-Hakâik*, II/1855؛ Bursalı, *Osmanlı Müellifleri*, I/173.

## 2. البيئة التي عاش فيها

معلوم أنّ الإنسان يتأثّر بالبيئة التي يعيش فيها. فالعوامل السّياسيّة والعلميّة والاقتصاديّة تؤثّر في شخصيّته وفي تحصيله العلمي والثّقافي؛ لذا سنحاول أن نسلّط الضوء على أبرز ما تميّزت به الفترة التي عاش فيها الشّيخ عمر الأسكوبي من النّاحية السّياسية والعلميّة والاقتصادية.

### 1.2. البيئة السّياسية

عاش الشّيخ عمر الأسكوبي في نهاية القرن السّادس عشر وبداية القرن السّابع عشر الهجري، وشهدت هذه الفترة تغيير الحكم على يد عدّة سلاطين، سأذكرهم وشيئا من الوضع السّياسي والإداري للدّولة العثمانية بالترتيب حسب حكمهم.

سبق أن بيّنا أننا لم نتوصّل إلى تاريخ ميلاد الشّيخ عمر الأسكوبي تحديدا، ولكن بناء على تاريخ وفاته يُحتمل أن يكون أدرك حكم السّلطان سليمان القانوني (حكم في الفترة بين السّنين: 1520-1566م) وإن كان صغير السّن. عاش عمر الأسكوبي تلك السنين -باحتمال كبير- في مكان الولادة في ديبرا. تُعدُّ فترة حكم السّلطان سليمان القانوني الفترة المشرقة للدّولة العثمانية من ناحية الاستقرار السّياسي والتّوسع، ومن ناحية التّقدّم العلمي والفنّي كذلك.[1]

بعد وفاة السّلطان سليمان القانوني تولّى الحكم ابنه السّلطان سليم الثّاني (1566-1574م) وصحب تسليمه الحكم شيء من الاضطراب بسبب طلبات العسكريّين المزايا المالية بمناسبة تولّيه الحكم، وكانت الحالة المادّية لا تسمح بذلك. من أهمّ إنجازاته افتتاح قبرص وبعض البلدان الأخرى. لكن شهدت الدّولة خلال حكمه بداية التّراجع، وإن كانت إدارة الدّولة على استقرار بفضل وزيره الأعظم سكوللو محمّد باشا. وكان السّلطان سليم الثّاني لا يهتم كثيرا بشؤون الدّولة، منشغلا بأمور أخرى.[2]

تبعه في الحكم مراد الثّالث (1574-1595م) وكانت الدّولة على نوع من الاستقرار في بداية فترته لقيام وزيره الأعظم سكوللو محمّد باشا بشؤون الدّولة إلى أن توفّي. أمّا السّلطان مراد الثّالث

---

[1] İsmâil Hakkı Uzunçarsılı, *Osmanlı Tarihi*, Ankara: TTK Basımevi, 1988, II/294.

[2] Uzunçarsılı, *Osmanlı Tarihi*, III/32-63.

فقد كان حاله سيئة للغاية حتى أنه لم يكثر الخروج من القصر. تبعه محمّد الثّالث (1595-1603م) وكان كذلك ضعيف الإرادة، فضّل الجلوس في القصر أغلب الوقت مثل أبيه. وكان تحت تأثير من حوله أكثر من سابقه، وخاصّة من أمّه السّلطانة صفيّة. وقد حدثت في فترة حكمه حملة أغري (Eğri) وشارك بنفسه بعد إصرار الوزراء. وهذه هي المعركة التي شارك فيها مؤلّفنا الشّيخ عمر الأسكوبي ليشجّع العسكريّين كما أسلفنا. عاد الجيش منتصرا، وهذا وإن كان له تأثير إيجابي على الدّولة إلّا أنّ البعض يعتبر فترة حكمه بداية المحاصرة السّياسية والاقتصادية والمعنوية.[1] ويأتي بعده السّلطان أحمد الأوّل (1603-1617م) الذي تولّى الحكم وعمره أربعة عشر سنة فقط، وإن حدثت عدّة حملات عسكرية وأحداث مهمّة في حكمه مثل الخروج إلى إيران؛ إلا أنّه كان تحت تأثير من حوله في كلّ قراراته.[2]

تعتبر فترة السّلاطين الثّلاثة - مراد الثّالث ومحمّد الثّالث وأحمد الأوّل - فترة تراجع وفساد إدارة الدّولة، وذلك لعدّة أسباب: منها تدخّل أمّهات السّلاطين (Valide Sultanları) وزوجات السّلاطين، ورجال الباب (Kapı Ağası)، ورجال الحرم (Kızlar Ağazı) في شؤون الدّولة وتدخّلهم وتأثيرهم في اتّخاذ القرارات، ممّا كان يفسد إدارة الدّولة. وكذلك تفشّي الفساد المالي في الإدارة، وتنصيب أشخاص غير مؤهّلين على مناصب الدّولة، كما بدأ فساد المنظّمة العسكريّة، حيث أُخذ إلى الجيش من ليس أهلا له. ولم يخرج السّلاطين في الغالب إلى الحملات العسكرية ولم يكونوا على علم بتفاصيل ما يجري في الدّولة.[3]

أما السّلطان مصطفى الأوّل (1622-1623م) فتولّى الحكم مرّتين وعزل مرّتين. لم يكن يريد الحكم ولم يكن لديه أي اهتمام به، إلا أنّ عثمان الثّاني (1618-1622م) كان صغير السّن آنذاك، ومع ذلك عيّن عثمان الثّاني سلطانا وعمره أربعة عشر سنة فقط. لم تكن لديه التّجربة الكافية

---

[1] Samiha Ayverdi, *Türk Tarihinde Osmanlı Asırları*, İstanbul: Damla Yay., 2. basım, 1978, 42-47.

[2] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi,* III/125-129.

[3] Uzunçarsılı, *Osmanlı Tarihi*, III/131-132.

للإصلاحات رغم إرادته ذلك. وشهدت فترته عدّة اضطرابات داخليّة، لتنتهي بقتله.[1] عيّن بعده مراد الرّابع سنة 1623م وهو ابن إحدى عشر سنة فقط.[2]

نرى أنّ الشّيخ عمر الأسكوبي عاش في زمن مليئ بأحداث وتغيرات في إدارة الدّولة، ويمكن أن نقول إنّه أدرك أعظم فترة للدّولة العثمانية وعاش بداية تراجعها.

### 2.2. البيئة العلميّة

إذا درسنا مدى نمو بلد ما نجد أن هناك ترابطا وثيقا بين الحالة السّياسيّة والعلميّة والاقتصاديّة فيه، فكلّ يؤثّر على الآخر؛ فإذا وجدت أنّ هناك استقرارا سياسيّا وحكما رشيدا فلا شكّ أنّ هذا يعين أو يؤدّي إلى استقرار اقتصادي، والاستقرار الاقتصادي يعين أو يؤدي إلى ازدهار العلم. وقد يكون العكس صحيحا.

فإذا نظرنا في الفترة التي عاش الأسكوبي فيها نجد أنّ وضع العلم في الجزء الثّاني من القرن السّادس عشر والجزء الأول من القرن السّابع عشر الميلادي لم يختلف كثيرا عن الحالة السّياسية. فالفساد الذي دخل عالم السّياسة والإدارة دخل إلى المؤسّسات العلميّة كذلك. ففقدت مهنة المعلّم والقاضي الأهمّية التي كانت تتميز بها؛ فصار يُعيَّن أناس غير مؤهلين في المؤسّسات العلمية، وخاصّة في القضاء، ممّا كان يسبّب كره النّاس للحكومة.[3] على سبيل المثال عُيّن محمّد أفندي ابن الشّيخ مراد الثّالث سعد الدّين أفندي قاضيا في مكّة المكرمة، ثمّ تمّ تعيينه في إسطنبول وهو شاب، ممّا أدّى إلى سخرية النّاس؛ حتّى كتبوا أبياتا من الشّعر عليه.[4]

وكذلك الحال بالنسبة إلى العلوم الوضعية، فليس هناك إنتاج علمي ملموس ولا آثار علمية مهمّة في هذا العصر.[5]

---

[1] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, III/138-139.

[2] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, III/158.

[3] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, III/134.

[4] Uzunçarsılı, *Osmanlı Tarihi*, III/134-135.

[5] Abdülhak Adnan Adıvar, *Osmanlı Türklerinde İlim*, 4. Basım, İstanbul: Remzi kitabevi, 1991, 71.

وإن كان الوضع كما أشرنا آنفا إلّا أنّه لكلّ عصر رجاله، فقد برزت بعض الشّخصيات العلمية وتركوا بصمتهم، وعلى رأسهم المفسّر المفتي شيخ الإسلام أبو السّعود العمادي المتوفّى سنة 982هـ/1574م.[1] وإن كنّا لا نستطيع أن نثبت أن الأسكوبي أخذ العلم عنه مباشرة أو إن كان لقيه ولكن لا بد أنّه استفاد منه ومن كتبه، كما يظهر ذلك في كتابه الأخير فتح الغطاء.

ومن الشّخصيات العلمية الأخرى لهذا العصر يمكن أن يذكر على سبيل المثال غاملي إبراهيم (Bergamalı İbrahım) المتوفّى سنة 1014هـ/1605م، وطاشكوبرولو زاده محمّد كمال الدّين أفندي (Taşköprülüzade Mehmed Kemaleddin Efendi) المتوفّى سنة 1030هـ/1621م، ألتِ برماك محمّد أفندي (Altı parmak Mehmed Efendi) المتوفّى سنة 1033هـ/1627م، عايشي محمّد أفندي (Ayşi Mehmed Efendi) المتوفّى سنة 1061هـ/1651م وكان من الفقهاء الأصوليين، وكوتاهيالي هبري علي أفندي (Kütahyalı Hıbri Ali Efendi) المتوفّى سنة 1080هـ/1669م وكان من الفقهاء والكلاميين.[2]

### 3.2. الحالة الاقتصادية

كانت الإمبراطوريّة العثمانيّة في حالة توسّع في عهد السّلطان سليمان القانوني، ومع كلّ تلك الحروب والغزوات كانت الحالة الاقتصادية مستقرّة. وإن كانت مصاريف الدولة أكثر من الدخل سنة 972هـ/1564 و1565م إلّا أنّ الوضع استقرّ بفضل سكوللو فيما بعد.[3]

استمرار الحروب ضدّ إيران والنّمسا وعدم النّجاح فيها، اللّصوصيّة وقطع الطّريق في أناضول التي أدّت إلى خلل في التّحصيل المالي، ومعها المصاريف العالية؛ أدّت إلى ضعف مالية الدّولة وخزينتها. ثمّ هذه الحالة أدّت إلى عدم إعطاء الرّواتب للعسكريين في الوقت المحدّد، وهذا ما أدّى

---

[1] ستأتي ترجمته.

[2] İsmâil Hakkı Uzunçarsılı, *Osmanlı Devleti'nin İlmiye Teskilâtı*, Ankara: Türk Tarih Kurumu yay., 1965, 236.

[3] Uzunçarsılı, *Osmanlı Tarihi*, III/136.

إلى خلل في انضباط العسكريّين حتّى بدؤوا يهاجمون الضّباط بسبب عدم توفّر المال. ووصل الأمر سنة 1001هـ/1592م إلى رفض العسكريّين الذّهاب للقتال إن لم تدفع لهم الرّواتب.[1]

كذلك رفعت مصاريف القصر، على سبيل المثال؛ المصاريف السّنوية للمطبخ المسمّى مطبخ آمرة حيث رُفعت في عهد السّلطان مراد أربعة أضعاف مقارنة بعهد السّلطان سليمان القانوني. كما ضعفت قيمة العملة في عهد السّلطان مراد الثّالث ومحمّد الثّالث.[2]

كما أنّ هناك سببا آخر أدّى إلى هذه الحالة وهو تغيير عدّة حكّام في وقت قصير، فانعدام الاستقرار السّياسي كاف لأن يؤدّي إلى مشاكل اقتصاديّة. أضف إلى ذلك أنّه كانت هناك عادة؛ وهي أنه إذا جلس الحاكم الجديد على كرسي الحكم يعطي عطايا لكلّ منسوبي الدّولة، فمبالغ ضخمة صرفت ليستقرّ حكم بعض السّلاطين في وقت فُقد شيء من سلطة السّلطان ونفوذه التي كان السّلاطين السّابقون يتمتّعون بها، وهذا لأسباب عديدة سبق ذكرها.

### 3. مؤلّفاته

لقد ترك الشّيخ عمر الأسكوبي عدّة مؤلّفات في التّفسير والتّصوّف وغيرهما، وقد توصلت إلى كتبه في هذين المجالين وتحققّت منها. وهناك بعض المؤلَّفات تنسب إليه ولم أستطع التحقّق منها، وسأذكر جميعها مع وصف قصير للّتي توصّلت إليها.

### 1.3. مؤلّفاته في التّفسير

#### 1.1.3. فتح الغطاء عن وجه العذراء

هذا الكتاب هو أهمّ مؤلّفاته في التّفسير وهو موضوع هذا البحث.

##### 1.1.1.3. تاريخ التّأليف وسببه

الكتاب تمّ تأليفه خلال 23 عاما، فيقول المؤلِّف في سبب تأليفه وتاريخه:

---

[1] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, III/136.

[2] Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, III/137.

فلمّا وفّقني الله لمطالعة علم التّفسير، مع قلّة البضاعة وكثرة التّقصير، وبدأت فيها مع إشارة من شيخي شيخ الشّيوخ عبد المؤمن ... قُدّس سرّه وأُكرم بجوار ذي الجلال والإكرام، في محرّم الحرام، سنة أربع وألف من سورة الرّحمن علّم القرآن، مأموراً بالنّقل والنُّصح لأهل الإسلام من قبل أولي الأمر قطب الأحكام. ثم وُفّقتُ للختم والإتمام يوم عرفة سيّد الأيّام من ذي الحجّة سنة سبع وعشرين بعد الألف... فجمعت ما أُلهمت في مطالعة تفاسير العلماء الهِمام، والأفاضل الكرام إظهاراً لأثر نعمة التّوفيق والإنعام، وابتغاء الدّعاء ممّن أفاد واستفاد من العلماء...[1].

### 2.1.1.3. محتواه

يغلب على الظنّ أنّ هذا هو الكتاب المقصود من كلام خلوزاده الذي ذكر أنّ عمر الأسكوبي كتب حاشية جميلة على تفسير البيضاوي.[2] فالكتاب تمّ تعريفه في المجامع والفهارس كحاشية على تفسير البيضاوي. وهي كذلك، ولكنّها على نحو مختلف نوعا ما؛ لأن المؤلِّف لا يذكر قول البيضاوي أصلا في بعض مواضع الكتاب، بل ينقل أقوال مفسرين ومحشّين آخرين.

ويجدر الذكرُ هنا أني وجدت في كتاب الفهرس الشّامل للتراث العربي الإسلامي؛ أنه وُصف كتاب فتح الغطاء ب"تفسير الفاتحة".[3] وهو خطأ؛ لأنه ليس تفسير الفاتحة فقط، بل المؤلّف لا يفسر الفاتحة أصلا، وإنّما يتناول موضوع نزولها أهي مكّية أم مدنية، وشيئا من تفسير البسملة.

يقول المؤلِّف عن محتوى الكتاب:

...فكأنّ هذا مجلّة معلّقة موضوعة على تفسير القران العظيم المعلّم بأنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، للإمام الهُمام المحقق، والحَبر المدقّق ناصر الملّة والدّين، أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمّد بن علي الشّيرازي البيضاوي، طيّب الله تعالى ثراه وجعل الجنّة مثواه؛ مفتاحاً لبعض المقفَل، وموضّحاً لبعض المجمل، مع الجواب عن بعض الموارد، وإيراد بعض الفوائد.[4]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 2 أ\ب.

[2] Hulvîzâde, *Lemezât-ı Hulviyye*, 604

[3] المجمع الملكي لبحوث الحضارة، الفهرس الشامل، 676/1.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 2 ب.

إذن كتاب الأسكوبي عبارة عن تعليقات على تفسير البيضاوي على آيات سور معينة. فالسور التي علّق على آيات منها هي: سورة البقرة، وآل عمران، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة، ويونس وهود، ويوسف، والحجر، والنّحل، والإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنين، والشّعراء، والقصص، والأحزاب، وسبأ، وفاطر (ويسميها سورة الملائكة)، وسورة يس، والصّافات، وص، والزّمر، والفتح، والحجرات، والقمر، والرّحمن، والواقعة، والملك، والحاقة، والغاشية، والفجر، والليل، والتين، وقريش، والمسد، والإخلاص.

بيّن المؤلِّف في المقدّمة أنه ابتدأ كتابه بسورة الرحمن،[1] فيظهر أن ترتيب السور كما هو الآن حصل بعد إتمام الكتاب.

### 3.1.1.3. طريقة المؤلِّف في التأليف وأسلوبه

المؤلِّف يذكر الآية أو جزءا منها ويعقّبها بكلمة "الآية"، ثم يذكر قول البيضاوي حول الموضوع غالبا، أو الجزئية التي يريد مناقشتها، ولا يذكر جميع ما قاله البيضاوي في الآية؛ فلو كان ما يزيد على كلام البيضاوي - توضيحا وتعقيبا - يذكره مباشرة مبتدأ تعليقه بعبارة "وأقول". أو يعقّب – وهو الغالب - قول البيضاوي بقول أحد المفسّرين أو المحشّين الذين ينقل عنهم، ثم يناقش ويأتي بما عنده. وفي بعض الأحيان لا يذكر قول البيضاوي وإنّما يبدأ بذكر قول أحد المفسّرين بعد الآية مباشرة. وربما لا يذكر قول البيضاوي ولكن يشير إليه فقط.[2]

يتميّز أسلوبه بلغة غنية ويستعمل السّجع كثيرا، وخاصة في مقدّماته للسّور؛ فمثلا يقول في بداية سورة آل عمران:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الذي اصطفاه من آل إبراهيم وآل عمران، وعلى آله الذين لولاهم ما تشرفنا بالحديث والقرآن، ختمنا الله تعالى على الاتباع والمحبّة في الجنان. قال الله تعالى في سورة آل عمران...[3]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 2 أ.

[2] ينظر على سبيل المثال: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 36 أ.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 9 أ.

ويقول في مقدّمة سورة ص: "الحمد لله الذي خلق العباد ونهيهم[1] عن الفساد والإفساد، والصّلاة والسّلام على حبيبه الهادي إلى الصّواب والسّداد، وعلى آله الذين هم أصحاب الهدى والرشاد والإرشاد وبعد قال الله تعالى في سورة صاد..." .[2]

أو يستعمل اسم السّورة أوكلمات لها علاقة بمضمون السّورة، فمثلا يقول في مقدمة سورة الأنفال: "الحمد لله ذي الإكرام والجلال، والصّلاة والسّلام على من عليه تدور الأكوان والأحوال، وبه أحلّ الله تعالى لأمّته الغنائم والأنفال، وعلى آله خير الآل، قال الله تعالى في سورة الأنفال...".[3]

أسلوبه في نقد الآراء المخالفة أو شروحات معيّنة قاس إلى حدّ ما، ونجده يستعمل أحيانا التعجّب وعبارة: "ليت شعري"،[4] أو يقول: "هذا غريب منه".[5] وتجده في بعض المواضع ينتقد الأقوال ويشرح ما عنده ثم يختم بعبارة "فافهم" كثيرا،[6] وقال في موضعين: "فافهم ولا أظنك".[7]

### 4.1.1.3. مصادره

الأسكوبي استفاد من كثير من العلماء والمفسّرين كما أشار إلى ذلك في مقدّمة الكتاب -وإن لم يسمّهم- قائلا: "...فجمعت ما أُلهمت في مطالعة تفاسير العلماء الهِمام، والأفاضل الكرام...". فالمؤلّف كما بيّن بهذه الكلمات استند على علماء كثيرين، فينقل منهم لغرضين؛ للنقد العلمي أو للاستدلال بأقوالهم على ترجيحاته العلمية. فالمصادر الرئيسية لكتاب الأسكوبي في التّفسير هي كما يلي:

---

[1] المكتوب في المخطوط "نهيهم" وإن كان "نهاهم" أنسب لغة هنا.
[2] الأسكوبي، فتح الفطاء، ورقة 49 ب.
[3] الأسكوبي، فتح الفطاء، ورقة 32 ب.
[4] ينظر: الأسكوبي، فتح الفطاء، ورقة 5 أ، 11 ب، 35 ب، وغيرها.
[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 18 أ، 33 ب، 38 أ، 41 أ.
[6] الأسكوبي، فتح الغطاء، 6 ب، 8 أ، 9 ب، 13 أ، 15 أ، 31 أ، وغيرها.
[7] الأسكوبي، فتح الفطاء، ورقة 9 ب، 38 أ.

❖ "معالم التّنزيل في تفسير القرآن" لمحيي السنّة البغوي[1] (ت. 510هـ/1117م) استفاد منه في عدّة مواضع على سبيل المثال: نقل عنه كلاما حول نزول سورة الفاتحة وقال: "وقال الإمام مُحيي السنة في المعالم: وهي مكّية على قول الأكثرين".[2] كما نقل عن كتابه "مصابيح السنة".[3]

❖ "الكشّاف عن حقائق التّنزيل" للزمخشري (ت. 538هـ/1144م)،[4] ونقل عنه في بعض المواضع وإن لم تكن كثيرة، ويذكره بصيغة "صاحب الكشّاف"[5] أحيانا أو "جار الله".[6] فمثلا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[7] يقول: "قال الزّمخشري: أي بتخليته، استعار الإذن لتخليته الكفّار وأنه لم يمنعهم لِيبتليهم لأن الإذن مُخِلٌّ بين المأذون له ومراده."[8]

❖ "مفاتيح الغيب" أو "التّفسير الكبير" لفخر الدّين الرّازي[9] (606هـ/1210م)، اعتمد على كتابه ونقل عنه في عدّة مواضع استدلالا بقوله أو توضيحا أو مناقشة له. فمثلا يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾،[10] "فإنّه بعدما سنح لي هذا رأيت أنّ الإمام الرّازي رحمه الله الباري صرّحه وقال: وأمّا قوله تعالى ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾[11] فهو معطوف على يجازى لأن قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾ تقديره يجازى سيئة بمثلها".[12]

---

[1] ستأتي ترجمته.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 4 أ.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، 19 ب.

[4] ستأتي ترجمته.

[5] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 4 ب و5 ب و12 أ.

[6] الأسكوبي، فتح الفطاء، ورقة 10 ب.

[7] آل عمران (3)، 166.

[8] الأسكوبي، فتح الغطاء، 9 أ.

[9] ستأتي ترجمته.

[10] يونس (10)، 27.

[11] ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس (10)، 27].

[12] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 37 أ.

وتبيّن لي أنّه قد استفاد من تفسير الرّازي في غيرها من المواضع من غير إسناد القول إليه، فعلى سبيل المثال في مناقشة قول أبي السّعود في تفسير قوله تعلى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾[1] نقل عن الرّازي دون أي تغيير قوله: " المراد هو قبض الروح..." إلى قوله: "...عدّتهم حتى لا ينفلت منهم أحد".[2]

❖ "التّأويلات النجمية" لنجم الدّين الكبرى[3] (ت. 618هـ/1221م)، نقل عنه دون إسناد القول إليه في مواضع؛ فمثلا نقل منه دون ذكره قرابة صفحة كاملة من كلامه "بالأفعال والأخلاق والذّات..." إلى قوله: "أنّ الذّاكر والمذكور هو الله تعالى في الحقيقة".[4]

❖ "أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل" للقاضي البيضاوي (ت. 691هـ/1292م)، وهو المصدر الرئيسي كون كتاب الأسكوبي حاشية وتعليقا عليه. وسيأتي الكلام حول البيضاوي وتفسيره بالتفصيل.

❖ "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" لنظام الدّين النّيسابوري[5] (850هـ/1446م) على سبيل المثال نقل كلامه في تفسير هذه الآية ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ﴾[6] قائلا: "وقال

---

[1] الأعراف (7)، 37.

[2] ينظر: الرّازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب =التّفسير الكبير، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، 1401هـ/1981م، 76/14؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 19 أ/ب.

[3] هو حمد بن عمر بن محمد، أبو الجناب الخيوقي الخوارزمي، المشتهر بنجم الدين الكبري: شيخ خوارزم في عصره. من علماء الصوفية (ينظر: الأعلام للزركشي، 185/1).

[4] ينظر: الكبرى، أحمد بن عمر، التّأويلات النّجمية في التّفسير الإشاري الصّوفي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م، 103/3-104؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، 31 ب.

[5] ستأتي ترجمته.

[6] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف (7)، 150].

النيسابوري رحمه الله، وأقول: بجرأة تحصل بنفس الإلقاء، لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره؛ فكل ما يجعل عذراً عن نفس الإلقاء يصح أن يجعل عذرا عن التّكسّر".[1]

❖ "إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السّعود العمادي (ت. 982هـ/1574م)[2]. نقل الأسكوبي من تفسير أبي السّعود كثيرا، وإن لم يذكر اسم الكتاب ولا مرّة. فعلى سبيل المثال قال في قوله الله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾[3] يقول:

قال مولانا أبو السّعود رحمه ربُّه الودود: "كُرّرَ الأمر بالهبوط إيذاناً بتحتّم مقتضاه وتحقّقه لامحالة ودفعاً لما عسى يقع في أمنيّته صلّى الله تعالى على نبيّنا وعليه وسلّم من استتباع قبول التّوبة للعفو عن ذلك وإظهار النّوع رأفة به عليه الصّلاة والسّلام لما بين الأمرين من الفرق النيّر...".[4]

❖ كما نقل وناقش أقوال المحشّين[5] على تفسير البيضاوي أمثال المحشّي ابن التّمجيد (ت. 880هـ/1475م)، والمحشّي زكريا (ت. 926هـ/1520م)، والمحشّي سعدي جلبي (ت. 945هـ/1538م)، والمحشّي عصام الدّين (ت. 945هـ/1538م)، والمحشّي القوجوي المعروف بشيخ زاده (ت. 951هـ/1544م)، والمحشّي سنان جلبي (ت. 986هـ/1578م). ونقل من علماء آخرين لا يسع المقام لذكر جميعهم.

أمّا بالنّسبة لعلم الحديث وعلم الكلام والنّحو فأبرز من ذكرهم واستفاد منهم كالآتي:

❖ أبو حنيفة النّعمان بن ثابت (ت. 150هـ/767م).

❖ مالك بن أنس (ت. 179هـ/795م).

❖ يحيى بن زياد الفراء (ت.207هـ/822م).

❖ أحمد بن حنبل (ت. 241هـ/855م).

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، 24 أ.

[2] ستأتي ترجمته.

[3] البقرة (2)، 38.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 6 ب.

[5] ستأتي ترجمتهم.

- ❖ محمّد بن إسماعيل البخاري (ت. 256هـ/870م).
- ❖ مسلم بن الحجّاج (ت. 261هـ/875م).
- ❖ محمّد بن عيسى التّرمذي (ت. 279هـ/892م).
- ❖ أحمد بن شعيب النّسائي (ت. 303هـ/915م).
- ❖ إبراهيم بن السّري أبو إسحاق الزّجاج (ت.311هـ/923م).
- ❖ أبو جعفر النَّحاس (ت.338هـ/950م).
- ❖ محمّد بن عبد الله الحاكم (ت. 405هـ/1014م).
- ❖ أبو بكر البيهقي (ت. 458هـ/1066م).
- ❖ شرف الدّين الطّيبي (ت. 743هـ/1342م).

**5.1.1.3. نسخه**

لم أجد نسخة كاملة لهذا الكتاب سوى نسخة واحدة، وهي مخطوطة في مكتبة الآثار النّادرة (Nadir Eserler Kütüphanesi) التّابعة لمكتبة جامعة إسطنبول بإسطنبول تحت الرّقم A 2134. وهناك نسختان غير كاملتين لكتاب آخر له تحت عنوان "بيان أقوال تفسير القاضي في آيات الموازين"، وهو جزء من كتاب فتح الغطاء. وهذه النّسخة مخطوطة وهي موجودة في مكتبة السّليمانية في إسطنبول تحت قسم (Yazma Bağışlar) تحت الرّقم: 1965. وهناك نسخة أخرى ليس عليها عنوان مكتوب، وهي موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة.

نسخة جامعة إسطنبول كاملة وتتكوّن من 57 ورقة، وهناك ورقة ما بين الورقة برقم 38 و39 ليس عليها رقم مكتوب، فبالتالي وإن كان سُجّل أنّ لديها 56 ورقة فهي لها 57 ورقة بالضّبط. للصّفحة 31 سطرا، وهناك تعليقات جانبية أغلبها مكتوبة على جانب النّص. واستعمل اللّون الأحمر لكتابة البسملة قبل السّور ولكتابة خطّ فوق الآيات، ولكتابة غيرها من الإشارات.

تمّ نسخ الكتاب من مسوّدة المصنّف بتاريخ إحدى وثلاثين وألف في جمادى الآخرة.[1] ونسخه محمّد بن مصطفى،[2] ويرجّح أن يكون أحد تلاميذه.

### 1.5.1.1.3. منهج الباحث في تحقيق الكتاب

إنّ تحقيق الكتب أمر شاقّ ويحتاج إلى كثير من الجهد والدّقّة. وقد واجهت بعض الصّعوبات في تحقيق هذا الكتاب يرجع معظمها إلى عدم وجود نسخة كاملة بين يديّ سوى نسخة واحدة. وهناك نسختان أخريتان ولكنّهما غير كاملتين. ويمكن تلخيص منهجي في تحقيق الكتاب في النّقاط الآتية:

❖ قمت بنسخ المخطوط وتنسيق النّص وترقيمه بعلامات التّرقيم مراعيا القواعد الإملائية للّغة العربيّة. وكتبت اختصارات المؤلِّف اللّفظية كاملة مثل: "تع" أي: تعالى، أو "المص" أي: المصنّف، أو "رحم" أي: رحمه الله. وما عدا ذلك نقلت النّصّ كما هو، إلّا إذا تطلّب ذلك القواعد الإملائية الحديثة؛ فعلى سبيل المثال كلمة "ثلثة" كتبتها "ثلاثة". وتركت (ح) كما هو حرف موضّحا معناها بين الأقواس المعقوفة: [حينئذ]؛ إلّا إذا كتبت في إحدى النّسخ (حينئذ) فأكتبها دون الإشارة إليها في الحاشية.

❖ كتبت الآيات بالخطّ العثماني، وعزوتها في الحاشية بذكر اسم السّورة، ورقمها، ورقم الآية. وكتبت الآية كاملة في الحاشية إن كان لا يستقيم معناها في المتن؛ لأنّ المؤلّف يكتفي بالإشارة إليها غالبا. وكذلك كتبت الآية كاملة إن كان تفسير بقية جزئها يأتي بعد تفسير جزئها المذكور مباشرةً.

وقد صحّحت الآيات القرآنيّة في المتن بذكر ذلك في الحاشية إن وجدت أخطاء فيها.

❖ قمت بمقابلة ومقارنة النّسخ الموجودة، وقد اعتبرت نسخة جامعة إسطنبول الأصل لسببين: أوّلا؛ لأنّها نُسخت من مسودة المؤلّف الأصلية كما يثبت ذلك ناسخ الكتاب.

وثانيا؛ لأنّها هي النّسخة الكاملة الوحيدة بين يدي.

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 56 ب.

[2] لأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة الغلاف.

وقد رمزت لنسخة جامعة إسطنبول ب(أ)، ونسخة المكتبة السليمانية ب(س)، ونسخة دار الكتب المصرية ب(م).

❖ قمت بالإشارة إلى الفروق بين النّسخ واعتمدت عبارة الأصل، إلّا عند وجود سقط فيها، أو إذا كان اللّفظ غير واضح، فاعتمدت النّسختين الأخريتين حينئذ. وقد كتبت في المتن التّصحيحات وأشرت إلى ذلك في الهامش حسب قواعد التّحقيق.

❖ كتبت في الحاشية جميع الهوامش والإيضاحات الجانبيّة إذا كانت للمؤلّف، أي إذا وجدت في آخر القول عبارة (منه) أو (منهوات).

❖ قمت بإيضاحات أخرى في الحاشية طلبا لتيسير الفهم، مثل عزو قول إلى قائله إذا أشار إليه المؤلّف.

❖ قمت بتخريج الأحاديث والآثار؛ وقد بحثت أوّلا في كتب متون الحديث، فإن لم أجد ففي كتب شروح الحديث، ثمّ كتب التّفسير وهكذا. فإذا ورد الخبر في أكثر من مصدر اكتفيت بذكر اثنين أو ثلاثة منها؛ ولو ورد الخبر في الصّحيحين فأكتفي بهما، وأذكر موضع الحديث بذكر الكتاب والباب ورقمه، كما ذكرت رقم الجزء والصّفحة للطّبعة التي اعتمدتها. وإن لم يرد الخبر فيهما فأقدّم الكتب الخمسة على بقيّة كتب الحديث، فالكتب التّسعة؛ وأكتب رقم الحديث وموضعه في الطّبعة التي اعتمدتها. وإن لم أعثر عليه ولا في واحد من كتب الحديث أو كتب التّخريج، أشير إلى من ذكره في كتب التّفسير، مكتفيا بذكر مرجعين منها. وإن لم أعثر عليه إطلاقا أبيّن ذلك.

كما أبيّن الفروق اللّفظية -إن وجدت- بين عبارة المؤلّف ومتن الحديث.

❖ عزوت الأبيات الشّعرية والأمثلة الشّعبية إلى المصادر وقائليها مع شرح مبسّط، وهي قليلة جدّا.

❖ قمت بترجمة أغلب الأعلام المذكورة في الكتاب. وتركت ترجمة أعلام غنية عن التّعريف، مثل الصّحابة المشهورين أو الأئمّة الأربعة. كما ترجمت للكتب المذكورة التي تحتاج إلى تعريف.

❖ في عزو الأقوال إلى المخطوط قمت برمز الصّفحة على الجهة اليمنى ب(أ) والتي على الجهة اليسرى ب(ب)، بدل التّعبير بوجه الورقة أو ظهرها؛ فإذا فتحت أيّ ورقة مصوّرة من الكتاب المخطوط ترى رقما على الصّفحة اليسرى أعلاها؛ فمثلا إذا رأيت الرّقم 5 فهذه الصفحة هي 5 ب، والتي على اليمنى 5 أ.

❖ قمت بكتابة كلام البيضاوي بالغامق إذا كان ينقل كلامه في تفسير الآية، ثمّ إذا شرح عبارة أو كلمة منه وعلّق عليه وضعتها بين القوسين. وهذا ما فعلت بكلام غيره إذا ابتدأ به تفسير الآية؛ أمّا عند مناقشة الفكرة وعند تضارب الأقوال فلم أفعل ذلك سواء في قول البيضاوي أو غيره.

❖ وقد راجعت تفسير البيضاوي وتفسير أبي السّعود وبعض الكتب الأخرى لكي أتثبت من كلامهم، حيث أنّ المؤلّف أو النّاسخ لا يبيّن دائما متى ينتهي كلامهم.

### 2.1.3. بيان أقوال تفسير القاضي في آيات الموازين

هو مخطوطة، وتوجد نسخة منه في مكتبة السّليمانية تحت قيد (Yazma Bağışlar 1965) هذه المخطوطة لديها 32 ورقة، والصّفحة مكونّة من 17 سطرا.

المؤلّف جمع فيه أقوال تفسير البيضاوي في آيات الموازين. وفي الحقيقة وإن كان كَتبه ككتاب مستقلّ فهو أُدمج مع كتاب فتح الغطاء، فلا يوجد فرق بين نسختين، سوى المقدّمة الواقعة في سطرين ونصف تقريبا. ويوجد هذا التّعليق تحت العنوان: "تحرير الشّيخ العالم الرّبّاني والحبر الصمداني الشّيخ عمر أفندي النّاصح لعباد الله المؤمنين في الجامع الشّهير بآيا صوفيا الكبير...".[1] وهناك نسخة له في مكتبة دار الكتب المصرية في القاهرة. لم تصلني سوى نسخة مصوّرة الكترونية دون وجه الغلاف ولا المقدّمة، والملفِت للنّظر أنّ في صفحتها الأخيرة توجد ملحوظة أنّ عدد الأوراق 149 ورقة، فلا أدري إن كان ما قبله تابع له. كما يجدر التّنبيه إلى أنّ النّسخة الموجودة في مكتبة السّليمانية ينقص فيها نصف الصّفحة الأخيرة.

[1] الأسكوبي، عمر بن محمد، بيان أقوال تفسير القاضي في آيات الموازين، مخطوط، المكتبة السليمانية، Yazma Bağışlar، تحت رقم 1965، ورقة الغلاف.

### 3.1.3. تعليق على تفسير "فلا يكن في صدرك حرج"

هو مخطوطة، عبارة عن 11 سطرا فقط، والخطّ مائل غير مستو. المخطوطة موجودة في المكتبة السّليمانية بإسطنبول تحت الرّقم SEREZ 3380 على الورقة رقم 45 أ. في رأس الصّفحة تعليق مكتوب بالأحمر وهو: "من تعاليق المرحوم الشّيخ عمر أفندي الأسكوبي نوّر الله ضريحه، نُقلت من مسوداته الجميلة".[1] وفي الحقيقة وإن سجلت في فهرسة المكتبة ككتاب مستقلّ، إلّا أنّه لا يمكن أن يُعدّ كتابا أو تأليفا مستقلّا لقلة مضمونه؛ ولأنّه جزء من كتاب فتح الغطاء في الورقة 12 أ/ب،[2] دون فرق في المحتوى سوى بعض الكلمات في المقدّمة. وهي باللّغة العربية لا بالعثمانية كما كُتب في فهرسة المكتبة.

### 4.1.3. رسالة متعلّقة بآيات الموازين

هذه الرّسالة موجودة في المكتبة السّليمانية تحت الرّقم SEREZ 3380 أيضا. أولها في نفس الصّفحة التي تنتهي فيها "تعليق على تفسير قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج". وتقع على صفحتين ونصف على الأوراق رقم 45 أ إلى 46 ب. سُجّلت في فهرسة المكتبة السّليمانية أنّها بالعثمانية، وهذا خطأ لأنّها باللغة العربية. وهي مثل بقية كتاباته في التّفسير -التي حصلت عليها- مُضمَّنة في كتاب فتح الغطاء عن وجه العذراء. نصُّ هذه الرسالة في الأوراق رقم 12 ب إلى 16 ب.[3] وهي دون فرق لا في المقدّمة ولا في محتواها.

أفردت الحديث عن هذه الكتابات بعناوين خاصة لقيدها في المكتبات بهذا الشكل ولبيان حقيقة أمرها.

---

[1] الأسكوبي، عمر بن محمد، تعليق على تفسير قوله تعالى "فلا يكن في صدرك حرج"، مخطوط، المكتبة السليمانية، SEREZ 3880، الورقة رقم 45 أ.

[2] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، الورقة 12 أ وب.

[3] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، الورقة 12 ب – 16 ب.

### 2.3. مؤلّفاته في التّصوّف

لقد ذكرنا أن الشّيخ عمر الفاني كان من مشايخ الطّريقة، فألّف في التّصوّف عدّة كتب، وقد حصلت على ثلاثة منها.

#### 1.2.3. الحجّة النّيّرة في بيان الطّريقة المنيرة

هو أهمّ كتبه في التّصوّف، وهناك مخطوطة لها في مكتبة جامعة إسطنبول عند المخطوطات العربية تحت الرّقم 3808. ويقع في 43 ورقة والصّفحة لها 21 سطرا.

رتّبه على فصول ثلاثة وخاتمة، جعله في الحديث عن ظاهر الشّريعة وباطنها والحقيقة بالتلويح والإشارة تحت عنوان: الحجة النيرة في بيان الطريقة المنيرة، كما بيّن ذلك في مقدّمة الكتاب.[1]

#### 2.2.3. صمصام الخصام

هو كذلك مخطوطة في مكتبة جامعة إسطنبول تحت الرّقم 3808. يقع في المخطوطة في عشر أوراق وهي باللّغة العربية.

الكتاب يتناول ردّ المؤلّف على أحد الكتب المسمّى "حياة القلوب" في الموعظة للشّيخ نبي السينوبي[2] الذي ينتقد فيه التصوّف والصوفية، فتطرّق المؤلِّف فيه إلى كل المسائل التي ذكر السينوبي في كتابه ثم رد عليها وناقشها.[3]

#### 3.2.3. آداب الطّريقة

هو مخطوطة مثل بقية مؤلّفاته، وتوجد نسخة منها في مكتبة جامعة إسطنبول تحت الرّقم 3808 مثل سابقها. هي ثمان أوراق وباللّغة العربية.

---

[1] الأسكوبي، الحجة النيرة، ورقة 10 ب.

[2] هو الشيخ، نبي وقيلي: عبد الباري بن طورخان السينوبي، الواعظ. (ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمّد شرف الدّين يالتقايا، دون رقم الطّبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1941م، 698/1).

[3] متوازنة

كما يفهم من العنوان فالكتاب محتواه حول آداب الطّريقة في موضوعات مختلفة، حيث أشار المؤلِّف إلى نبذ من الآداب كآداب السّلوك والذّكر والأكل وغيرها. وذكر سبب تأليفه أنّه ليتأدّب به أولو الألباب فيكون قائدا لهم للنّجاة والفلاح والفوز العظيم.[1]

### 3.3. مؤلَّفاته في الموعظة

#### 1.3.3. بدر البدور في فضائل الشّهور

هو مخطوطة كذلك، وتوجد نسخة لها في مكتبة آماسيه تحت رقم 2/1133. هي تسعة أوراق من الورقة 42 ب إلى 50 ب، والصّفحة لها 13 سطرا، وأُلّف في سنة 1031هـ/1621م.[2]

هذا تأليفه الوحيد في الموعظة الذي وجدت توصيفه في المكتبات، ولم أوفّق للحصول على المخطوطة.

### 4.3. مؤلّفاته الأخرى

#### 1.4.3. كيافتنامة (Kıyafetname)

لم أستطع الحصول على نسخة لهذا الكتاب ولا معلومة عنه، وقد ذكره برسالي محمّد أفندي في كتابه[3] و عبد الله دولي اغلو (Abdullah Develioğlu).[4]

#### 2.4.3. مناقب (Menâkıb)

لم أعثر على مخطوطة لهذا الكتاب ولا معلومة عنه، وذكره عبد الله دولي أغلو في كتابه ولم يذكر أي تفاصيل أخرى عنه.[5] فبالتّالي لا أملك معلومات حول مضمونه.

---

[1] الأسكوبي، عمر بن محمد، كتاب آداب الطريقة، مكتبة جامعة إسطنبول، تحت رقم A 2808، 3 ب.

[2] يوجد وصف له في الموقع التابع ل İSAM: http://ktp.isam.org.tr، باسم المؤلف: Üskübi Ömer b. Muhammed.

[3] Bursalı, *Osmanlı Müellifleri*, I/173.

[4] Develioğlu, Abdullah, *Büyük İnsanlar: Üç bin Türk ve İslâm Müellifi*, İstanbul: Demir Kitabevi, 1973, 407.

[5] Develioğlu, *Büyük İnsanlar,* 407.

## 4. ترجمة المفسّرين الذين نقدهم عمر الأسكوبي أو اعتمد عليهم

لقد تناول الأسكوبي في كتابه بعض المفسّرين وبعض أصحاب الحواشي على تفسير البيضاوي بالنّقد العلمي والتّعليق على شروحهم وآرائهم، أو بالاعتماد على أقوالهم والاحتجاج بها. منهم الزّمخشري، وفخر الدّين الرّازي، وأبو السّعود العمادي، وابن كمال باشا، والمحشّي شيخ زاده، والمحشّي سعدي جلبي، والمحشّي ابن التّمجيد، وغيرهم. وسنترجم للمذكورين آنفا بالاختصار هنا، أما البقيّة ففي حاشية نصّ الكتاب المحقّق.[1]

### 1.4. الزّمخشري

هو محمود بن عمر بن محمّد، أبو القاسم، جار الله، الزّمخشري، الخوارزمي، النّحوي، العلّامة، كبير المعتزلة. ولد سنة 467هـ/1075م بزمخشر وهي قرية من عمل خوارزم. جاور بمكّة فترة فلذا يقال له جار الله. يُعتبر رأسا في العربية، والبلاغة، والنّحو، والمعاني، والبيان. ألّف في التّفسير كتابه المسمّى "الكشّاف" الذي برع فيه وصار المرجعيّة الأولى في التّفسير من ناحية اللّغة والبلاغة. واشتهر كتابه في الآفاق وقام الأئمّة المحقّقون بالعناية به تعليقا، وتحشية، واختصارا له. توفّي الزّمخشري سنة 538هـ/1144م.[2]

### 2.4. الرّازي

هو محمّد بن عمر بن الحسين، فخر الدّين، القرشي، البكري، الطّبرستاني، الرّازي، العلّامة، المفسّر، الأصولي، كبير المتكلّمين والمصنّفين. ولد سنة 544هـ/1149م في الرّي. تتلمذ أوّلا على يد والده الذي كان من تلامذة البغوي، ثم رحل وطلب العلم وبرع في علوم كثيرة وأتقنها. صنّف في

[1] تم هذا التفريق بناء على مدى اعتماد الأسكوبي عليهم وكثرة تناوله لهم في مجال التفسير.

[2] ينظر: الذّهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النّبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم القرقوسي، الطّبعة الحادية عشرة، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1996م، 20/151-156؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/1475-1484.

التّفسير والكلام والأصول. من أهم كتبه تفسيره المسمّى "مفاتيح الغيب" أو "التّفسير الكبير" الذي يعدّ موسوعة علميّة كبيرة. توفّي سنة 606هـ/1210م.[1]

### 3.4. البيضاوي

سبق أن بيّنت ماهية كتاب فتح الغطاء ومحتواه، وأنّه تعليق على تفسير البيضاوي بالأساس، وغالب كلام المؤلّف يدور حوله؛ فلذا ستُقدّم ترجمة البيضاوي بشيء من التّفصيل، وسأفرد الكلام عن تفسيره؛ تيسيرا لفهم تعليقات الأسكوبي وتحليلها.

#### 1.3.4. حياته[2] ومؤلّفاته

هو عبد الله بن عمر بن محمّد بن علي، أبو الخير، قاضي القضاة، ناصر الدّين، البيضاوي، الشّيرازي، الشّافعي. ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز بفارس،[3] وهي منطقة في دولة إيران. كان عالما زاهدا عارفا بالفقه والتّفسير واللّغة العربية والمنطق،[4] صاحب المصنّفات في علوم عدّة. ولي قضاء القضاة في مدينة شيراز[5] ممّا جعله يأخذ لقب القاضي وقاضي القضاة. أثنى العلماء عليه ولقي بعض

---

[1] ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، 500/21-501؛ السّبكي، عبد الوهّاب بن تقي الدّين، طبقات الشّافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمّد الطّناحي، عبد الفتّاح محمّد الحلو، الطّبعة الثّانية، مصر: هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1413هـ/1992م.، 81/8-82؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، طبقات الشّافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الطّبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004م، 716/2-717.

[2] ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 157/8-158؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنّهاية، تحقيق: علي شيري، الطّبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، 1408هـ/1988م. 363/13؛ الدّاوودي، محمّد بن علي، طبقات المفسّرين، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م، 248/1-249؛ الأدنه وي، أحمد بن محمّد، طبقات المفسّرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطّبعة الأولى، السّعودية: مكتبة العلوم والحكم، 1417هـ/1997م، 254-256.

[3] الزّركلي، خير الدّين بن محمود، الأعلام، الطّبعة الخامسة عشر، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، 110/4؛ لم أجد في كتب التّراجم والطبقات تاريخ ميلاده.

[4] ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، 248/1.

[5] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 158/8.

مصنّفاته قبولا واسعا، فصارت من المراجع التي اهتمّ أهل العلم بها دراسة وشرحا وتحشية. توفي في مدينة تبريز سنة 685هـ/1286م،[1] وقيل سنة 691هـ/1292م،[2] وقيل غير ذلك.

صنّف في التّفسير وأصول الدّين والفقه وأصوله، وأهم مصنّفاته:

1. "أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل" المسمّى "تفسير البيضاوي".
2. "منهاج الوصول إلى علم الأصول" في أصول الفقه.
3. "طوالع الأنوار" في أصول الدّين والتّوحيد.
4. "مصباح الأرواح" في أصول الدّين وهو اختصار لطوالع الأنوار.
5. "الغاية القصوى في دراية الفتوى" في الفقه.
6. "تحفة الأبرار" في شرح مصابيح السّنّة للبغوي في الحديث.
7. "شرح المنتخب" في أصول الفقه للإمام فخر الدّين الرّازي.
8. "شرح الكافية" في النّحو لابن الحاجب.
9. "نظام التّواريخ" باللّغة الفارسية.
10. "التّهذيب والأخلاق" في التّصوّف.[3]

تناولت كتب الطّبقات قصّة دخوله تبريز وإحدى مناقشاته التي تدلّ على ذكائه ومكانته العلمية. وهذا أهمّ ما تناولته التّراجم والمراجع التي اطّلعت عليها عن حياة البيضاوي، وقد ذُكرت بعض القصص عن مناقشاته العلمية والتي مفادها إبراز ذكائه وعلمه، ممّا لا تدعو الحاجة إلى سردها هنا.

---

[1] ينظر: ابن كثير، طبقات الشافعية، 363/13.

[2] الإسنوي، عبد الرّحيم بن الحسن، طبقات الشّافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م، 136/1.

[3] ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 157/8-158؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 363/13؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 248/1.

### 2.3.4. كتابه المسمّى أنوار التّنزيل

اسم الكتاب الكامل هو "أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل"، وقد اشتهر باسم "تفسير البيضاوي" وهذا أكثر استعمالا اليوم. يعدّ من أهمّ كتب التّفسير، ومن أكثرها تدريسا وتحشية وتداولا بين أهل العلم.

تفسير البيضاوي وإن كان يُعدّ من بالتّفسير بالرّأي إلا أنّ صاحبه جمع فيه بين الدّراية والرّواية، كما بيّن ذلك في مقدّمة الكتاب بقوله: "...أن أصنّف في هذا الفن- يعني التفسير- كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصّحابة وعلماء التّابعين ومن دونهم من السّلف الصّالحين، وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخّرين و أوائل المحقّقين".[1]

وقد استفاد المصنّف ممّا بلغه من العلماء السّابقين في التّفسير، كما أشار في كلامه المذكور أعلاه. فاعتمد بشكل كبير على تفسير الزّمخشري، حتى سمّي تفسيره "مختصر الكشّاف ".[2] فلخّص في تفسيره من الكشّاف ما له صلة بالإعراب، والمعاني، والبيان.[3] ولكن ترك منه ما يخالف مذهب أهل السّنّة في الاعتقاد وغير ذلك من الاعتزالات وإن لم يفعله دائما، فقد وُجدت مسائل قليلة يوافق مذهب المعتزلة فيها.[4]

كذلك استمدّ تفسيره من تفسير فخر الدّين الرّازي المسمّى "التّفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" ومن تفسير الرّاغب الأصفهاني. فلخّص من تفسير الرّازي "ما يتعلّق بالحكمة والكلام ومن تفسير الرّاغب ما يتعلّق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات".[5]

تفسير البيضاوي متوسّط الحجم وهو مركّز العبارة دون إطناب مملّ ولا اختصار مخلّ، ويتمتّع بأسلوب رائع موجز. يفسّر القرآن بالقرآن في كثير من المواضع وكذلك بالسّنّة، كما يذكر أقوال

---

[1] البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تحقيق: محمّد صبحي حلّاق، محمود أحمد الأطرش، الطّبعة الأولى، دمشق-بيروت: دار الرّشيد، 1421هـ/2000م، 6/1.

[2] االسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 157/8.

[3] حاجي خليفة، كشف الظنون، 186/1.

[4] الذّهبي، محمّد حسين، التّفسير والمفسّرون، الطّبعة الأولى، القاهرة: دار الحديث، 1433هـ/2012م، 254/1-255.

[5] حاجي خليفة، كشف الظنون، 186/1.

الصّحابة والتّابعين لأغراض في التّفسير.[1] ويتطرّق إلى القراءات والمسائل الفقهية ويرجّح فيها في الغالب مذهبه الشّافعي. ينقل بعض الإسرائيليات ولكنّه ليس من المكثرين فيها.

أكثر ما يؤخذ على البيضاوي في تفسيره هو سرده للأحاديث الضّعيفة بل الموضوعة في آخر السّور في فضلها وأجر من يقرؤها، مثلما فعله الزّمخشري.

نأخذ مثالا من تفسيره لكي نلمس شيئا من طريقته في التّفسير؛ فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[2]:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ وقرئ «أنطيناك». ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدّارين. وروي عنه عليه الصّلاة والسّلام: «أنّه نهر في الجنّة وعدَنيه ربّي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللّبن وأبرد من الثّلج وألين من الزّبد، حافّتاه الزّبرجد وأوانيه من فضّة لا يظمأ من شرب منه»،[3] وقيل: حوض فيها، وقيل: أولاده وأتباعه، أو علماء أمّته أو القرآن العظيم.[4]

تفسير البيضاوي نال إعجاب العلماء وطلبة العلم في كلّ أنحاء العالم الإسلامي، وتناوله أهل الشّأن بالتّدريس، والتّعليق والتّحشية عليه. فهناك من كتب عليه حاشية كاملة، وهناك من كتب على سور معينة، وهناك من كتب تعليقات في مواضع منه فقط. ذكر حاجي خليفة أكثر من أربعين حاشية،[5] منها ما هي كاملة ومنها ما ليس كذلك. ومن أهمّ الحواشي التي كتبت عليه:

1. حاشية محي الدّين القوجوي المعروف بشيخ زادة.[6] وهي من أشهرها وأكثرها قيمة وفائدة.[7]

---

[1] ينظر:علي، يوسف أحمد، البيضاوي ومنهجه في التفسير، مكة: جامعة أم القرى، سنة النشر غير موجودة، 31-74.

[2] الكوثر (108)، 1.

[3] أخرجه أحمد في مسنده بصيغ مختلفة، ينظر: مسند أحمد، 56/19 (11996).

[4] البيضاوي، أنوار التّنزيل، 575/3.

[5] ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 186/1-193.

[6] تأتي ترجمته لاحقا.

[7] حاجي خليفة، كشف الظنون، 186/1.

2. حاشية الشّهاب الخفاجي.[1]

3. حاشية القونوي.[2]

4. حاشية ابن التّمجيد.[3]

5. حاشية السّيوطي.[4]

ومن هذه الحواشي حاشية أو تعليقات عمر الأسكوبي التي نحن بصددها، وسيأتي الكلام عنها بالتّفصيل. وهناك غيرها من تلك الحواشي الكثير يزداد عددها عن مئتين.

### 4.4. المحشّي ابن التّمجيد

هو مصطفى بن إبراهيم، مصلح الدّين الحنفي المشهور بابن التّمجيد. كان معلّما للسّلطان محمّد خان الفاتح؛ وكان رجلا صالحا، صنّف حاشية على تفسير البيضاوي ولخّصها من الكشّاف. توفي نحو سنة 880هـ/1475م.[5]

### 5.4. المحشّي سعدي جلبي

هو سعد الله بن عيسى القسطمونى ثمّ الرّومي الحنفي الشّهير بسعدي جلبي وسعدي أفندي. أصله من ولاية قسطموني ثمّ أتى إلى القسطنطينية. تربّى على طلب العلم وتتلمذ على يد علماء عصره. ثمّ صار مدرّسا في عدّة مدارس بالقسطنطينية، وعيّن قاضيا فيها كذلك. كان تقيّا صاحب أخلاق فاضلة، قوي الحفظ. كتب حاشية مفيدة على تفسير البيضاوي. توفّي سنة 945هـ/1538م.[6]

---

[1] هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري المتوفى س. 1069هـ/1659م. (ينظر: الزركلي، لأعلام، 238/1).

[2] هو إسماعيل بن محمد بن مصطفى، أبو المفدى، عصام الدين، القونوي، المتوفى س. 1195هـ/1781م. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 325/1).

[3] تلي ترجمته في الفقرة القادمة.

[4] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، المتوفى س 911هـ – 1505م، (ينظر: الزركلي، الأعلام، 301/3).

[5] طاشْكُبْري زَادَهْ، الشقائق، 62؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 188/1؛ الأعلام للزركلي، 228/7.

[6] طاشْكُبْري زَادَهْ، الشقائق، 265؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 191/1، 1306/2.

### 6.4. المحشّي شيخ زاده

هو محمّد بن مصلح الدّين مصطفى، محي الدّين، القوجوي، الحنفي، المعروف بشيخ زاده. كان مفسّرا فقيها ومدرّسا في القسطنطينية. ألّف عدّة كتب في الفقه. ومن أشهر مؤلّفاته حاشيته على تفسير البيضاوي وهي كاملة. تُعدّ من أشهر الحواشي على تفسير البيضاوي وأنفسها كما أسلفنا. توفّي شيخ زاد سنة 951هـ/1544م.[1]

وقد نقل عن حاشيته الأسكوبي في كتابه كثيرا وعقّب كلامه تعليقا ونقدا.

### 7.4. أبو السّعود

هو محمّد بن محمّد بن مصطفى، المولى أبو السّعود، العمادي، الحنفي، الملقّب ب"شيخ الإسلام"، و"مفتي الأنام". ولد سنة 898هـ/1493م[2] بقرية قريبة من القسطنطينية، تربّى في بيت علم وفضل. برع في علوم كثيرة وتولّى التّدريس في مدارس كثيرة في القسطنطينية وغيرها. ثم تولّى قضاء بروسى ثم انتقل ليتولّى قضاء القسطنطينية، ثمّ قضاء العسكر في ولاية روم إيلي إلى أن اضطرب أمر الفتوى بانتقالها من يد إلى يد. فتولّى الفتوى واستقرّت على يده خير استقرار وأحسن فيها. كان يفتي ويجيب على الأسئلة على منوال السّؤال وعلى حسب لغة السّائل فبالعربيّة أو التّركية. انشغل عن التّصنيف بسبب التّدريس والفتوى والأشغال الأخرى ومع ذلك صنّف في التّفسير أحد أعظم التفاسير سمّاه إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم. توفّي سنة 982هـ/ 1574م.[3]

يعتبر تفسيره من أروع ما ألّف في التّفسير من حيث اللّغة والبلاغة وقد اشتهر وتلقّى قبول أهل العلم وثناءهم عليه.

أبو السّعود وإن لم يكتب حاشية على تفسير البيضاوي إلا أنّه وقف عليه وتأثّر منه.[4]

---

[1] ينظر: البغدادي، هدية العارفين، 238/2؛ الزركلي، لأعلام، 99/7.

[2] ونُقل غير ذلك عن تاريخ ولادته.

[3] ينظر: طاشْكُبْري زَادَهْ، أحمد بن مصطفى، الشّقائق النّعمانية في علماء الدّولة العثمانية، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، 1395هـ/1795م، 440-445؛ البغدادي، 253/2-254.

[4] ينظر: يوسف أحمد، البيضاوي ومنهجه في التفسير، 310-313.

وقد نقل عمر الأسكوبي في كتابه عن أبي السّعود كثيرا وعلّق على كلامه تعليقات ونقدا علميا عليه.

## الفصل الثاني

### كتاب فتح الغطاء عن وجه العذراء – خصائصه من ناحية التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرأي ونقد الأسكوبي العلمي

قد بيّنّا فيما سبق أن طبيعة هذا الكتاب ليس ككتب التفسير التي يذكر المفسّر فيها الآية ثم يبين معناها إلى آخره، وإنما هذا الكتاب عبارة عن نقد وتحقيق، فيغلب عليه تعليقات المؤلِّف على كلام المفسّرين الذين ينقل عنهم، سواء وافقهم أو خالفهم؛ أما تفسيره المباشر فهو قليل. وسنحاول من خلال تعليقاته هذه أن ندرس ونبيّن منهجه وطريقته في التّفسير، وسنأتي بما يشهد على ذلك بذكر أمثلة من كتابه.

ثم بعد ذلك سنحاول أن نبيّن نقده لبعض المفسّرين الذين أكثر من ذكرهم والتعليق على آرائهم؛ وكذلك نقده لمحشّين على تفسير البيضاوي، سواء كانت شروحا لكلام البيضاوي أو وجهات نظرهم في مسائل علمية، وذلك بذكر أمثلة عليه.

#### 1. خصائصه من ناحية التّفسير بالمأثور

تواجد عبر تاريخ العلوم الإسلامية اتّجاهان رئيسان يشكّلان المنظومة الفكرية في الحضارة الإسلامية؛ هما الاعتماد والتركيز على مأثور العلم والمعارف بشكل أساسي، والاهتمام بالنّص الشرعي بالدرجة الأولى والتّحاكم إليه في كل شيء. والاتجاه الثاني الذي يعتمد بالأساس على إعمال العقل والتّحاكم إليه في كل شيء. ويُطلق على الاتجاه الأول بالنقل وعلى الثاني بالعقل، وهذان المصطلحان موجودان في كتب الفلسفة وعلم الكلام وغيرهما. وقد تشكّلت مذاهب في العقيدة والفقه تنسب إلى أحد الاتجاهين وأخرى إلى الاتجاه الآخر؛ فهناك مذهب أهل السنّة ومذهب المعتزلة في الاعتقاد، وما يسمى بمذهب أهل الحديث ومذهب أهل الرأي في الفقه، وإن كان الفرق بين المذاهب الفقهية بعيدا عن الفرق بين المذاهب العقدية من حيث الأصول والتعامل مع النصوص الشرعية.

إذا نظرنا إلى علم التّفسير نجد فيه كلا الاتّجاهين منذ القدم، إذ قد ظهر ما يسمى بالتّفسير بالمأثور أو الرواية، والتّفسير بالمنثور أو الرأي. ولا يعني أنهما منقسمان بالحديد، فمعظم كتب التّفسير

قد حوت النوعين مع تغليب أحدهما على الآخر. فالتّفسير بالمأثور عبارة عن بيان معاني القرآن الكريم بالاعتماد على القرآن وما نقل عن النبي -صلّى الله عليه وسلم- وما نقل عن الصحابة والتابعين.[1]

ومن خلال البحث في كتاب الأسكوبي (فتح الغطاء) نجد أنه يلقي أهمية كبيرة للنقل، ويقدّمه على الآراء والاستنباطات المخالفة ويعتمده في الترجيح بين الأقوال.[2] ومع أن كتابه تعليق على تفسير البيضاوي فبطبيعة الحال سيغلب عليه التوضيحات اللغوية وما إلى ذلك، إلا أنه كان يعتمد على المأثور في تفسيره، وستأتي نماذج تشهد بذلك.

### 1.1. تفسير القرآن بالقرآن

إن القرآن الكريم مصدر من مصادر التّفسير الرئيسية، كما تفسير القرآن بالقرآن من أهم طرق التفسير. عرّف بعض العلماء تفسير القرآن بالقرآن بأنه: "بيان معنى آية بدلالة آية أخرى".[3] ولكن إذا نظرنا إلى كتب التّفسير نجد أن الآيات القرآنية تُورَد لأغراض أوسع من ذلك، وليس لبيان آية بآية أخرى فقط؛ وإنما للاستشهاد والاستنباط وما إلى ذلك.

ونجد جذور هذا المنهج في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم، حيث كان صلّى الله عليه وسلّم يفسّر القرآن بآيات قرآنية أخرى فيما نقل عنه في عديد من الروايات، وتبعه المفسّرون في ذلك إلى يومنا هذا؛ فمنهم المكثر ومنهم المقتصد؛ وقد أُلّفت كتب في هذا النوع من التّفسير خاصّة مثل كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" لمحمد الأمين الشنقيطي.

وننوّه هنا إلى أمر مهمّ فيما يتعلق بهذه الطريقة، وهو أنه لا يصحّ أن يُتجاوز تفسير القرآن بالقرآن إذا كان صريحا؛ فمثلا تفسير "الطارق" في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[4] بالآيتين التاليتين: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾،[5] هنا بيّن الله تعالى معنى "الطارق" بما جاء بعدها بصيغة

---

[1] الذهبي، التفسير والمفسرون، 137/1.

[2] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 7 أ، و24 ب، و28 أ، و45 ب.

[3] الطيار، مساعد بن سليمان، التحرير في أصول التفسير، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1438هـ/2017م، 42.

[4] الطارق (86)، 1.

[5] الطارق (86)، 2-3.

صريحة. ويأخذ هذا الحكمَ؛ التّفسير إن كان من قِبل الذي لا ينطق عن الهوى صلّى الله تعالى عليه وسلم؛ إلا أنه يدخل في باب تفسير القرآن بالسّنة.

والدليل على تقديم تفسير القرآن بالقرآن كون النبي صلّى الله عليه وسلم استعمله كما ذكرنا؛ بالإضافة إلى الدليل العقلي؛ فالمنطق يقول إنه لا أحد أعلم بمراد القائل بقوله منه.

وإن كان هذا النوع من التّفسير من غيره صلّى الله عليه وسلم، أو ليس تفسيرا صريحا؛ فهو أمر اجتهادي يجتهد المفسّر فيه، وهو قابل للصواب والخطأ.[1] أي لا يعني بالضرورة أن مراد الله بكلمة معينة، أو عبارة، أو تركيب معين، هو المعنى المختار من قبل المفسّر من خلال الآية الأخرى.

ويكون تفسير القرآن بالقرآن على عدة أنواع؛ فقد يكون لبيان المجمل، أو لتوضيح مفردة أو عبارة وبيان المراد بها، أو تقييد المطلق، إلى غير ذلك.

واستعمل الشّيخ عمر الأسكوبي هذه الطريقة في كتابه لبيان معاني الألفاظ والتراكيب، وقام بتوظيف الآيات للاستشهاد بها في المسائل المطروحة، وللاستنباط؛ ولكن استعماله لهذه الطريقة قليل؛ وفيما يلي أمثلة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]

فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ في بيان معنى (الإلقاء): "لا يخفى على أحد أن الإلقاء بمعنى الوضع كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾،[3] وقوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ

[1] الطيار، التحرير في أصول التفسير، 47.

[2] الأعراف (7)، 150.

[3] النحل (16)، 15.

قَوْلًا ثَقِيلًا﴾،[1] لا يحصل منه الجرأة"[2] في مناقشته للقول بأن إلقاء الصحف فيه جرأة عظيمة على كلام الله.

فكما نرى جاء بالآيتين توضيحا أن معنى الإلقاء هو غير المتبادر إلى الذهن من كونه فيه جرأة على الله؛ إذ الآيتان فيهما معنى الإلقاء بمعنى الوضع.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[3].

ففي بيان حال الكفّار وتوضيح عدم نفع أعمالهم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ استشهد بقوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[4] حيث إن أعمالهم الحسنة من المكارم كصلة الرحم، وقرى الضيف، وإغاثة الملهوف بعدما كان يحسبها الكفّار أعمالا لها وزن ويثابون عليها؛ قد صارت وكأنها لا شيء.[5]

### 2.1. تفسير القرآن بالسّنة

إن الله تعالى أنزل القرآن وأرسل النبي صلّى الله عليه وسلم مبلّغا رسالاته ومبيّنا كلامه، وقال تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[6] فالنبي صلّى الله عليه وسلم هو المفسّر الأول للقرآن الكريم، سواء أكان بكلامه أو أفعاله.

ونقصد بتفسير القرآن بالسّنة هنا تفسيره صلّى الله عليه وسلّم المباشر للقرآن بكلامه، وهو أن يذكر الآية أو يشير إليها ثم يبين معناها، وهو حجة؛ وتفسير المفسّرين للآية بالأحاديث المروية عنه

---

[1] المزمل (73)، 5.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 42 أ.

[3] النور (24)، 39.

[4] الفرقان (25)، 23.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 14 ب – 15 أ.

[6] النحل (16)، 44.

صلّى الله عليه وسلم التي لم ترد في سياق التّفسير، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه التّفسير بالسنة غير المباشر.[1]

عمر الأسكوبي أبدى اهتمامه الكبير بالحديث الشريف وتمكّنه منه، فهو يورد أحاديث وآثار كثيرة في موضوع ما إذا أراد التوسّع فيه،[2] كما نجده يشرحها ويبين معاني مفرداتها أحيانا،[3] حتى يحكم عليها بالصحة أو الضعف في أحيان أخر.[4]

وفيما يلي سنحاول أن نبين كيفية استعمال عمر الأسكوبي لهذا النوع من التّفسير من خلال بعض الأمثلة:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾.[5]

ففي تفسير هذه الآية ذكر حديث الرسول صلّى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عمر رضي الله عنه، حين سئل عن هذه الآية، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يسأل عنها، فقال: "إن الله تعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون؛ ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون". فقال رجل: فَفِيمَ العمل يا رسول الله؟ فقال صلّى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله النار".[6]

---

[1] ينظر: الطيار، التحرير في أصول التفسير، 63-64.

[2] ينظر: الأسكوبي، ورقة 19 أ وب.

[3] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 24 ب، 25 أ.

[4] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 20 أ، 24 أ،

[5] الأعراف (7)، 172.

[6] مالك بن أنس، الموطّأ، تحقيق: محمّد مصطفى الأعظمي، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: مؤسّسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ/2004م، باب النهي عن القول بالقدر (677)، 1322/5؛ مسند أحمد، (311)، 400/1؛ التّرمذي، محمّد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، الطّبعة الأولى، بيروت: دار

ثم شرح معنى المسح في هذا الحديث وحاول بسطه.[1] ويجب أن يفهم هذا الحديث وأمثاله على ضوء الأصول الثابتة والنصوص القطعية التي تُثبت للإنسان إمكانية الاختيار، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾،[2] ثم إن الله تعالى يحيط بعلمه كل شيء وليس علمه محدودا بالزمن أو بأي شكل من الأشكال، فيمكن توجيه هذا المعنى بأنه تعالى علم من سيؤمن ومن سيكفر قبل أن يخلقهم، فكتبه وخلقهم على ذلك.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.[3]

ذكر في تفسير هذه الآية في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾: "بأن تبدّل أفعال نفسك بالأعمال التي أمر الله تعالى بها، فتعملها بمقتضى أمر الله على وجه العبادة لا بمقتضى شهوة النفس على وجه العادة".[4] ثم أورد الحديث الذي يُبيّن فيه فائدة هذا الذكر في قوله صلّى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل في الحديث القدسي أنه قال: "وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي"؛[5] وهو سر قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾.[6]

---

الغرب الإسلامي، 1996م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف (3075)، 158/5؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، 24 ب.

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، 24 ب – 25 أ.

[2] الكهف (18)، 29.

[3] الأعراف (7)، 205.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 31 ب.

[5] مسند أحمد، (10224)، 167/16.

[6] البقرة (2)، 152، الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 31 ب.

### 3.1. تفسير القرآن بأقوال الصّحابة والتّابعين

#### 1.3.1. أقوال الصّحابة

يعدّ قول الصّحابيّ في التّفسير أهمّ المصادر بعد كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم؛ لأنّهم شهدوا التّنزيل وعرفوا أسباب النّزول ومن نزل فيهم. وقولهم يعتبر حجة فيما ليس له سبيل للوصول إليه ما عدا الاعتماد على رواياتهم كمعرفة أسباب النّزول.

واعتمد الأسكوبي على قول الصحابة في تفسيره، وفيما يأتي مثالان لذلك:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.[1]

ففي تفسير هذه الآية اعتمد على الأثر المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه حيث بين أنه عناهم جميعا وذكر أنه: "جعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: "ألست بربكم؟" قال: "فإني أشهد عليكم السّماوات السّبع وأشهد عليكم أباكم آدم؛ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً؛ إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي". قالوا: "شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك لا إله غيرك"، فأقرّوا بذلك ورفع عليهم آدم عليه الصّلاة والسّلام ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك؛ فقال: "ربِّ لولا سويت بين عبادك؟" قال: "إني أحببت أن أشكر"، ورأى الأنبياء فيهم مثل السّراج عليهم النّور خُصُّوا بميثاقٍ آخر في الرّسالة والنّبوّة؛ وهو

[1] الأعراف (7)، 172.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾[1] إلى قوله: ﴿عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾،[2] كان في تلك الأرواح فأرسله إلى مريم عليهما السّلام فحدّث عن أبي أنه دخل من فيها".[3] رواه أحمد رحمه الله.[4]

ففي هذا المثال يعتمد المؤلّف في تفسير هذه الآية على قول الصحابي ويرى أنه يقرّب معنى الآية ويوضّح معناها.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]

استدل بقول الصحابي في تفسير ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ بما نقل عن سعدي جلبي فيما رواه مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الأشدّ ما بين الثّماني عشرة إلى الثلاثين والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين".[6]

### 2.3.1. أقوال التّابعين

التابعون وإن اُختلِف في كون تفسيرهم من قبيل التّفسير بالمأثور أو بالرأي،[7] إلا أن أكثر العلماء ذهبوا إلى إدراج تفسيرهم تحت التّفسير بالرواية.[8] وذلك لاعتبارات؛ أهمّها أنّهم عاصروا الصحابة الذين عايشوا التّنزيل، وأخذوا عنهم مباشرة، ونقلوا أقوالهم؛ ويضاف إلى ذلك أنّهم كانوا في

---

[1] الأحزاب (33)، 7.

[2] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب (33)، 7].

[3] مسند أحمد، (21232)، 35/155-156؛ الحاكم، المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (3255)، 353/2.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة، 25 ب-26 أ.

[5] القصص (28)، 14.

[6] السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التّفسير بالمأثور، دون رقم طبعة، بيروت: دار الفكر، 1433هـ/2011م، 397/6؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 44 أ.

[7] الزرقاني، مناهل العرفان، 433/1؛ الذهبي، التفسير والمفسرون، 117/1.

[8] الذهبي، التفسير والمفسرون، 137/1.

عصر الاحتجاج اللغوي.[1] فباجتماع كل ما سبق كان اعتماد أقوالهم من طرف العلماء الذين كتبوا في التّفسير.

فالأسكوبي اعتمد على أقوالهم في تفسيره وتوجيه الأقوال، ونذكر مثالين عن ذلك:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾.[2]

في تفسير قوله تعلى: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ذكر فيما نقل عن البغوي فيما يرويه عن علقمة بن قيس أنه كان في جنازة رجل، فقام على القبر، فلمّا دفن قال: "أمّا هذا فقد قامت قيامته".[3]

فهنا ربط بين قوله تعالى ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ فصار وكأنه قد عاين يوم القيامة بما يحصل له وبما سيحصل له.

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[4]

في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَشُدَّهُ﴾ استدلّ بكلام التّابعي مجاهد في معرض ردّه على المحشّي الشهير بسعدي جلبي والذي قال بأنّ "الأشدّ" هو ما بين الثّماني عشرة إلى الثّلاثين مستدلّا بقول ابن عبّاس. فرد عليه الأسكوبي نقلا عن أبي الليث والإمام محيي السّنّة عن مجاهد أن: "الأشدّ ثلاث وثلاثون".[5] وعاب على المحشّي تعقيبه على المصنّف إذ قال بعد إيراده لقول ابن عبّاس رضي الله

---

[1] الطيار، التحرير في أصول التفسير، 93.

[2] الأعراف (7)، 37.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، 94/9؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 19 ب.

[4] القصص (28)، 14.

[5] ذكره الطبري بأسناده، ينظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ/2001م، 22/15.

عنهما: "وما ذكره المصنّف لا يوافق شيئا".[1] فما دام المصنّف أتى بنقل واختاره فلا يليق أن يرد عليه "القيل والقال" على حدّ تعبيره.[2]

### 4.1. أسباب النّزول

أسباب النّزول من العلوم المهمّة في الدّراسات القرآنية وهي: "ما نزلت الآية أوالآيات متحدّثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه".[3] وهي إمّا حادثة وقعت في الزّمن النبويّ فكان نزول الآية أو الآيات لبيان ما يتّصل بالحادثة أو جوابا عن ذلك السّؤال.[4] ولا تشمل أسباب النّزول كل القرآن، وتكمن أهمية معرفتها في فهم الآيات؛ حتى لا يكون فهم الآية سطحيا.

الأسكوبي تطرّق إلى أسباب النّزول وإن لم يُكثر منها. وفيما يلي نماذج عن ذلك.

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[5].

يستدلّ على تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ بإيراد سبب نزولها فيما يروى عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: "قال أهل مكة: "ألا يخبرك ربّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتري فنربح، وبالأرض التي تريد أن تجدب فنرحل عنها إلى أخصب،" فنزلت".[6] ويتبع ذكره لهذا الأثر بإيضاحه للمعنى المستفاد من سبب النّزول هذا حيث بيّن أنّه إذ لو كان بيده الاختيار وبوسعه الإمكان لاستكثر من الخير.[7]

المثال الثاني:

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 44 أ.
[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 44 أ.
[3] الزرقاني، مناهل العرفان، 101/1.
[4] الزرقاني، مناهل العرفان، 101/1.
[5] الأعراف (7)، 188.
[6] البغوي، معالم التنزيل، 310/3.
[7] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 31 أ.

قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.[1]

بعدما أورد كلام البيضاوي في سبب نزول هذه الآية حيث ذكر أنّه لمّا نزلت ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وثب النبي صلّى الله عليه وسلم ورفع النّاس رؤوسهم، فنزلت: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾. فوجّه مراد المصنّف بالاستعجال بأنه اعتقاد كونه عاجلا غير آجل؛ إذ غلبة الخوف كانت سببا في رفع النّاس رؤسهم ووَثْب النبي صلّى الله عليه وسلّم، معتقدين أنّ أمر الله قد أقبل عليهم، فنزلت ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ تسلية لهم وإنزالا للسكينة عليهم.[2]

### 5.1. القراءات

القراءات جزء مهمّ في الدّراسات القرآنية؛ بل هي من التّفسير، وذلك أن المعنى قد يختلف باختلاف القراءات.[3] فبمعرفة القراءات يستطيع المفسّر أن يرجّح قولا على آخر.[4] وعرّفها ابن الجزري في كتابه "منجد المقرئين ومرشد الطالبين" بأن "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"،[5] أما الزركشي فقال في تعريفها: "القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما".[6]

وقد تطرّق الأسكوبي في كتابه إلى القراءات، فيذكر أحيانا اختلافها دون أن يعزوها إلى القرّاء، وإنما يكتفي بإيرادها وتوجيه المعنى لكل قراءة. وفيما يأتي مثالان على ذلك.

المثال الأول:

---

[1] النحل (16)، 1.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 38 ب.

[3] الذهبي، التفسير والمفسرون، 18/1.

[4] الذهبي، التفسير والمفسرون، 230/1.

[5] ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م، 9.

[6] الزّركشي، محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، بيروت: دار التّراث، 1957م، 318/1.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ففي كلمة "خالصة" دافع عن المصنّف وبين أنه أورد قراءة النّصب على الحال فقط وقرر المعنى على ذلك، وبيّن أنه لا تناقض في كلامه، ثم ذكر قراءة الرفع ولم يعز القراءات لأصحابها.[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.[3]

ففي قوله تعالى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ذكر قراءة الذين قرؤوا بالتاء المنقوطة من فوق وأنها قراءة الجمهور "تقولوا"، ومنهم من قرأ بضمير الغائب (يقول) ولم يذكره؛[4] ثم أتى بالمعنى الذي تفيده كل قراءة فقال:

وأما القراءة بالتاء المنقوطة من تحت، فحينئذ يكون مفعولا له لنفس الأمر، والمضمر العامل في ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾ أي: أذكر له الميثاق المقاليّ الأزلي؛ لئلا يعتذروا بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء. هذا على تقدير أن يكون قوله تعالى ﴿شَهِدْنَآ﴾ من كلام الذرية على ما هو الظاهر، ومن حديث أبي رضي الله عنه هو المتبادر. وأما على احتمال أن يكون من كلامه تعالى لهم فهو العامل في ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ولا محذور أصلاً؛ إذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا الآية؛ لأن نردكم ونكذبكم.[5]

---

[1] الأعراف (7)، 32.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 18 ب؛ فنافع قرأها بالرفع وباقي القراء بالنّصب (خاروف، محمد فهد، التّسهيل لقراءات التّنزيل، الطبعة الثالثة، دمشق: دار البيروتي، 1433هـ/2012م، 154).

[3] الأعراف (7)، 172.

[4] وهو أبو عمرو بن العلاء (خاروف، التّسهيل لقراءات التّنزيل، 173).

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 29 أ.

## 2. خصائصه من ناحية التّفسير بالرأي

ويطلق عليه التّفسير بالدّراية أيضا وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد تحصيل المفسّر قدرا كافيا من بعض العلوم، وتوفّره على شروط تؤهّله لهذا النّوع من التّفسير. وأهمّها إحاطته باللّغة، ومعرفته بأسباب النّزول وعلمه بالنّاسخ والمنسوخ، وغير ذلك.[1]

سبقت الإشارة إلى أن تفسير البيضاوي يعدّ من التّفاسير بالرأي، وأنه مركّز العبارة. فأكثر ما اهتمّت به الحواشي والتعليقات عليه هو بسط عباراته، وتفكيك مركّبه، وحلّ غوامضه.

وحاشية الأسكوبي لا تكتفي فقط بتفسير البيضاوي وإنّما تحقّق تعليقات أخرى على تفسيره. فمن خلال هذه التعقيبات سأحاول في هذا الجزء أن أبيّن خصائص كتابه ومنهجه فيما يتعلق بالتّفسير بالرأي، مركّزا على أهمّ مجالاته.

### 1.2. الفقه وأصوله

#### 1.1.2. الفقه

إن القرآن الكريم اشتمل على ما يتعلّق بالعقائد والأخلاق والأحكام. وقد ألّف بعض العلماء نوعًا من التفسير يسمى تفسير آيات الأحكام أو أحكام القرآن، أي الأحكام التي تتعلق بأعمال المكلّفين.

وبعد استقراء كتاب فتح الغطاء يتبيّن أن عمر الأسكوبي لا يتطرّق إلى آيات الأحكام ولا يذكر المسائل الفقهية إلا نادرا، وهي كلها بضعة مسائل. ولا يدخل في الاختلافات الفقهية ولا يعزو الأقوال إلى المذاهب. وسأحاول أن أبيّن كيفية تعامله مع المسائل الفقهية من خلال بعض الأمثلة.

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾.[2]

---

[1] الذهبي، التفسير والمفسرون، 221/1.

[2] الإسراء (17)، 1.

بعدما ذكر قول البيضاوي في بيان معنى (المسجد الحرام) ذكر قول المحشّي سعدي جلبي القائل بأن المسجد الحرام هو البيت، ثم ردّ عليه قائلا:

لا يذهب على أحد أن المسجد الحرام ليس البيت، بل الذي البيت العتيق الشريف في وسطه والحرم محيط بالمسجد الحرام، وذلك هو المحسوس المعاين؛ ولذا قال الفقهاء الكرام رحمهم الله تعالى: يكفي للآفاقي التوّجه إلى جهة المسجد الحرام، ولا يكفي للمكّي إلا التّوجه إلى نفس البيت.[1]

فهنا ذكر مسألتين؛ أوّلهما المقصود بالمسجد الحرام، فيقول بأنّ المراد بالمسجد الحرام ليس البيت فقط، لكن المسجد هو الذي يكون البيت في وسطه، أي جزء منه؛ أما الحرم فهو المحيط بالمسجد.

أما المسألة الثانية فهي مسألة فقهية تترتّب على المسألة الأولى، وهي حول شرط من شروط الصّلاة الذي هو التوجه نحو القبلة في الصّلاة؛ فذكر أن هناك فرقا بين ساكن مكة والآفاقي، أي الذين ليسوا من سكان مكة، فالمكي يجب عليه التوجه إلى البيت ذاته، أما غيره فيكفي التوجّه نحو المسجد الحرام.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا﴾[2]

ذكر في تفسير قوله تعالى ﴿لَحۡمًا﴾ قول أبي السّعود في المسألة، وهو انحصار الانتفاع بلحم السّمك، ونقده فبيّن أن الانتفاع لا يقتصر على اللّحم فقط بل يُنتفع بريشه وعظمه أيضا، وقال بأن هذا مشهور مبديا تعجّبه من خفاء هذه المسألة على أبي السّعود.[3]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 39 أ.

[2] النحل (16)، 14.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، 38 ب.

### 2.1.2. أصول الفقه

من المسلّم به أن هناك مسائل علمية مشتركة بين العلوم، فتكون (هذه المسائل) محل بحث ودراسة في عدة علوم ومن زوايا مختلفة. ومن المعلوم أيضا أن القرآن الكريم كمصدر تشريعي وكدليل كلي من أهمّ مباحث أصول الفقه، بالإضافة إلى دراسة دلالات الألفاظ.

إذا نظرنا إلى كتاب فتح الغطاء نجد أن عمر الأسكوبي قد تناول بعضا من هذه المسائل بشكل مطوّل حتّى يظن القارئ أنه يقرأ كتابا في العقيدة أو الحديث وليس كتاب تفسير.

من هذه المسائل المشتركة التي وقف عندها الاسكوبي هو الاستدلال بخبر الآحاد وحجّيته. فنجده ينتصر إلى صحة الاستدلال به ووجوب العمل به ناقلا أقوال العلماء فيه؛ سواء أكان في تفسير الآيات أو في موضوع آخر.[1]

أمّا مسائل أصول الفقه من زاوية أصولية بحتة تكاد أن لا ترد في كتاب الأسكوبي هذا. وقد أورد قاعدة أصولية في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾[2] في ردّه على شيخ زاده حيث ذكر أن فرحهم بالقعود عن الغزو يدلّ على كراهتهم الجهاد، وبيّن أن ذكر فرحهم بالقعود في الآية أغنى عن ذكر كراهتهم الجهاد. فرد عليه المؤلّف بأن كلامه هذا غير مسلّم وقال: "الفرح بالشيء لا يستلزم الكراهة بضدّه، بل لا يستلزم عدم الفرح به فضلا عن الكراهة؛ لأنّه يمكن أن يفرح بالشيء بوجه وبضدّه أيضا بوجه".[3] ثمّ استدلّ على هذا المعنى بقاعدة أصولية: "في ضمن الأمر بالشّيء النهي عن ضده، وكذا عكسه"،[4] فكأنه أراد أن يبيّن خطأ إسقاط هذه القاعدة على مثال المحشّي.

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 28 أ – 28 ب.

[2] التوبة (9)، 81.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 ب -35 أ.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 ب -35 أ.

### 2.2. علم الكلام

علم الكلام من العلوم التي لها نصيب في كتب التّفسير، هذا لأهميته ولورود آيات كثيرة هي سند هذا العلم ومحل بحثه. فقد نجد من المفسّرين من يولي زيادة عناية بعلم الكلام.

ومنهم عمر الأسكوبي إذ غلب في كتابه على بقية العلوم. وعند تتبّع المسائل التي تطرّق إليها نجد أنه في الغالب؛ إما يتعمّق في بعض المسائل فيأتي بالأقوال فيها ويوجّهها، أو يتتبّع مسائل اعتزالية وقع فيها المفسّرون والمحشّون، وينبّه عليها ويردّ على بعضها، أو يذكر المسألة الكلامية في معرض شرح كلام أحد المفسّرين للآية دون إطناب. وسنأتي بما يدعم ذلك من أمثلة.

#### 1.2.2. إيراده المسائل الكلامية وتوجيهها

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.[1]

بعدما ذكر قول البيضاوي في معنى الاستواء في هذه الآية بيّن أن العلماء قد انتهجوا فيها نهجين متباينين وانقسموا إلى مذهبين مختلفين؛ هما مذهب الخلف والسّلف. وذكر أن الخلف سلكوا تأويل المتشابه وجعلوا تطبيقه بالأصول المحكمة أهمّ، وقد نحا قوم نحوا قريبا من سابقيهم، ووصف المؤلّف مذهبهم بأنّه "المذهب الحقّ الأحكم" فبيّن أنّهم لا يقفون على لفظة "الله" في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾،[2] بل يعطفون عليه قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[3] فيجعلون الرّاسخين في العلم من الذين يعلمون تأويل المتشابه؛ والذي من بينه آية الاستواء هذه، كما بيّن سبب اختيار المصنّف مذهب الخلف، وأنّه لأجل ما فيه من حفظ قلوب العوام من الخلط والأوهام، وذودا للكلام من أن يصيبه شيء من مطاعن وشبهات الملاحدة. ثمّ انتقل إلى ذكر مذهب السّلف في المسألة ووضّح أنّهم تبنّوا فكرة تفويض العلم إلى الله سبحانه وتعالى، والمهمّ عندهم هو الإيمان والإسلام. وأنّ موقفهم

---

[1] الأعراف (7)، 54.

[2] آل عمران (3)، 7.

[3] آل عمران (3)، 7.

من هذا النّوع من الآيات هو التّوقّف على لفظة "الله" موكلين علمها إلى الله سبحانه وتعالى فقط، وأمّا هم فواجبهم التّسليم والإذعان، ووصف مذهبهم بأنّه المذهب الحقّ الأسلم.[1]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾[2]

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ذكر تفسير أبي السّعود للّفظة وهو يقول بأنّ الآية تفيد معنيين: أحدهما أن مدّة التّوفّي تمتدّ من مجيئ الرسل إلى يوم الجزاء؛ والمعنى الآخر هو بيان سرعة وقوع البعث والجزاء لدرجة أن عُبّر عنهما وكأنّهما قد وقعا في لحظة التّوفّي استدلالا بالخبر: "من مات فقد قامت قيامته".[3]

وردّ الأسكوبي قوله بأنه خلاف ما قال به السلف في الآية؛ إذ لم تخرج أقوالهم من أن المراد بالتّوفّي هو إما: قبض الروح لإفادة لفظ الوفاء ذلك المعنى؛ ومستدلا بقول ابن عباس رضي الله عنهما: "الموت قيامة الكافر"،[4] فالسؤال يقع من قبل ملائكة الموت عند حضور الأجل على سبيل الزجر والتوبيخ.

وذكر قولا آخر من أقوال السلف أن التّوفّي المقصود هو غير الذي يكون عند الموت، وإنما هو توفي عدتهم عند سوقهم إلى النار؛ وهذا لا يكون إلا يوم القيامة، وهو قول الحسن البصري رحمه الله؛ فكان المعنى بالتوفي أن ملائكة العذاب سيستوفون الكافرين عند حشرهم حتى لا ينفلت منهم أحد، ويكون سؤالهم وجواب الكافرين لهم عند سوقهم إلى جهنّم.

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 21 أ.

[2] الأعراف (7)، 37.

[3] ذكر في كتب التفسير: الزمخشري، الكشاف، 324؛ الرازي، مفاتيح الغيب، 94/9؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 226/3.

[4] ذكره الرازي في تفسيره، ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 76/14.

ثم بيّن وجه ضعف استدلاله بالخبر في قوله الثاني على بيان سرعة وقوع البعث والجزاء بالخبر، ثم بيّن المراد بالقيامة وأنه هو بيان قرب القيامة الصغرى وهي موت الإنسان؛ وهناك القيامة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت، أو موت جميع الخلق؛ والقيامة الكبرى وهي بعث النّاس للجزاء.[1]

### 2.2.2. تتبعه المسائل الاعتزالية والتنبيه عليها

الحديث هنا عن مسائل عقدية في التّفسير على مذهب المعتزلة، أغلبها وقعت عن طريق الزّمخشري من كتابه "الكشّاف"، وكثير منها خفية حتى على بعض أهل الفضل والعلم، فنجد البُلقيني يقول في ذلك: "استخرجت من الكشاف إعتزالا بالمناقيش".[2] ومن الذين ينبّهون عليها مؤلّفنا عمر الأسكوبي، وفيما يلي سأحاول بيان ذلك من خلال مثالين:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.[3]

ذكر قول أبي السّعود في تفسير هذه الآية وكيف أن الله تعالى لم يذكر معجزة النبي شعيب عليه السّلام في القرآن العظيم ثم أورد بعض معجزاته كمحاربة موسى عليه السّلام التنّين، وولادة الغنم الدرع، ومنها وقوع عصا آدم عليه السّلام على يده في المرات السبع واعتبرها معجزات لشعيب عليه السّلام لأنها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السّلام.[4]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 19 ب.

[2] السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 1434هـ/2013م، 789.

[3] الأعراف (7)، 85.

[4] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 247/3.

فنبّه الأسكوبي إلى أن أبا السّعود وافق المعتزلة في إنكارهم وجود إرهاصات قبل النبوة، وقال: "لعله نسي مذهبه، واغتر بكلام الزّمخشري حيث زعم أن لا يكون إرهاصات قبل النبوة، وهو مذهب الاعتزال"؛[1] فالمعجزات التي ذكرها لمّا كانت قبل بعثة موسى عليه السّلام جعلها المعتزلة معجزات للنبي شعيب عليه السّلام لأنها كانت في آخر عمره، وقد انخدع كثير من العلماء على غرار أبي السّعود، كما نبّه إليه الأسكوبي.[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[3].

ذكر في تفسير هذه الآية كلام البيضاوي ومنه نفيه دلالة التمنّي على أن العبد مستقل بفعله، إذ المجبور عن الشيء أيضا يجوز عقلا أن يتمنى لو كان مُمَكَّنا منه. فنبّه الأسكوبي أن المصنّف أراد الرد على الزّمخشري، إذ قال: "هذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقاً بقصدهم وإرادتهم، وأنهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع، وإلا فما معنى التحسر".[4]

وفي رده عليه قال: "فإذا جاز تمني المحجور فتمني المختار الغير المستقل أولى وأفيد"، ثم عاتبه لافترائه على أهل السنة وبيّن أنهم يثبتون الاختيار.[5]

### 3.2.2. إيراده المسائل الكلامية دون توسّع

مثاله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[6].

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 22 ب.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 22 ب.

[3] الفجر (89)، 24.

[4] الزمخشري، الكشاف، 1202.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 54 أ.

[6] يوسف (12)، 106.

ذكر كلام البيضاوي وكلام سعدي جلبي في أنواع الشرك التي قل ما ينجو أحد منها، وبيّن أن طريق النجاة من الوقوع في هذا المحظور إنما يكون باتخاذ الأسباب باعتبارها مجردة عن التأثير ومعرفة أن المؤثر الوحيد والأوحد هو الله سبحانه؛ فمن توفرت فيه هذه العقيدة كان موحدا ناجيا من الوقوع في هذه الأنواع من الشرك.[1]

### 3.2. اللّغة

إن نزول القرآن الكريم تزامن مع بلوغ العرب الذِروة في الفصاحة والسيادة في البلاغة، لذلك كان العرب يفهمون القرآن سليقة. فللغة العربية أهمية بالغة في فهم القرآن؛ وهي من أهم مصادر التّفسير ومن أكثر الطرق استعمالا في بيان معاني القرآن.

فلا يخلو تفسير إلا واعتمد عليها، وكتاب الأسكوبي ليس بدعا من ذلك. فهنا سنحاول أن نوضّح أسلوب المؤلّف في التعامل مع اللّغة وقواعدها، وكيفية استفادته منها في التّفسير من خلال ما وقفت عليها من مسائل متنّوعة موضّحا ذلك بأمثلة.

#### 1.3.2. اعتماده على المعجم

المثال:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[2].

في تفسيره لقوله تعالى ﴿مَحْرُومُونَ﴾ قال البيضاوي "...أو محدودون لا مجدودون"[3]. اعتمد المؤلّف في هذه المسألة على مواد معجمية فيقول: "المحدود بالحاء المهملة المحارَف المحروم"[4] ونجد كلاما مقاربا لهذا من معجم مقاييس اللغة لابن فارس إذ يقول: "(حَدَّ) الْحَاءُ وَالدَّالُ أَصْلَانِ:

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 38 أ.

[2] الواقعة (56)، 67.

[3] البيضاوي، أنوار التنزيل، 181/5.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 51 أ.

الْأَوَّلُ الْمَنْعُ، وَالثَّانِي طَرَفُ الشَّيْءِ. فَالْحَدُّ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وَفُلَانٌ مَحْدُودٌ، إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا. وَ إِنَّهُ لَمُحَارَفٌ مَحْدُودٌ".[1]

### 2.3.2. ذكره الاختلافات النحوية

المثال:

قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[2].

قد يميل المؤلّف أحيانا إلى عرض اختلافات النحاة في الإعراب ليوظّف اختلافهم في شرح الآية، بل ربما يتعمق في التفاصيل قليلا؛ ففي قوله تعالى "ورسوله" بالنصب اختلف النحاة هل العطف على اسم (أن): أي اسم الجلالة، أم العطف على محل (أن) واسمها معا كونها تنسبك بمصدر واحد هو مفعول (أذان)؛ أو لأنها مفعول (أذان)؛ لأن الفعل علم يأخذ مفعولين. وأما الإجماع الذي رفع (رسوله) بالعطف على الابتداء قدّروا خبرا بعده: أي ورسوله بريء أيضا.[3]

### 3.3.2. تنوّع التّفسير بناء على اختلاف النّحاة

المثال:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾.[4]

يناقش المؤلف اختلاف المفسرين في مسائل لغوية تختلف وجوه تفسيرها باختلاف مسائل النحو وأوجهِه فيها، فذكر قول شيخ زاده الذي يقول بوجوب التقدير (فإنه) مع الفعل (يعذّبه) معلّلا ذلك بكون (من) -على قراءة من قرأ ألا- شرطية فيكون جوابها بجزم الفعل إذا أتى بعد الفاء (فيعذبْه). ورد عليه بأنّه يجوز في الفعل (فيعذبه) الرّفع والجزم، والرّفع أرجح الوجهين، وقد اختلف النّحاة في

---

[1] أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دون رقم الطّبعة، دون مكان النّشر، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 3/2.

[2] التوبة (9)، 3.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 ب.

[4] الغاشية (88)، 23- 24.

إعراب الفاء هل هي جواب الشّرط على اعتبار (من) حرف شرط، أو هي حرف عطف أو حرف استثناء.[1]

### 4.3.2. توظيف معاني حروف العطف

المثال:

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾[2]

يوظّف المؤلّف في الكلام حول تفسير الآية الثانية معاني حروف العطف في تحقيقه للمسألة، فيستفيد من معاني التّرتيب والتّعقيب التي تدلّ الفاء العاطفة عليه؛ ليبيّن وجه القول بأن التّوبة وقعت قبل هبوط ءَادَم عليه السّلام إلى الأرض. وهذا يدلّ على أنّ حروف العطف في اللّغة العربيّة من حروف المعاني، أي أنّها ليست حروفا شكليّة بنيوية، بل إنّها تؤدّي وظيفة معنوية مختلفة حسب ورودها في سياق محدّد. وإن كان الأسكوبي يرى خلاف القول المذكور لورود الروايات الدالّة على أن التوبة كانت بعد الهبوط إلى الأرض.[3]

### 5.3.2. الوصل والفصل

المثال:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾[4].

الوصل والفصل من المسائل المشتركة بين النحو والبلاغة، فالمؤلف في معرض ردّه على شيخ زاده الذي رجّح أن معنى ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ عقاب موصول في المستقبل على كسبهم للسيئات في الماضي، ذكر رأيه في كون (أن ترهقهم) معطوفا على (أن يجازى) التي هي تقدير للفعل، حتى يكون

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 53 ب.

[2] البقرة (2)، 37-38.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 6 ب - 7 أ.

[4] يونس (10)، 27.

التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه من حيث كون كليهما فعلا ومن حيث التوافق في زمن الفعلين.

### 6.3.2. ذكره مسائل صرفيّة

المثال:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[1]

يناقش المؤلّف هنا مسألة صرفيّة تتعلّق بالمصدر الميمي الذي على وزن مفعِل، فإذا كانت عين الفعل من هذا المصدر مكسورة فالغالب أن تفتح في المصدر الميمي. وقد شذ عن ذلك مصادر ميمية مثل المرجِع والمصِير والمهلِك إذ عين الفعل المضارع فيها -يرجِع، يصِير ويهلِك- مكسورة.[2]

## 4.2. البلاغة

اهتمت كتب التّفسير بإظهار إعجاز القرآن من عدّة وجوه، ومن هذه الأوجه البلاغة القرآنية المعجزة، إذ تلعب البلاغة دورا كبيرا في معرفة أسرار القرآن، وتذوّقه والتّلذّذ بقراءته وترتيله، وتمثّل عنصرا جماليا تُضْفيه على النصّ القرآني، وهذا ما جعل اهتمام المفسّرين منصبّا عليها محاولين إيضاح وإبراز الأسرار البلاغية التي تحمل معانٍ عظيمة للقرآن.

والأسكوبي كذلك أورد بعض المسائل البلاغية القرآنية في كتابه، منها على سبيل المثال:

### 1.4.2. علم البيان

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[3]

---

[1] الكهف (18)، 59.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 41 أ.

[3] الكهف (18)، 104-105.

مما يبرع به المصنّف نقد المسائل التّفسيرية نقدا بلاغيا فنجده يستخدم الكناية في فهم الهدي القرآني، فعدم إقامة الوزن للكافرين لا يعني عدم محاسبتهم ووزن أعمالهم في يوم الحساب، بل المراد ازدراؤهم وعدم الاعتداد بهم وإقامة الوزن والشأن لهم، فأعمالهم حقّرت منزلتهم.[1]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[2].

ممّا يُلفت الانتباه تركيز المؤلِّف على أسلوب الكناية واستخدام أساليبها؛ ومن أمثلة ذلك ذكر الجزء كناية عن الكل، وكمثال على ذلك قوله تعال: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ فذكر الوجه وهو الجزء كناية عن ذكر الكلّ أي توجيه النفس بالكلية للدين الحنيف. وغير ذلك من الإشارات واللطائف كالإشارة إلى الأصل بعد ذكر الفرع، فالإيمان أصل والمؤمنون فرع عليه، وذكر الشرك والمراد فيه الرياء.[3]

المثال الثالث:

قال الله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[4].

يوظّف المؤلّف علم المجاز في شرح المعاني المحتملة للآية الكريمة في بيان حال امرأة أبي لهب. وقد اختلف المفسرون في شرح الصورة والاستعارة فيها، فمنهم من جعل حملها للحطب حطّا لقدرها، أو لعلّ الشّوك المقصود وليس الحطب وهذه أيضا صورة، وتدنّي حالها في كونها حطابة تحمل الحطب في النّار أيضا صورة، والتعبير بالحطب عن الأوزار والمعاصي أيضا صورة.[5]

المثال الرابع:

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 13 ب.

[2] يونس (10)، 105.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 37 أ.

[4] المسد (111)، 5.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 55 ب – 56 أ.

قال الله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1]

من الأمثلة التي ذكرها الأسكوبي والتي أذهلت أهل البلاغة قبل غيرهم؛ وجود أسلوبين لغويين بلاغيين مختلفين، ولكنهما صالحان في تفسير آية واحدة، ففي قوله جل جلاله ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ نلمح:

استعارة تصريحية: إذا اعتبرنا أنه شبهت الطاعة بالجنب أي بالجهة المحسوسة.

كناية: إذا جُعل التفريط في جنب الله جل جلاله كناية عن التفريط في حقه.[2]

### 2.4.2. علم المعاني

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾[3].

يناقش المؤلّف ظاهرة فريدة من ظواهر اللغة العربية وهي التقديم والتأخير، ومعروف عن العرب أنها تقدم في اللغة ما هو أهمّ لها أو تريد التّركيز عليه، والقرآن بأسلوبه العربي كذلك، فتقديم الكاف في قوله ﴿إِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ يعني أن الاهتمام منصب على الإنسان؛ لأنه قدمه على الخير إذ لم يقل وإن يرد بك الخير، ولم يقل يرد الخير بك.[4]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾[5]

---

[1] الزمر (39)، 56.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 أ.

[3] يونس (10)، 107.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 37 أ.

[5] يونس (10)، 27.

تمت الإشارة إلى مسألة الوصل والفصل في العطف عند كلامنا عن المسألة من حيث الجانب النحوي، فالمؤلّف في تفسير هذه الآية يوظّف علم المعاني وأسلوب الوصل والفصل في العطف، إذ يردّ على المحشّي شيخ زاده الذي مال إلى أن ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ عقاب موصول في المستقبل على كسبهم للسيئات في الماضي، بينما يميل المؤلّف إلى أن تكون (أن يجازى) معطوفا عليه للمعطوف الذي تقديره (أن ترهقهم).[1]

### 5.2. التّفسير الإشاري

من أنواع التّفسير الذي يمكن أن نُدرجَه تحت التّفسير بالرأي هو التّفسير الإشاري أو التّفسير الصوفي. وقد عرّفه الزرقاني بأنه: "تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوّف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا.[2]

وقد اختلف في جواز هذا النوع من التّفسير فمن العلماء من منعه ومنهم من أجازه، ومنهم من أجازه بشروط.[3]

وسبق أن بيّننا أن الأسكوبي كان من مشايخ الطريقة الخلوتية، فهذا الجانب من شخصيته العلمية لا بد أن يكون أثّر فيه وفي منهجه في التّفسير. فنجده يؤَصّل في مقدمة كتابه للتّفسير الإشاري، ويقول:

فإن الله تعالى أعطى أزِمّته الظاهرة إلى يد أهل الظاهر من العلماء والحكماء؛ حتى شرعوا في أحكامها وحدودها ورسومها وشرائعها، وجعل خالصة أهل صفوته غيبة أسرار خطابه، ولطائف مكنون آياته. وتجلى من كلامه ببعث الكشف والعيان والبيان لقلوبهم وأرواحهم وعقولهم وأسرارهم، وأعلمهم علوم حقائقه، ونوادر دقائقه، وقد فاز بالحظ الوافر مَن وُفّق بالجمع بين الباطن والظاهر.[4]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 36 ب.

[2] الزرقاني، مناهل العرفان، 497/1.

[3] ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، 497/1؛ الذهبي، التفسير والمفسّرون، 307/2-330.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 1 ب.

ثم استدلّ بعدة آثار على أن للقرآن ظاهرا وباطنا؛ منها الأثر المرويّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: "إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حرف حدّ ومطلعٌ".[1]

وإن لم يُكثر من التّفسير الإشاري في كتابه إلا أنه وُجدت ملامحه في مواضع؛ منها تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية،[2] حيث قال: "بهذا اللسان أيضاً إشارة إلى أن ماء الفيض الواصل بواسطة أم الأشياء وممدّ الأسفل والأعلى صلّى الله عليه وسلّم في الآخرة".[3]

ومثال آخر لهذا تفسيره لسورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4].

فقال بأن السّورة موجّهة إلى أصناف أربعة وكل صنف خوطب بما يقتضيه مقامه وبما يوصله إليه فهمه وإيمانه؛ فبدأ بأخصّ الخواص وخاطبهم ب﴿قُلْ هُوَ﴾ ثم خاطب الخواصّ بزيادة بيان فقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وهذان المقامان من أعلى المقامات، ثم توجّه بكلامه إلى الأولياء فزادهم توضيحا بأنه ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، وهذا مقام عال أيضا وإن كان دون المقامين الأوليين، وختم السّورة بزيادة تفصيل؛ لأن الكلام إذ ذاك موجّه لعموم الخلق، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.[5]

### 3. نقد الأسكوبي العلمي

سبق أن بيّنا أن كتاب الأسكوبي لم يكن مجرد حاشية على تفسير البيضاوي، وإنما كتاب تحقيق وتعليق، وقد تناول بعض أشهر المفسرين بالنقد العلمي؛ كما علّق وبيّن الأخطاء -بناء على اجتهاده- لبعض من المحشّين لتفسير البيضاوي.

---

[1] الطّحاوي، أحمد بن محمّد، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطّبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1415هـ/1994م، (3095)، 109/8؛ ابن حبان، محمّد، صحيح ابن حبّان بترتيب الأمير علاء الدّين الفارسي، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دون رقم الطّبعة، مصر: دار المعارف، 1372هـ/1952م، (74)، 233/1-234.

[2] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك (67)، 30].

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 53 أ.

[4] الإخلاص (112)، 1- 4.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 56 أ.

سنحاول في هذا القسم أن نذكر بالاختصار أمثلة تطبيقية على نقده العلمي، بناء على كثرة ورود هؤلاء الأعلام المشهورين بالنقد. ويمكن تقسيم تلك المسائل حسب العلوم التي تدرسها وتتناولها، فأكثر ما ركّز عليه الأسكوبي في كتابه اللغة وما يتعلق بها والتّفسير وعلم الكلام. وسنذكر أصحاب التفاسير المستقلّة أولا ثم المحشّين على تفسير البيضاوي.[1]

### 1.3. نقده في المسائل اللّغوية

#### 1.1.3. نقده للمفسّرين

##### 1.1.1.3. الرّازي[2]

لا يخفى على المشتغلين لعلم التفسير مكانة الرّازي في هذا العلم، وسبق أن بيّنا أن البيضاوي استفاد من تفسيره واعتمد عليه، وأن تفسير الرّازي يعدّ من الموسوعات العلمية، فيه التّفسير وعلم الكلام وغيره الكثير.

وقد سبقت الإشارة إلى أنّ عمر الأسكوبي استفاد من تفسيره واعتمد عليه في كتابه أيضا، وقد نجده أحيانا لا يكتفي بنقل آرائه فقط ولكن يناقشها علميا وحتى يردّها في أحيان أخرى.

والكلام هنا حول المسائل التي تتعلق باللغة أو علومها والتي ورد قول الرّازي فيها. وقبل الدخول في صلب الموضوع يجب أن ننوّه إلى أننا نتحدث عن بضعة مسائل فقط، والغالب فيها إيرادها للتوضيح أو الاستدلال. ومما تيسر لي إثباته مسألة ناقش الأسكوبي الرّازي فيها وأنكر عليه، وهي حول مدلول اسم الفاعل (شاكر) وصيغة المبالغة (شكور).

---

[1] وذكرت من العلماء من ثبت عندي ولو مسألة لنقده له في ذلك العلم ابتداء من الأقدم منهم وفاة.

[2] تقدمت ترجمته.

ففي تفسير قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[1] ذكر الرّازي قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2] متعجّبا من مطابقة قول الله تعالى لما قاله إبليس.[3]

استنكر عليه الأسكوبي هذا القول بناء على الفرق في المعنى بين "الشاكر" و"الشكور"، وقال بل العجب قوله حيث الشكور غير الشاكر ولا تلازم بينهما حيث لا تستلزم قلة أحدهما قلة الآخر؛ فبالتالي هو ليس محل طباق ولا إعجاب، على حد رأيه.[4]

### 2.1.1.3. البيضاوي[5]

سبقت الإشارة في الكلام حول طريقة تأليف عمر الأسكوبي لهذا الكتاب وأسلوبه فيه أنه بالأساس على طريقة التحشية، وأن كتابه يعدّ من الحواشي لتفسير البيضاوي. وإن كان لا يلازم ذكر قول البيضاوي دائما عند تفسير كل آية، فالغالب فيه أنه يبتدئ الكلام بذكر قوله في تفسير الآية، ثم يعلّق مباشرة أو يسرد قول غيره ليتبعه بالتعليق.

وقد أبدى عمر الأسكوبي إعجابه بعلم البيضاوي وقدراته، وقد وافقه ودافع عن تفسيره ومذهبه في غالب الأحيان، وخالفه في مواضع.

وفيما يتعلق بنقده للبيضاوي فيما له صلة بالمسائل اللغوية تيسّر لي إثبات بضعة مسائل، وسنذكر منها مثالين.

المثال الأول:

---

[1] الأعراف (7)، 17.

[2] سبأ (34)، 13.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، 46/14.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 17 أ -17 ب.

[5] تقدمت ترجمته.

قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

ذكر البيضاوي في توجيه عطف كلمة ﴿رَسُولُهُ﴾ احتمالين؛ أحدهما أنها عطف على ﴿ بَرِيٓءٌ﴾، والآخر أنها عطف على محل ﴿أَنَّ﴾ واسمها.[2] ورد الأسكوبي الاحتمال الثاني بأنه ليس عطفا على محل ﴿أَنَّ﴾ واسمها، وإنما على محل اسم ﴿أَنَّ﴾ فقط؛ بدليل كون محلهما نصبا على المفعولية ل﴿أَذَانٌ﴾، وهذا لأن الأذان هنا بمعنى القول؛ فبالتالي يجوز العطف على محل (إن) وليس (أن) "لأن الأولى لا تغير المدخول فيه غير إفادة التأكيد، فهي كالمعدوم، والمفتوحة مع اسمها وخبرها في تأويل جزء واحد؛ فلو فرضت في حكم العدم لأطلت بموضوعها".[3]

ثم ذكر أنّ من النحويين من يجوّز العطف في (أن) المفتوحة أيضاً لكن بشرط أن تكون في حكم (إن) المكسورة في مثل هذه الآية.[4]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5].

قال البيضاوي بأن نصب ﴿يَنَٰبِيعَ﴾ على المصدر.[6] وقال الأسكوبي بأن الأولى توجيه النصب على أنه على الظرفية "لفعل سلك بنزع الخافض قصراً للمسافة".[7]

---

[1] التوبة (9)، 3.

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل، 71/3.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 ب.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 34 ب.

[5] الزمر (39)، 21.

[6] البيضاوي، أنوار التنزيل، 40/5.

[7] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، 46 أ.

### 3.1.1.3. أبو السّعود[1]

لقد نال أبو السّعود حظّا وافرا في كتاب الأسكوبي، حيث نقل عنه كثيرا وعلّق على كلامه بالرد أو التأييد. ولا يُخفي تقديره له ولمكانته العلمية، وفي بعض الأحيان تعجّبَه مما وقع فيه من بعض الأخطاء حسب رأيه.[2]

وفيما يلي بعض المسائل اللغوية التي ناقش الأسكوبي أبا السّعود فيها، ونذكر مثالين منها:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[3]

بعدما أورد كلام البيضاوي وبعض المحشّين فيها وتعليقه عليه، ذكر قول أبي السّعود في إفادة صيغة الاستفعال الإشعار بعجزهم وحرمانهم عن تأخير الأجل أو تعجيله مع طلبهم لذلك.[4]

فرد عليه الأسكوبي متعجبا كيف يفهم طلبهم ذلك من نفي الطلب كما هو واضح من الصيغة ما "لا يخفى على أولي الأبصار"، على حد تعبيره.[5]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.[6]

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ذكر قول أبي السّعود وبيّن أنه يُنكر على من جعل الخطاب في الآية من الله تعالى للمؤمنين معلّلا ذلك بتوهّمهم ورود الخطاب قبل القتال، ثم

---

[1] تقدمت ترجمته.

[2] ينظر مثلا: الأسكوبي، فتح الغطاء، 18 ب، 23 أ، 34 أ، 38 ب.

[3] الأعراف (7)، 34.

[4] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 225/3.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 18 ب.

[6] الأنفال (8)، 12.

فنّد رأيهم مستدلّا بنزول السّورة بعد تمام الواقعة.[1] وردّ عليه المؤلّف أنّ ما ورد من قوله تعالى ﴿إِذۡ يُوحِى﴾ إنما ورد بصيغة استقبال الحكاية في الماضي لاستحضارها في عقل القارئ أو المستمع، وهذا ورد كثيرا في القرآن، ويكون ما بعدها مفعولا به لها باعتبارها متضمّنة معنى القول أو الحكاية.[2]

### 2.1.3. نقده للمحشّين

يغلب على كتاب فتح الغطاء تعليقات عمر الأسكوبي على شروح وتعليقات المحشّين على تفسير البيضاوي؛ فالمؤلِّف يذكر من أقوالهم ما يريد التعليق عليه بالنقد غالبا، أو لإيراد قول هو يؤيّده للتوضيح أو للردّ على قول آخر يراه غير صواب. وهنا سنركّز على نقده العلمي لبعض المحشّين مكتفيا بأكثرهم ورودا في كتابه.

#### 1.2.1.3. المحشّي ابن التّمجيد[3]

من أصحاب الحواشي على تفسير البيضاوي الذين تعرض لهم الأسكوبي بالنقد نجد ابن التّمجيد، وسنذكر مسألتين لغويتين على نقده له:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾.[4]

في تفسير هذه الآية في قول البيضاوي عن قوله تعالى ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ (حال من الواو)،[5] جعل ابن التّمجيد صاحب الحال أصحاب الجنة حال كونهم لم يدخلوها وهم يطمعون فجعل ضمير

---

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 11/4.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 33 ب – 34 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 32 ب.

[3] تقدمت الترجمة له.

[4] الأعراف (7)، 46.

[5] البيضاوي، أنوار التنزيل، 14/3.

الحال دالّا عليهم. نقده الأسكوبي وبيّن أن ضمير الحال (هم) إنما يعود على أصحاب الأعراف لا على أصحاب الجنة.[1]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.[2]

حاول المحشّي توجيه كلام البيضاوي[3] والانتصار له فذكر أن نصب (ينابيع) باعتباره مفعولا مطلقا لفعل مقدّر. وبيّن الأسكوبي أن في هذا التقدير تعسّفا وتكلّفا.[4] [5]

### 2.2.1.3. المحشّي سعدي جلبي[6]

المحشّي سعدي جلبي كان له الحظ الأوفر من النقد العلمي في كتاب الأسكوبي، حتى كُتب على غلاف المخطوط "محاكمة على البيضاوي وسعدي جلبي للأسكوبي". وسنورد مثالين لمسائل لغوية ونشير إلى بقيتها في الحاشية.

المثال الأول:

قال الله تعال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾[7] وقال: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾.[8]

قال سعدي جلبي في تفسير الآية الثانية أنه "عبر هنا عن الاختصام الماضي بصيغة المضارع وعن التخاصم المستقبل بصيغة المضي لاستحضار الحالة الماضية الغريبة هنا دلالة على تحققه

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 20 ب.

[2] الزمر (39)، 21.

[3] تقدم الكلام حوله وردّ الأسكوبي عليه.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 47 ب.

[5] ينظر مثالا آخر لنقده له في اللغة: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 47 ب.

[6] تقدمت الترجمة له.

[7] ص (38)، 64.

[8] ص (38)، 69.

هناك".[1] فردَّ عليه الأسكوبي بأنه قد يقصد بالماضي الآية الأولى ﴿لَحَقُّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ وليس فيها فعل ماض ولم يُنقل ولو في رواية ضعيفة، فبالتالي لا وجه لما قاله سعدي جلبي "عن تخاصم المستقبل بصيغة الماضي".[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[3]

ذكر سعدي جلبي في تفسير هذه الآية قول أبي حيان في أن من معاني (من) أنها تجمع في فعل واحد بين ابتداء الغاية وانتهائها، ومثّل لذلك بقول القائل: (أخذت الدرهم من زيد) فابتداء الأخذ منه وانتهاءه منه أيضا. وعقّب بأن محل الانتهاء هو المتكلّم، أي الآخذ. ردّ الأسكوبي على سعدي جلبي بأن كلا الكلامين مؤداهما واحد ولا يعدو أن يكون النزاع بينهما اختلافا لفظيا، متعجّبا كيف خفي ذلك على المحشّي.[4]

### 3.2.1.3. المحشّي شيخ زاده[5]

تُعدّ حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي من أشهر الحواشي، وهو في المرتبة الثانية بعد سعدي جلبي في كتاب الأسكوبي من حيث نقده العلمي له. وحديثنا هنا في المسائل التي تتعلق باللغة وعلومها، فنذكر مثالين توضيحا وتوكيدا لذلك.

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.[6]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 أ.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 أ.

[3] الحجرات (49)، 4.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 52 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة دون رقم أ، ب 42، 48 أ، 55 أ.

[5] تقدمت الترجمة له.

[6] يونس (10)، 27.

قال شيخ زاده بأن الفعل ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ﴾ معطوف على الفعل ﴿كَسَبُواْ﴾ ثم وجّه جواز هذا العطف رغم كون أحد الفعلين بصيغة المضارع والآخر بصيغة الماضي لإفادة معنيين؛ الأول أن كسبهم السيئات كان في الماضي والثاني أن الذلة سترهقهم إلى يوم القيامة. وردّ عليه الأسكوبي وبيّن أن هذا التوجيه بعيد حيث أن الكسب مرتبط بفعل الخلق بينما غشيُ الذلّة نتيجته المترتبة عليه من جهة الحق فكان الفصل أولى من الوصل، بل لا يكون إلا كذلك والصواب أن يكون معطوفا على قول الله تعالى﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا﴾.[1]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾.[2]

بعد ذكر الأسكوبي لتفسير البيضاوي لمفردة ﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ في هذه الآية حيث ذكر أن المعنى: "يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر عنه غيره"،[3] ذكر كلام المحشّي شيخ زاده بأن معنى الحضر هنا بمعنى المنع لا بمعنى الحضور وأن هذا المعنى غير مذكور في الصحاح.

عقّب عليه الأسكوبي معتمدا في ذلك على حاشية سعدي جلبي القائل: "أن الذي بمعنى المنع إنما هو الحظر بالظاء". فأيّد تفسير البيضاوي وتعجب من تخطئة شيخ زاده للبيضاوي بعد العلم بمرتبته.[4]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 36 ب.

[2] القمر (54)، 28.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 ب.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 50 ب؛ ينظر إلى أمثلة أخرى لنقده له: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 5 أ، 17 ب.

### 2.3. نقده في المسائل التّفسيرية

#### 1.2.3. نقده للمفسّرين

##### 1.1.2.3. البيضاوي

يغلب في كتاب الأسكوبي موافقته للبيضاوي في التّفسير ويبدي إعجابه بآرائه واجتهاداته في التّفسير، ولكن نجده يخالفه في بعض المواضع، ومن هذه المسائل نذكر للتمثيل لا الحصر:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.[1]

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بتكذيبهم الرسل وعتوهم في الكفر.[2] عقّب عليه الأسكوبي وبيّن أن تفسيره هذا مخالف لما اختاره هو نفسه في سورة هود حين فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3] حيث فسّر الظلم في هذه الآية بالفساد والبغي، ولم يجعل الظلم الذي بمعنى الشرك سببا في إهلاكهم، حتى أنه أكّد على ذلك بأن الشرك وحده لا يكون سببا في الإهلاك البتة. فبيّن الأسكوبي أن بين تفسيري البيضاوي للظلم في الآيتين تناف.[4]

المثال الثاني:

قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.[5]

---

[1] القصص (28)، 59.

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل، 182/4.

[3] هود (11)، 117.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 45 أ.

[5] الأعراف (7)، 172.

تكلّم الأسكوبي حول معنى هذه الآية بشكل مطوّل وناقش الأحاديث المتعلقة به وطريقة الجمع بين منطوق الآية الذي هو الأخذ من بني آدم، والأحاديث التي فيها ينصّ أن الله أخذ الميثاق من آدم وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها. وفي تفسير البيضاوي لهذه الآية بيّن المراد بلفظة ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فذكر أن المقصود هو آدم وأولاده، أي أنه صار اسما يطلق على الإنسان.[1]

فعقّب الأسكوبي أن في هذا التّفسير تكلّفا منه وكأنه تماشى مع مذهب المعتزلة في رفض تفسير الآية بالأحاديث، وقال بأن المعنى المستنبط من الأحاديث متضمَّن في الآية.[2]

### 2.1.2.3. أبو السّعود

سبقت الإشارة إلى أن أبا السّعود من أكثر العلماء ورودا في كتاب الأسكوبي عموما، وهنا الحديث حول نقد الأسكوبي له في مسائل تفسيرية، وهي بضعة مسائل نذكر منها اثنتين:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾.[3]

بعدما ذكر الأسكوبي قول البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ أنه وصف السدر بالقلّة وأنه مما يطيب أكله، ذكر قول أبي السّعود وهو يقول بأن السدر على صنفين؛ صنف يؤكل ثمره وينتفع به في غير الأكل، وصنف ثمرته عصفة وهي لا تؤكل، ويؤكّد أن المراد في الآية الصنف الثاني.[4]

ردّ عليه الأسكوبي بأن الوصف بالقلّة يمنع أن يكون المراد الثاني؛ لأن عديم النفع لا يُعاقب بقلّته بل بكثرته والآية في سياق العقوبة.[5]

---

[1] البيضاوي، 41/3.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 27 أ.

[3] سبأ (34)، 16.

[4] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 128/7.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 47 أ.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾.[1]

في تفسير أبي السّعود للظالمين في هذه الآية عبّر بأشباههم من العصاة، ثم ذكر عابد الصنم مع معبوده، وعابد الكوكب مع معبوده.[2] فعقّب عليه الأسكوبي مبيّنا أن لفظة (عصاة) خلاف الصواب هنا؛ لأن المراد بالظلم هنا الشرك مستدلّا بسياق الآية.[3]

### 2.2.3. نقده للمحشّين

#### 1.2.2.3. المحشّي ابن التّمجيد

لم ترد مسائل كثيرة في التّفسير نقد الأسكوبي المحشّي ابن التّمجيد فيها. وأوضح ما وجدته من تلك المسائل ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾.[4]

ذكر الأسكوبي في تفسير هذه الآية قول ابن التّمجيد الذي يقول بأن المخاطب بالآية المؤمنون وليست الملائكة. وردّ عليه بأن فيه تكلّفا ظاهرا وتحميل النص ما لا يحتمل، ثم دعم قوله بما نقله عن أبي السّعود من أن هذا القول مردّه توهم نزول الآية قبل القتال وأخطؤوا في ذلك؛ إذ نزول السّورة كان بعد الواقعة.[5]

---

[1] الصافات (37)، 22.

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 188/7.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 49 أ؛ ينظر مثالا آخر لنقده له: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 41 ب.

[4] الأنفال (8)، 12.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 33 ب.

### 2.2.2.3. المحشّي سعدي جلبي

سبق البيان إلى كثرة ورود اسم سعدي جلبي في الكتاب، ونجد الأسكوبي نقده في بعض المسائل التّفسيرية، فسنذكر ما تيسّر منها على طريقة التمثيل:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.[1]

نفى سعدي جلبي إثبات استعجال المؤمنين في الآية على قراءة من قرأ بتاء ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ بل غاية ما يفهم من الآية هو خوفهم وظنهم أنه وقع أمر الله، أي القيامة؛ كما نفى وصف المؤمنين بالاستعجال مطلقا مستدلّا بقوله تعالى: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾[2]. ردّ عليه الأسكوبي مبيّنا وجه الاستعجال في الآية وأنه يمكن وصف المؤمنين به.[3]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾.[4]

في تفسير البيضاوي لقوله تعالى ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ ذكر أن الرسول الذي جاءه روحانيّ بحيث يحيي كل شيء يمسّه أثره ولم يرض المحشّي سعدي جلبي بهذا القول واعتبر أن قوله لو صح لكان الأثر أولى الأشياء بالحياة. وردّ عليه الأسكوبي وذكر بأن رأيه يسقط بما أورده هو نفسه حين قال: "الظاهر أن علمه بأن مركوبه فرس الحياة؛ لأنه رآه يخضّر موطئه الخ."[5] فالمقصود بالحياة

---

[1] النحل (16)، 1.

[2] الشورى (42)، 18.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 38 ب.

[4] طه (20)، 96.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 43 أ.

مرتبط بالشيء الذي مسّه الأثر، فالأرض حياتها باخضرارها فكانت حياة الأثر بما يناسبه وهي مما يتعذّر على الإنسان رؤيته أو ملاحظته[1].

### 3.2.2.3. المحشّي شيخ زاده

ورد في كتاب فتح الغطاء بضع مسائل تفسيرية نقد فيها المؤلّف شيخ زاده. ونذكر مثالين منها:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُون﴾.[2]

ذكر المحشّي شيخ زاده أن الجحود بمعنى التكذيب مستدلّا على ذلك بكون ذكره (الجحود) جاء في الآية في مقابل التكذيب. وقد ردّ عليه الأسكوبي معتمدا في رده على كلام البيضاوي حين ذكر أن الجحود متضمن معنى التكذيب، وهذا التضمين إنما فهم بالباء في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُون﴾.[3]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.[4]

يقول المحشّي شيخ زاده في تفسير هذه الآية إن المراد من قوله عزوجل ﴿أَمْرُنَا﴾ أي أمره تعالى بالعذاب وانتصر لهذا الرأي معتمدا على قاعدة أن الأصل حمل اللفظ على معناه الحقيقي الأصلي، واستفاد هذا المعنى من تفسير البيضاوي. وقد تفطّن الأسكوبي إلى غلط المحشّي في فهم مراد البيضاوي وبيّن أن المراد بالأصل كون الأمر الذي هو مقابل النهي هو المراد هنا.[5]

---

[1] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 43 أ؛ ينظر إلى الأمثلة الأخرى: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 36 أ، 37 أ، 48 أ، 52 ب.

[2] الأنعام (6)، 33.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 11 ب.

[4] هود (11)، 82.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 37 ب؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 30 ب -31 أ.

### 3.3. نقده في مسائل علم الكلام

#### 1.3.3. نقده للمفسّرين

##### 1.1.3.3. الزّمخشري[1]

استند الأسكوبي على الزّمخشري واستفاد من تفسيره، كما يظهر ذلك في عدّة مواضع، وكما تمت الإشارة إليه؛ ولكنّه انتقده في ثنايا كتابه كلّه في عقيدته. وللتدليل على هذا الكلام نورد مثالين:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[2]

ذكر كلام أبي السّعود في تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فى هذه الآية وأنه تابع الزّمخشري في رأيه أنه لا إرهاصات قبل النبوة، حيث أنه بعد أن عرّف البيّنة بأنها معجزة، تطرّق إلى عدم ذكر معجزة شعيب في القرآن. وإنما أورد بعض الخوارق التي كانت على يد موسى عليه السّلام وجعلها من معجزات شعيب مستدلّا على ذلك بكون موسى عليه السّلام لم يكن قد نبّئ. فعلى الرغم من أن الخوارق كانت على يد موسى إلا أنه نسبها إلى شعيب عليه السّلام على أنها من معجزاته.

فعاتب الأسكوبي أبا السّعود على تأثّره برأي الزّمخشري في هذه المسألة حين قال: "ومن معجزات شعيب عليه السّلام: ما روى من محاربة عصى موسى عليه السّلام التنين حين دفع إليه غنمه ... وغير ذلك من الآيات، لأنّ هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السّلام، فكانت معجزات

---

[1] تقدمت ترجمته.

[2] الأعراف (7)، 85.

لشعيب".[1] وأضاف أنه ليس هذا أوّل ما انخدع به علماء أهل السنة من الزّمخشري، وسمى مذهبه "السخيف".[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾.[3]

نقل كلام البيضاوي في تفسير هذه الآية حين نفى أن في هذا التمني في الآية دليلا على استقلال العبد بفعله، وبيّن أن كلامه هذا هو ردّ على الزّمخشري الذي يقول: "وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلّقا بقصدهم وإرادتهم".[4] ثم عقّب عليه الأسكوبي وبيّن أن أهل السنة كذلك يُثبتون الاختيار في الصورة والظاهر وعاتبه على ما رمى أهل السنة به من البدع والأهواء وأن هذه الأوصاف هو أحق بها[5].

### 2.1.3.3. الرّازي

للرازي مكانته الرفيعة لدى الأسكوبي حيث يثني عليه ويعتمده في ترجيح الآراء،[6] ولكن نقده في بعض المسائل العقيدية وإن كانت قليلة، ومنها المثالان التاليان:

المثال الأول:

قال الله تعلى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[7] وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.[8]

---

[1] الزمخشري، الكشاف، 372-373.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 22 أ.

[3] الفجر (89)، 24.

[4] الزمخشري، الكشاف، 1202.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، 16 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 48 أ.

[6] ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، 16 أ، 37 أ.

[7] الأعراف (7)، 16.

[8] ص (38)، 82.

نقل توجيه الرّازي لمفردة الإغواء في الآيتين، ففي آية سورة الأعراف كان الإغواء مضافا إلى الله تعالى وأما في سورة ص فكان الإغواء مضافا إلى الشيطان نفسه باعتباره المتكلِّم. وبالجمع بين الآيتين وصل إلى أن فيهما دليلا على أن الشيطان كان متحيّرا في المسألة؛ فتارة يقول بالجبر باستعماله (أغويتني) منسوبا إلى الله، وتارة أخرى يقول بالقدَر حين ينسب الإغواء إلى نفسه (لأغوينهم).[1]

وردّ عليه الأسكوبي أن نسبة الإغواء إلى الله في قوله تعالى على لسان الشيطان ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ اعترافا من الشيطان بأن حقيقة ذلك الفعل من طريق الخلق، وأما في الآية الثانية ففيها نسبة الفعل لنفسه، وهو ما يُسمّى بالكسب؛ فلا تحيّر عند الشيطان البتة، بل كلامه دليل على علمه ورغم ذلك اختار الغواية والخِذلان.[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾.[3]

ذكر أن الرّازي اكتفى بظاهر الآية في دلالتها على أن الله تعالى أخرج الذرية من أصلاب بني آدم وبيّن أن لفظ الآية لا يدلّ على إخراج الذرية من صلب آدم.[4] وبيّن الأسكوبي أنه ما دام قد وردت أحاديث صحيحة تُثبت إخراج الذرية من صلب آدم فلا منافاة بينهما، ووجب الجمعُ بينهما إيقانا بالآية وتصديقا بالخبر.[5]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، 40/14.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 17 أ.

[3] الأعراف (7)، 172.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، 55/15.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 27 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة25 ب – 24 أ.

### 3.1.3.3. البيضاوي

سبق الكلام حول إجلال الأسكوبي للبيضاوي، وقد نافح عن وجهات نظره، خصوصا لمّا يجد المحشّين ينتقدونه دون تدقيق في المسائل المطروحة. وبالنسبة إلى نقده للبيضاوي في المسائل الكلامية فهي نادرة جدا، منها المسألة التالية.

قال الله تعلى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾.[1]

ذكر الأسكوبي كلام البيضاوي في تفسير الآية في سياق توجيهه لاختيار التعبير ب﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ دون التعبير ب(لن أُرَى) و(لن أُرِيَك) و(لن تنظر إليّ) تنبيها على أن اللفظة المختارة تدلّ على توقف النظر على مانع في الرائي لم يتوفّر عليه بعد، وتبقي رؤيته سبحانه جائزة في الآخرة. بينما الألفاظ الأخرى تدلّ على استحالة الرؤية المطلقة فلا تصلح للتعبير بها.[2] وقد تعقّبه الأسكوبي وبيّن أن في كلامه تفصيلا إذ لا يدلّ على الاستحالة المطلقة إلا التعبير الأول (لن أُرَى)، بينما التعبيران الآخران (لن أُرِيَك) و(لن تنظر إليّ) فلا يدلّان على الاستحالة[3].

### 4.1.3.3. أبو السّعود

كثرت المسائل الكلامية التي وردت مناقشة المؤلّف لأبي السّعود فيها، وسنذكر أبرز ما يوضّح ذلك من النماذج ثم نشير إلى البقية في الهامش:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.[4]

---

[1] الأعراف (7)، 143.

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل، 33/3.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 23 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 45 أ، وسبق شرحها.

[4] البقرة (2)، 62.

بعد ما ذكر الأسكوبي تفسير البيضاوي للآية ذكر كلاما لأبي السّعود في تعقيبه على قول من قال بشمول الآية من كان منهم في دينه...الخ. حيث ذكر أنه لا سبيل إليه أصلا مستدلّا على ذلك بأن الآية في مقام الترغيب في دين الإسلام خاصّة، فكان بيان غيره ممن كان على دين آخر قبل نسخه مما لا حاجة إليه ولا يقتضيه المقام.[1]

وقد تعجّب الأسكوبي من كلامه وبيّن أن على المؤمن أن يصدّق ويقرّ بجميع الأديان قبل انتساخها بالإجمال، وبيّن أن خلاف ذلك - وهو الذي دعا إليه أبو السّعود - مُخلّ بالإيمان.[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.[3]

نقل الأسكوبي كلام أبي السّعود في مسألة وسوسة إبليس لآدم عليه السّلام -دون ذكر الآية- وذكر أنه ينفي هبوط إبليس من السماء قبل وسوسته لآدم.[4]

وقد ردّ عليه الأسكوبي من أوجه عدة؛ من ذلك إنكاره عليه هذا الرأي مستدلّا بما ذكره هو نفسه عن ابن عباس إذ يقول: "كانوا في عدن ليس في جنة الخلد"،[5] كما ردّ عليه من وجه آخر وهو من كلامه أيضا في تفسيره حيث قال في تفسير الآية في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[6] أي: "من الجنة أو من السماء"،[7] وبيّن الأسكوبي أن هذا الخروج هو نفسه الهبوط الذي تحدّث عنه سابقا.[8]

---

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 109/1.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 7 ب.

[3] الأعراف (7)، 13.

[4] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 217/3.

[5] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 217/3.

[6] الأعراف (7)، 18.

[7] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 219/3؛ الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 17 أ.

[8] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 17 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 12 أ، 19 أ، 19 ب، 22 ب، 27 أ، 42 ب-43 أ، 46 أ، 48 أ.

### 2.3.3. نقده للمحشّين

#### 1.2.3.3. المحشّي ابن التّمجيد

لم ترد مسائل كلامية كثيرة نقد الأسكوبي ابن التّمجيد فيها، ويلي مثال لذلك:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾.[1]

بعد أن أورد الأسكوبي الآية وتفسير البيضاوي لها، أتبعه بكلام ابن التّمجيد الذي عقّب على البيضاوي، ونبّه إلى أنه قد جعل ضعف التحمّل مما خافه المخلصون، وبيّن ابن التّمجيد أن هذا مما لا يليق وصف المؤمنين الخلّص به، بل هو مما يتصف به ضِعاف القلوب. ثم جاء الأسكوبي ووضّح أن ما قاله ابن التّمجيد إنما قاله عن غفلة وقع فيها؛ إذ المنافقون وضعاف القلوب مظنونهما واحد بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.[2] فانتصر لقول البيضاوي.[3]

#### 2.2.3.3. سعدي جلبي

رغم كثرة ذكر الأسكوبي لسعدي جلبي في حاشيته إلا أن المسائل الكلامية التي نقده فيها ليست كثيرة. واخترت أنسب الأمثلة منها:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[4].

أورد المحشّي سعدي جلبي في تفسير الآية تعليقا على البيضاوي حين جعل الأمن مختصا بالسّلامة من الآفة والزوال، وقال بأن الأولى في ذلك الاقتصار على السّلامة من الآفة دون الزوال

---

[1] الأحزاب (33)، 12.

[2] الأحزاب (33)، 12.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 46 ب.

[4] الحجر (15)، 46.

معللّا ذلك باجتناب التكرار لأن معنى السّلامة من الزوال متضمّن في الآيات التي تليها. ثم أعقب هذا الكلام بمسألة تتعلّق بقاعدة أن الأمن من الشيء لا يستلزم منه عدم وقوعه، مستدلّا بأن الكافرين رغم أمنهم من مكر الله إلا أن الله يمكر بهم. فعلّق عليه الأسكوبي مستغربا من كلامه إذ أمْنُ المؤمنين من قبيل وعد الله القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادِ﴾[1] وبيّن أن أمن المؤمنين مستند على وعد الله، أما أمن الكافرين فهو تمن مغرور وهو من الأمن من مكر الله الذي لا يأمنه إلا القوم الكافرون. وبيّن أن قياسه بناء على ما سبق هو قياس مع الفارق.[2]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾[3].

ذكر المحشّي سعدي جلبي في تفسير هذه الآية أن سبب عدم إيمانهم يعود إلى كون الله لا يهديهم، كما يمكن أن يكون عدم هدايتهم جزاء لعدم إيمانهم بآيات الله. وردّ عليه الأسكوبي بأن الصيغة ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ﴾ التي وردت بها تفيد نفي الاستقبال، فلا يصلح الاستدلال بها في إثبات أن سبب عدم إيمانهم أن الله لا يهديهم، وإنما يفهم منها عدم هداية الله لهم بالنظر إلى علمه الأزلي، أي سبق في علمه أنهم لا يؤمنون[4].

### 3.2.3.3. شيخ زاده

بعد البحث في المسائل العقدية التي ناقش الأسكوبي شيخ زاده فيها نجد أنه يوافقه في كثير من الأحيان ويبيّن بعض الأخطاء التي يمكن أن توصف بأنها أخطاء شكلية.[5] ومن المسائل الكلامية التي نقد شيخ زاده فيها المثالان التاليان:

المثال الأول:

---

[1] آل عمران (3)، 9 والرعد (13)، 31.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 38 أ.

[3] النحل (16)، 104.

[4] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة دون رقم ب؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 10 ب، 44 أ.

[5] كتصحيح بعض الأخطاء في ألفاظ الآيات أو سبق اللسان، ينظر: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 20 ب.

قال الله تعلى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[1].

نقل عمر الأسكوبي في تفسير هذه الآية كلاما للبيضاوي وعلّق عليه، ثم ردّ على شيخ زاده حين ذكر حاصل كلامه بقوله: "من أن كلًّا منهما يثبت الصانع ويصفه تعالى ويؤمن ببعض المؤمن به، وكل أمر صحيح معتدّ به".[2] وأجاب بأن كلّا منهما إذا أتى بالعمل الصحيح ثم ضمّ إليه ما يحبط ثوابه صار في حكم من لم يأت به أصلا ولم ينفعه العمل الصحيح إطلاقا.[3]

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[4]

في تفسير معنى ﴿أَجَلٌ﴾ في هذه الآية ذُكر تفسيران: هما انقضاء المدّة، و نزول عذاب الاستيصال. وقال شيخ زاده بأن التّفسير الأول أولى بسبب أن أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلم أمّة مرحومة لا يصيبها عذاب الاستيصال، فبالتالي يُستبعد هذا التّفسير. وردّ عليه الأسكوبي بأن كون هذه الأمّة مرحومة لا يتنافى مع التّفسير الثاني لأن الآية خصّصت بهذا الاستثناء. ومعنى ذلك أن التّفسير هذا منطبق على بقية الأمم.[5]

---

[1] البقرة (2)، 113.

[2] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 8 أ.

[3] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 8 أ.

[4] الأعراف (7)، 34.

[5] الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 18 أ؛ ينظر أيضا: الأسكوبي، فتح الغطاء، ورقة 20 ب، 50 ب.

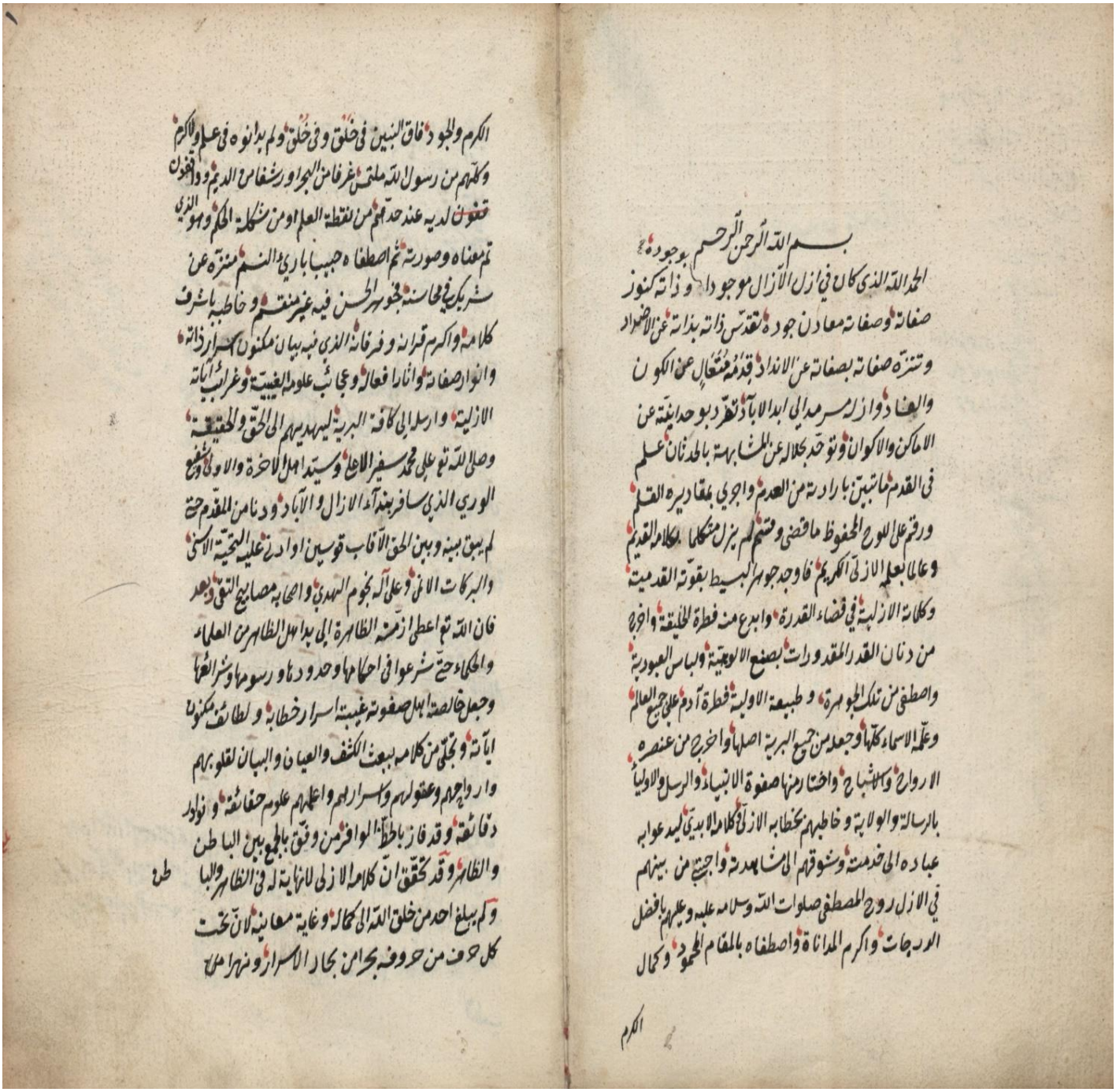

بسم الله الرحمن الرحيم بوجوده
الحمد لله الذي كان في ازل الآزال موجودا وذاته كنوز
صفاته وصفاته معادن جوده تقدس ذاته بذاته عن الاضداد
وتنزه صفاته بصفاته عن الانداد قدمه متعال عن الكون
والفساد وازله سرمدي ابدا لا بآد تفرد بوحدانيته عن
الاماكن والاكوان وتوحد بجلاله عن المشابهة بالاقران علم
في القدم ما تبين بارادته من العدم واجرى بمقاديره القلم
ورقم على اللوح المحفوظ ما قضى وقسم لم يزل متكلما بكلامه القديم
وعالما بعلمه الازلي الكريم فاوجد جوهر البسيط بقوته القدمية
وكلماته الازلية في فضاء القدرة وابدع من فطرة الخليقة واخرج
من دنان القدر المقدورات بصنع الالوهية ولباس العبودية
واصطفى من تلك الجوهرة وطبيعة الاولية فطرة آدم على جميع العالم
وعلمه الاسماء كلها وجعله من جميع البرية اصلها واخرج من عنصره
الارواح والاشباح واختار منها صفوة الانبياء والرسل والاولياء
بالرسالة والولاية وخاطبهم بخطابه الازلي بكلامه الابدي ليدعوا به
عباده الى خدمته وشوقهم الى مشاهدته واجتبى من بينهم
في الازل روح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم بافضل
الدرجات واكرم المداناة واصطفاه بالمقام المحمود وكمال

الكرم

الكرم والجود فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلامهم من رسول الله ملتقط غرفات من بحوره ورشفات من اديم حوضه تقفون
تقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم وهو الذي
تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا باريه النسم منزه عن
شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم وخاطبه باشرف
كلامه واكرم قرآنه وفرقانه الذي فيه بيان مكنون اسرار ذاته
وانوار صفاته واثار افعاله وعجائب علومه الغيبية وغرائب آياته
الازلية وارسله الى كافة البرية ليهديهم الى الحق والحقيقة
وصلى الله تعالى على محمد سفير الاعلى وسيد اهل الاخرة والاولى وشفيع
الورى الذي سافر بهذه آد الازل والآباد ودنا من المقدم حتى
لم يبق بينه وبين الحق الا قاب قوسين او ادنى عليه التحية الاسنى
والبركات الاتى وعلى آله نجوم الهدى واصحابه مصابيح التقى وبعد
فان الله تعالى اعطى ازمنة الظاهرة الى بداية اهل الظاهر من العلماء
والحكماء حتى شرعوا في احكامها وحدودها ورسومها وشرائعها
وجعل خالصة اهل صفوته غيبة اسرار خطابه ولطائف مكنون
اياته وتجلى من كلامه ببعث الكشف والعيان والبيان لقلوبهم
وارواحهم وعقولهم واسرارهم واعلامهم علوم حقائقه ونوادر
دقائقه وقد فاز باوفر حظ الوافر من وفق بالجمع بين الباطن
والظاهر وقد تحقق ان كلامه الازلي لا نهاية له في الظاهر والبا
طن
ولم يبلغ احد من خلق الله الى كماله وغاية معانيه لان تحت
كل حرف من حروفه بحار من بحار الاسرار ونهار من

الورقة الأولى من نسخة جامعة إسطنبول

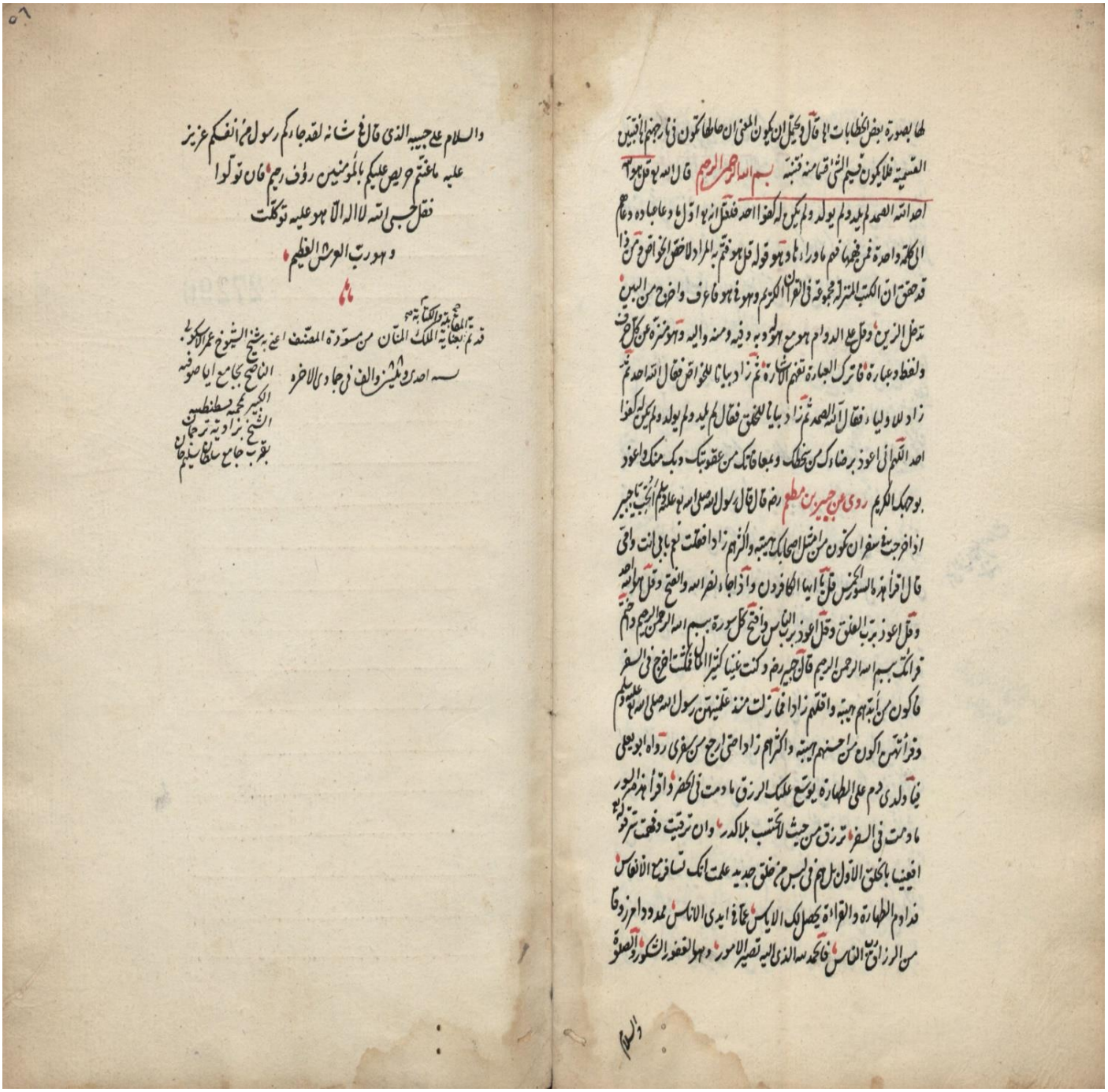

الورقة الأخيرة من نسخة جامعة إسطنبول

الورقة الأولى من نسخة المكتبة السليمانية

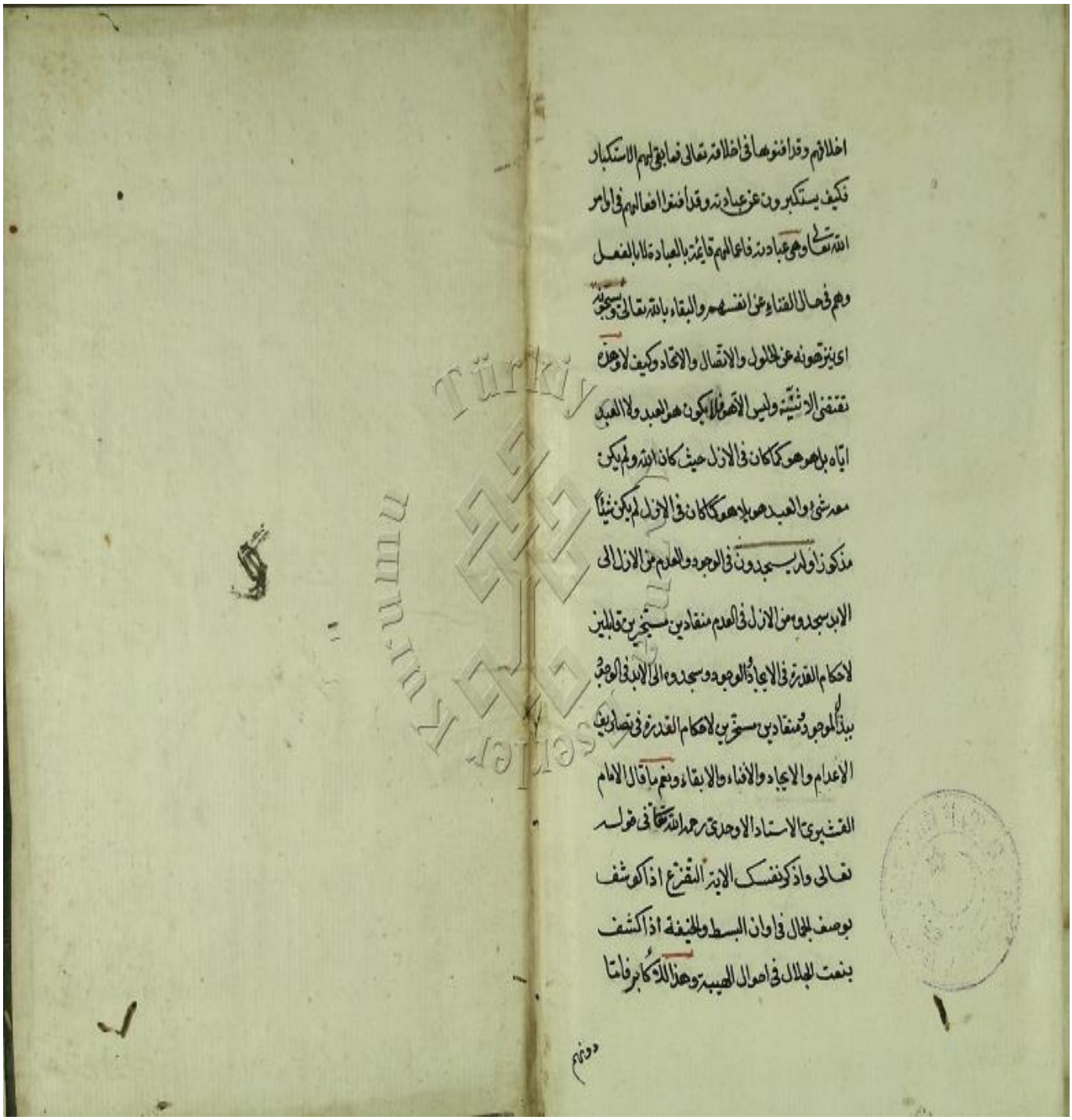

اخلائهم وقد افنوها في اخلاقه تعالى فما بقي لهم الاستكبار
فكيف يستكبرون عن عبادته وقد افنوا افعالهم في اوامر
الله تعالى وهو عبادته فانهم قائمون بالعبادة فلا بالفعل
وهم في حال الفناء عن انفسهم والبقاء بالله تعالى وبسجوده
اي ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وكيف لا وهذه
تقتضي الاثنينية وليس الا هو الا يكون هو العبد ولا العبد
اياه بل هو هو كما كان في الازل حيث كان الله ولم يكن
معه شيء والعبد هو الان هو كما كان في الازل لم يكن شيئا
مذكورا ولذا يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى
الابد سجود من الازل في العدم منقادين مستخرين قابلين
لاحكام القدرة في الايجاد الى الوجود وسجودهم الى الابد في الوجود
بيد الموجد منقادين مستخرين لاحكام القدرة في تصاريف
الاعدام والايجاد والافناء والابقاء ونعم ما قال الامام
القشيري الاستاد الاوحدي رحمه الله تعالى في قوله
تعالى واذكر نفسك الا بنية القنوع اذا كوشف
بوصف الجمال في اوان البسط والخيفة اذا كوشف
بنعت الجلال في اصول الهيبة وهذا للاكابر فاما

Türkiye Yazmaları

الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة السليمانية

الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

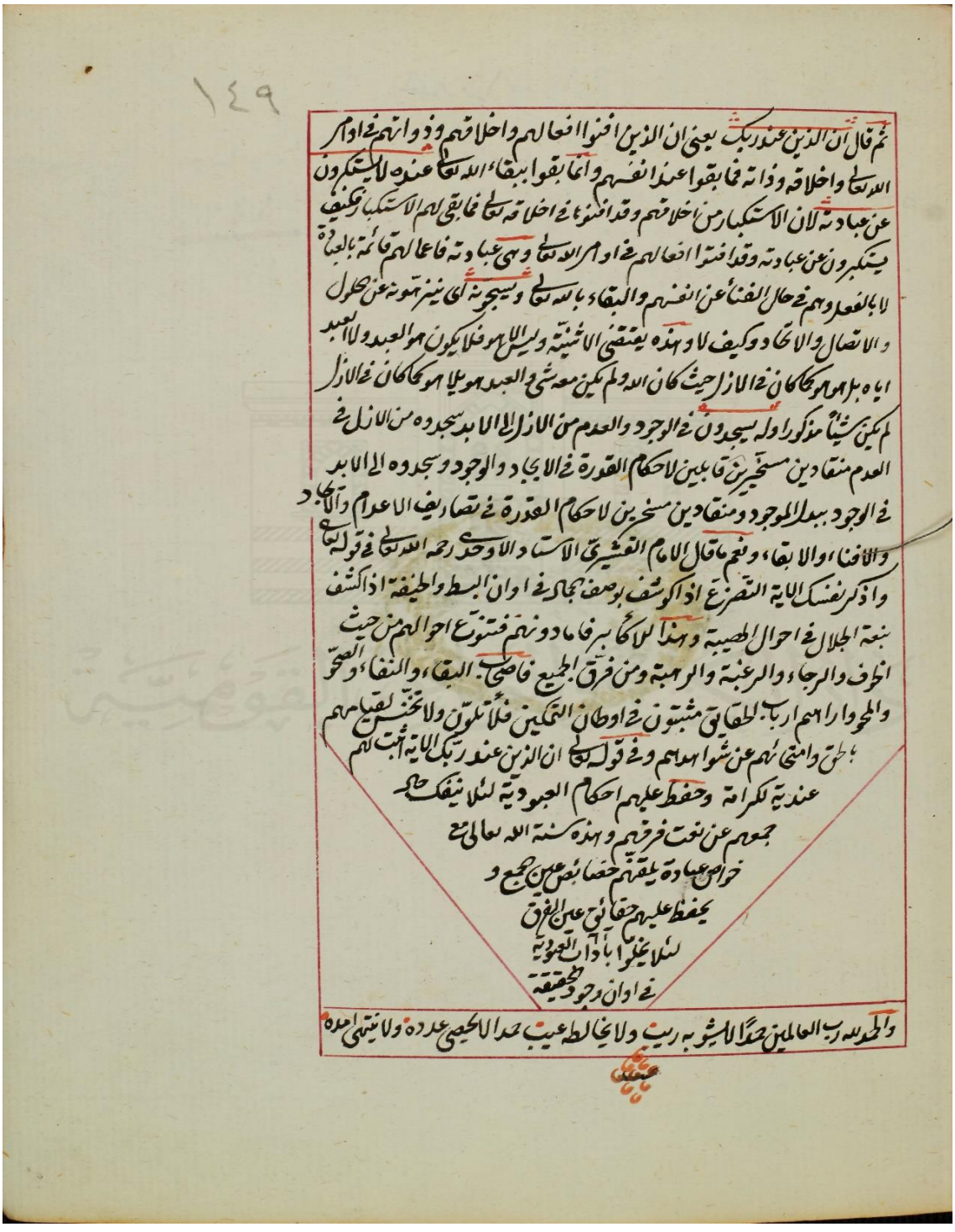

الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

# فتح الغطاء عن وجه العذراء

عمر بن محمد الأسكوبي

"هذه حواش على البيضاوي لشيخنا وأستاذنا الشيخ عمر أفندي الأسكوبي الناصح بجامع آيا صوفية الكبيرة المنزوي بزاوية ترجومان قريب من جامع سلطان سليم خان بمحمية قسطنطينية"

"وأنا أفقر الورى محمد بن مصطفى الناصح بجامع أورنوس بيك في تكية واردار"

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي كان في أزل الآزال موجودًا بوجوده، وذاته كنوز صفاته، وصفاته معادن جوده، تقدس ذاته بذاته عن الأضداد، وتنزه صفاته بصفاته عن الأنداد، قِدَمه متعالٍ عن الكون والفساد، وأزله مسرمد إلى أبد الآباد. تفرّد بوحدانيته عن الأماكن والأكوان، وتوحد بجلاله عن المشابهة بالحدثان، عَلِم في القِدم ما تبين بإرادته من العدم، وأجرى بمقاديره القلم، ورقّم على اللوح المحفوظ ما قضى وقسم. لم يزل متكلما بكلامه القديم، وعالماً بعلمه الأزلي الكريم، فأوجد جوهر البسيط بقوته القدمية، وكلماته الأزلية في قضاء القدرة، وأبدع منه فطرة الخليقة، وأخرج من دنان القدر المقدورات بصنع الألوهية، ولباس العبودية، واصطفى من تلك الجوهرة، وطبيعة الأولية فطرة آدم على جميع العالم، وعلمه الأسماء كلها، وجعله من جميع البرية أصلها، وأخرج من عنصره الأرواح والأشباح، واختار منها صفوة الأنبياء والرسل والأولياء بالرسالة والولاية، وخاطبهم بخطابه الأزلي وكلامه الأبدي؛ ليدعوا به عباده إلى خدمته، وشوّقهم إلى مشاهدته، واجتبى من بينهم في الأزل روح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم بأفضل الدرجات، وأكرم المداناة، واصطفاه بالمقام المحمود، و كمال الكرم والجود، وفاق النبيين في خَلق وفي خُلق، ولم يدانوه في علم ولا كرم، وكلّهم من رسول الله ملتمس غَرفاً من البحر أو رشفاً من الديم، وواقفون لديه عند حدّهم، من نقطة العلم أو من مشكلة الحكم، وهو الذي تم معناه وصورته.

ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم متنزه عن شريك في محاسنه، فجوهر الحسن فيه غير منقسم، وخاطبه بأشرف كلامه وأكرم قرآنه وفرقانه، الذي فيه بيان مكنون أسرار ذاته، وأنوار صفاته، وآثار أفعاله، وعجائب علومه الغيبية، وغرائب آياته الأزلية، وأرسله إلى كافة البرية؛ ليهديهم إلى الحق والحقيقة.

وصلّى الله تعالى على محمّد سفير الأعلى، وسيد أهل الأخرة والأولى، وشفيع الورى الذي سافر بنداء الآزال والآباد، ودنا من المقدّم حتى لم يبقَ بينه وبين الحق إلا قاب قوسين أو أدنى، عليه التحية الأسنى، والبركات الأنمى، وعلى آله نجوم الهدى، وأصحابه مصابيح التقى.

وبعد: فإن الله تعالى أعطى أزِمّته الظاهرة إلى يد أهل الظاهر من العلماء والحكماء؛ حتى شرعوا في أحكامها وحدودها ورسومها وشرائعها، وجعل خالصة أهل صفوته غيبة أسرار خطابه،

ولطائف مكنون آياته. وتجلى من كلامه ببعث الكشف والعيان والبيان لقلوبهم وأرواحهم وعقولهم وأسرارهم، وأعلمهم علوم حقائقه، ونوادر دقائقه، وقد فاز بالحظ الوافر مَن وُفّق بالجمع بين الباطن والظاهر.

وقد تحقّق أنّ كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر والباطن، ولم يبلغ أحد من خلق الله إلى كماله وغاية معانيه؛ لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار و نهراً من أنهار الأنوار؛ لأنه وصف القدم، وكما لا نهاية لذاته لا نهاية لصفاته. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾.[2]

وعن أبي جحيفة قال: سألت علياً رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه: "هل عندكم من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم شيء من الوحي سوى القرآن؟" قال: "لا والذي خلق الجنة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه."[3] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: "إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حرف حدّ ومُطلعٌ."[4] وقال جعفر بن محمّد رضي الله تعالى عنه: "كتاب الله تعالى على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء."[5] وقال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: "ما من أية إلّا ولها أربعة معانٍ ظاهر وباطن وحدّ ومُطلعٌ؛ فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمُطلع هو مراد الله تعالى من العبد بها."[6]

---

[1] لقمان (31)، 27.

[2] الكهف (18)، 109.

[3] المصنف للصنعاني، 10/ 99.

[4] شرح مشكل الآثار للطحاوي، 109/8؛ صحيح ابن حبان، 233/1-234.

[5] لم أعثر عليه في المصادر التي أمكنني الوقوف عليها.

[6] لم أعثر عليه بنفس اللفظ، وذكر نحوه سهل التستري في مقدمة تفسيره: قال سهل رضي الله عنه: "وما من آية في القرآن إلّا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها..."، (ينظر: تفسير التستري، 16).

فلما وفّقني الله لمطالعة علم التّفسير، مع قلة البضاعة وكثرة التقصير، وبدأت فيها مع إشارة من شيخي[1] قُدس سره وأُكرم بجوار ذي الجلال والإكرام، في محرّم الحرام، سنة أربع وألف' من سورة الرحمن علّم القرآن، مأموراً بالنقل والنُصح لأهل الإسلام من قبل أولي الأمر قطب الأحكام. ثم وُفّقتُ للختم والإتمام يوم عرفة سيد الأيام من ذي الحجة سنة سبع وعشرين بعد الألف، فبحمد الله تعالى قد صادف الابتداء والاختتام الشهر الحرام الأول بأوله، والآخر بآخره؛ فيرجى من الله الهادي عناية الابتداء وحسن الاختتام.

فجمعت ما أُلهمت في مطالعة تفاسير العلماء الهِمام، والأفاضل الكرام، إظهاراً لأثر نعمة التوفيق والإنعام، وابتغاء الدعاء ممن أفاد[2] واستفاد من العلماء، مستعيناً بالله تعالى؛ ليكون موافقاً لمراده تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل. فما أصبت من ذلك فهو بتأييد الله تعالى ونصرته، وما أخطأت فيه فهو لازم لي وأنا أستغفر الله من ذلك، إنّه غفور حليم، جواد كريم، رؤوف رحيم.

فكأنّ هذا مجلّة معلّقة موضوعة على تفسير القران العظيم المعلّم بأنوار التّنزيل وأسرار التأويل، للإمام الهمام المحقق، والحبر المدقّق ناصر الملة والدّين، أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمّد بن علي الشيرازي البيضاوي، طيّب الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه؛ مفتاحاً لبعض المقفَل، وموضحاً لبعض المجمل، مع الجواب عن بعض الموارد، وإيراد بعض الفوائد. وسمّيته فتح الغطاء عن وجه العذراء.[3]

ولما كان تمام الفتح والتوفيق، والتحرير والتحقيق، في دولة السلطان الذي رخصه الله تعالى بالنعم الرحمانية، من سلاطين الدولة العثمانية عثمان خان،[4] سُمّي جده المورث لهم السلطنة والدولة

---

[1] ورد في هامش أ: شيخ الشيوخ عبد المؤمن آمنه الله تعالى عني كل ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة آمين، (منه).

[2] ورد في هامش أ: أعني الراد والقابل، كما هو المرجو ممن هو على حسن الحال، بأن يقول رحمه الله أخطاء أو أصاب، وهو دأب أولي الألباب، (منه).

[3] لم تُكتب الهمزة في المخطوطة في كلمة "الغطاء" ولا في كلمة "العذراء".

[4] هو عثمان بن أحمد، السلطان عثمان الثاني للدولة العثمانية، ويلقب بعثمان الشاب. ولد سنة 1013هـ/1604م في إسطنبول، نال تربية جيدة وكان يعرف العربية والفارسية، وكان شجاعا ماهرا في فنون الحرب. تولى الحكم وعمره أربعة عشر سنة وحكم في الفترة فيما بين السنوات (1618–1622م). شهدت فترة حكمه اضطرابات أدت إلى مقتله سنة 1031هـ/1622م.

(Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, III/138-139; İslam Ansiklopedisi, İstanbul: TDV, 2007, XXXIII, 453-456)

المسماة بالعثمانية، الواضع لقوانين العدل والسياسة المؤيدة لأحكام الشريعة المحمّدية، المعطى لألوية الفتح والنصر والظفر في يد ذريته الطيبة، سقى الله ثراهم وجعل مثواهم الجنة؛ فنرجو من الله المولى، كما أدار عليه اسمه، أن يدير آثاره العلية مع كمالته المستفادة بحسب الدوران من العواقب على هذا السلطان، المؤيد المظفر وهو المنصور؛ فيُتلى في زمان عدله المبرور فسيروا في الأرض فانظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها كذلك النشور. أدام الله تعالى أيام سلطنته الزهراء، وخلّد أعوام دولته الغرّاء، حلية مرسوماً بهذا الجناب، مهداة إلى هذا الباب.

سورة فاتحة الكتاب، قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **وتسمّى أم القران لأنّها مُفتَتَحُه ومبدَؤه، إلى أن قال: السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات بالاتفاق، إلّا أن منهم مَن عد التسمية دون ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾**[1]**، ومنهم من عكس، وتثنّى في الصّلاة، أو الإنزال إن صحّ أنها نزلت بمكة حين فُرضت الصّلاة، وبالمدينة حين حُوّلت القبلة. وقد صحّ أنّها مكية لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾**[2] **وهو مكي بالنص**. انتهى.

أقول: لعل المراد بقوله (أو الإنزال إن صح) الخ. إنّ نزولها في كليهما مُقَيّد بالحين ليس مما يُجزم به، ويختار على ما تقرر وتحقق أنّ حكم النفي ونحوه في الكلام المقيد يتوجه الى القيد، وهو في غاية الاستشهاد، وبقوله: (وقد صحّ أنّها مكية) الخ. تصريح بما هو المختار عند العلماء الأخيار. قال النيسابوري[3] رحمه ربه الباري: الحادي عشر: الكنز؛ لما روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: "نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش."[4] ولهذا قال أكثر العلماء أنها مكية، وخَطَّؤوا مجاهدا في قوله إنها مَدَنيّة؛ وكيف لا، وقد صح عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم في حديث أُبَي بن كعب رضي الله تعالى عنه: أنّها من أول ما نزل من القران وأنها السبع المثاني.[5] وسورة الحجر مكية بلا

---

[1] الفاتحة (1)، 7.

[2] الحجر (15)، 87.

[3] هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج (ت. بعد س. 850هـ/1446م): مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات (الأعلام للزركلي، 216/2).

[4] رواه الثعلبي بإسناده في تفسيره، ينظر: الكشف والبيان للثعلبي، 257/2.

[5] ذكره الثعلبي في تفسيره، ينظر الكشف والبيان للثعلبي، 262/2-263.

خلاف، وفيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾[1] ولا يسعنا القول بأنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم لبث بضع عشر سنة بلا فاتحة الكتاب.

فلله دره حيث أشار بأوجز الكلام إلى أقوال القوم في هذا المقام، وهو الحق الحقيق وللقبول أليق.

قال المحشّي الشهير بسعدي جلبي[2] رحمه ربه تعالى في مدارك التّنزيل[3]: فاتحة الكتاب مكية، وقيل مدنية والأصح أنّها مكية ومدنية؛ نزلت بمكة حين فُرضت الصّلاة ثم نزلت بالمدينة حين حُوّلت القبلة. وقال النيسابوري: وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين، فقالت إنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى، وعلى هذا فإنما لم يثبت في المصحف مرتين؛ لأنه لم يقع التواتر على نزولها مرتين.

قوله: (وهو مكي)، قال المحشّي عصام الدّين[4] رحمه تعالى: فحين إطلاق قوله سبعاً من المثاني لم يتكرر نزوله، فلم يصح أن إطلاق المثاني عليه لتكرر النّزول، إلا أن يقال هذا الإطلاق أيضا لتكرر النّزول، إلا أنه باعتبار ما يؤول، والتسمية باعتبار ما كان. انتهى.

أقول: لعل الفرق في غاية الخفا، وإن إطلاق الله تعالى غير محتاج الى التأويل بالمأل، كما لا يذهب على الفَطِن الزكي صفِيّ البال، فإن التسمية لا تكون إلّا بالإطلاق من غير عكس بالنسبة إلينا، فكلاهما باعتبار ما كان؛ لأنهما في علم الرحمن. وإن كان مراده الرد على المصنّف رحمه تعالى بأن التسمية لا تصور قبل النّزول فجوابه أنّ هذا إنما يكون لو كانت منّا، وكلاهما من الله تعالى، والله اعلم بحقيقة الحال.

---

[1] الحجر (15)، 87.

[2] سبقت الترجمة له.

[3] لعله يقصد حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي، وذكر الزركلي في "الأعلام" وغيره أن اسم الكتاب "الفوائد البهية" (الأعلام للزركلي، 89/3).

[4] هو إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني، عصام الدين (873-945هـ/ 1468-1538م): ولد في أسفرايين (من قرى خراسان) وكان أبوه قاضيها. تعلم واشتهر وألف كتبه فيها، وزار في أواخر عمره سمرقند فتوفي بها. ألف في التفسير حاشية على تفسير البيضاوي ولديه شروح وحواش في علوم أخرى: في التوحيد والبلاغة والمنطق والنحو (الأعلام للزركلي، 66/1).

قوله: (بالنص)، قال المحشّي سعد جلبي رحمه تعالى: قال السيوطي[1] رحمه تعالى: قلت: إن أراد نص المفسّرين فقريب، إلّا أنّه غير مصطلح عليه في إطلاق النص إذ لا يفهم منه عند الإطلاق إلا الكتاب والسنة، وليس فيهما ما يدل على مكّيته. وقد يُجاب بأن ذلك ثبت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وكلام الصحابي في القرآن خصوصاً في النّزول له حكم المرفوع، فجاز إطلاق النص عليه بهذا الاعتبار. وقال المحشّي الشهير بابن تمجيد[2] رحمه تعالى: وفي هذه المسألة ثلاثة أقاويل: الأول أنها مكية، والثاني أنها مدنية، والثالث أنها مكية ومدنية. والأصح أنها مكية لأن سورة الحجر مكية بالاتفاق، وفيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[3] والمراد به سورة الفاتحة. أقول: فيه نظر، فإن كون سورة الحجر مكية لا يستلزم أن يكون الفاتحة مكية، لجواز أن يكون نزول سورة الحجر عند عود رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم إلى مكة ثانياً بعدما نزلت الفاتحة في المدينة، اللهم إلا أن يقال ما نزل في أسفاره ينسب إلى وطنه الذي منه سافر عليه الصّلاة والسّلام.

وقال الإمام مُحيي السنة[4] في المعالم: وهي مكية على قول الأكثرين، وقال مجاهد:[5] مدنيّة، وقيل نزلت مرتين، مرة[6] بمكة ومرة بالمدينة؛ ولذلك سميت مثاني؛ والأول أصح أنها مكية؛ لأن الله

---

[1] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين (849-911هـ/1445-1505م): إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد ونشأ في القاهرة. صاحب حوالي 600 مصنف في علوم كثيرة، يكاد لا يوجد علم إلا وله تأليف فيه، من أشهر كتبه في التفسير وعلوم القرآن: تفسير الجلالين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإتقان في علوم القرآن، وغيرها (الأعلام للزركلي، 3/301-302).

[2] تقدمت الترجمة له.

[3] الحجر (15)، 87.

[4] هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفَرَّاء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنّة، البغوي (436-510هـ/1044-1117م): فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. صنف في التفسير والحديث والفقه، وهو صاحب التفسير المشهور "معالم التنزيل في تفسير القرآن" المذكور هنا. توفي بمرو الروذ (سير أعلام النبلاء للذهبي، 19/440؛ الأعلام للزركلي، 2/259).

[5] هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، القارئ، وقيل مجاهد بن جبير (21-104/642-722م): تابعي، من أعلم التابعين في التفسير، من أهل مكة، وصفه أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الأسفار واستقر في الكوفة. (التاريخ الكبير للبخاري، 7/411؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، 4/449-450؛ الأعلام للزركلي، 5/278).

[6] ورد في هامش أ: كل مرة معها سبعون ألف مَلَك، (منه).

تعالى مَنَّ على رسول الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾،[1] والمراد منها فاتحة الكتاب، وسورة الحجر مكية فلم يكن يَمُنّ عليه صلّى الله تعالى عليه وسلم بها قبل نزولها.

أقول: لعله كان تبشيراً وتنشيطا، وإلى ظهوره ونزوله وطلوعه ترغيباً؛ لما ثبت أن قوله تعالى في سورة الصف ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] نزل ثم بعد برهة من الزمان نزل قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ الآية[3]، وأمثاله. وقال ابن عادل[4] رحمه تعالى: قال الحسين بن الفضل:[5] لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة شرفهما الله. انتهى.

فالنّزول مرتين صحيح مقرر بلا مرية، وإنما الشك في القيد، كما سمعت غير مرة.

قال المصنّف رحمه تعالى: **وإنما قال بسم الله ولم يقل بالله؛ لأن التبرك والاستعانة بذكر اسم، وللفرق بين اليمين والتيمن.**

أقول: لعلّ الوجه الأليق بالتقديم بل بالذكر هو الثاني؛ لأن الأول لا يشفي العليل، وكيف وإنّ لفظة الله ليست إلا اسماً فَبِدون ذكر الاسم يُفهَم أيضاً أنّ التبرُّك والاستعانة بالاسم، لا محالة.

وقال مولانا أبو السّعود رحمه ربه الودود: فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى الخ.

---

[1] الحجر (15)، 87.

[2] الصف (61)، 10.

[3] ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف (61): 11].

[4] هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقيّ، أبو حفص، سراج الدين (ت. بعد س. 880هـ/1475م): صاحب التفسير الكبير "اللباب في علوم الكتاب" (الأعلام للزركلي، 58/5).

[5] هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي (178-282هـ/794-895م): مفسر معمر، كان رأسا في معاني القرآن. أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة 217) فأقام فيها يعلم الناس 65 سنة (الأعلام للزركلي، 251/2-252).

أقول: لعلّه من الفاضل المذكور غريب الصدور؛ لأنّه لا يذهب على أحد أنّ لفظ الله المركب من الحروف وليس بمسمى ليقطع، ولا يبعد أن يقال جيء بلفظ الاسم. إشارا بأن التبرك والاستعانة لا يختص[1] بلفظ الله فقط، بل يعم بجميع الأسماء المحمولة عليه، فتأمَّل.

قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[2]، قال البيضاوي بيّض الله وجهه: **والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف** إلى أن قال: **وإن أبقيتها على معانيها فإن قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيّز الرفع بالابتداء أو الخبر كما مر إلخ**.

أقول: لعل قوله هذا تفصيل قوله السابق (والمعنى هذا) الخ. وتصريح وأي تصريح بأنّ الفواتح لها إعراب على تقدير أن تكون أسماء المسميات أيضاً، خلافاً لصاحب الكشاف.

وقال المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه تعالى: ويحتمل أن يكون المقصود بقوله (المعنى) إلخ. بيان ما يرجع إليه المراد، لا توجيه وجه الإعراب كما أشار إليه المولى خسرو[3] في تفسير قوله (والمعنى) إلى المراد إلخ. انتهى.

أقولُ: ليتَ شعري كيف يحتمل هذا بعد مثل هذا التّصريح مع أنّ المولى خسرو[4] أيضاً صرّح بقوله يعني أنّ لفظ المؤلّف منها إمّا خبر مبتدأ لوجه الإعراب.

قال الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية[5]، قال مولانا أبو السّعود رحمه ربّه الودود: والخدع: أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه، ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب؛ أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغترّ بذلك فينجو منه بسهولة؛ من قولهم ضبٌّ خادع، وخُدع، وهو الذي إذا أمرّ الجارش يده على باب جحره يوهم الإقبال عليه؛ فيخرج من بابه الآخر. وكلا

---

[1] ورد في هامش أ: فيكون إضافة الاسم على اختصاصية لابيانية، (منه).

[2] البقرة (2)، 1-2.

[3] هو محمد بن فرامرز بن علي، المعروف بملا - أو منلا أو المولى – خسرو ( ت. 885هـ/1480م): عالم بفقه الحنفية والأصول. تولى التدريس في زمان السلطان محمد بن مراد بمدينة بروسة، وولي قضاء القسطنطينية، وتوفي بها (الأعلام للزركلي، 328/6).

[4] تقدمت ترجمته.

[5] البقرة (2)، 9.

المعنيين مناسب للمقام؛ فإنّهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطّلعوا على أسرار المؤمنين فَيُذيعوها إلى المنابذين، وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر الكفرة.

وأياً ما كان فنسبته إلى الله تعالى إمّا على طريقة الاستعارة والتّمثيل؛ لإفادة كمال شناعة جنايتهم، أي: يعاملون معاملة الخادعين؛ وإمّا على طريقة المجاز العقلي، إلى أن قال: وإبقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناءً على زعمهم الفاسد، وترجمة عن اعتقادهم الباطل؛ كأنّه قيل: يزعمون أنّهم يخادعون الله تعالى والله تعالى يخدعهم؛ أو على جعلها استعارة تبعيّة؛ أو تمثيلاً لما أنّ صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين؛ وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الإسلام عليهم وهم عنده أخبث الكفرة وأهل الدّرك الأسفل من النّار، استدراجا لهم. وامتثال الرّسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم، صورة صنيع المتخادعين، كما قيل؛ ممّا لا يرتضيه الذّوق السّليم.

أمّا الأوّل فلأنّ المنافقين لو اعتقدوا أنّ الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له؛ لم يُتصوّر منهم التّصدّي للخدع. وأمّا الثّاني؛ فلأنّ مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة، وتصويرها بما يليق بها من الصّورة المستهجنة، وبيان أنّ غائلتها آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون؛ كما يعرب عنه قوله عزّ قائلاً: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[1]. فالتّعرّض لحال الجانب الآخر ممّا يخلّ بتوفية المقام حقّه. انتهى.

أقول: مراده الرّد على صاحب الكشّاف والبيضاوي رحمهم الله تعالى، لكن الزّمخشري أجاب عن كلا الوجهين. أمّا عن الأوّل، فبقوله: لأنّ مَن كان ادّعاؤه الإيمان بالله تعالى نفاقاً لم يكن عارفاً بالله تعالى وصفاته؛ وأنّ لذاته تعلّقاً بكلّ معلوم، ولا أنّه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله تعالى في زعمه مخدوعاً ومصاباً بالمكروه من وجه خفيّ، وتجويز أن يدلّس على عباده ويخدعهم. انتهى.

لا سيما أنّ القوم ممّن يقول بالتّشبيه وأنّ النّار لن تمسّهم إلّا أيّاماً. وأمّا عن الثّاني فبقوله: فإن قلت فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها. قلتُ: لم يظهر عليهم لما أحاط به علماً من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذرّيته ومشاركتهم

[1] البقرة (2)، 9.

وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النّفاق، وأشدَّ من ذلك. ولكن السّبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة. انتهى.

ومثل هذا من الاستدراج أكثر من أن يحصى.

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي بيّض الله وجهه: **والمعنى أنّهم أخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر النّاس عليها محصلين الضّلالة التي ذهبوا إليها. أو اختاروا الضّلالة واستحبّوها على الهدى.** وقال مولانا أبو السّعود رحمه ربّه الودود: ليس المراد بما تعلّق به الاشتراء ههنا جنس الضّلالة الشّاملة لجميع أصناف الكفرة حتّى تكون حاصلة لهم من قبل، بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على أنّ اللام للعهد وهو عمَهُهم المقرون بالمد في ما جرى الطّغيان المترتّب على ما حُكي عنهم من القبائح؛ وذلك إنّما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم.

وكذا ليس المراد بما في حيّز الثمن نفس الهدى، بل هو التمكّن التام منه بتعاضد الأسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة، كأنّه نفس الهدى لجامع المشاركة في استتباع الجدوى. ولا مرية في أنّ هذه المرتبة من التمكّن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاصرة من جهة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم، وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح.

وقد نبذوها وراء ظهورهم وأخذوا بَدَلَها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان، وحمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد يأباه أنَ إضاعتها غير مختصة بهؤلاء؛ ولَئِن حُملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الخَتم على القلوب المختصة بهم، فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع ما يؤيّدها من المؤيّدات الفعلية والنقلية؛ على أنّ ذلك يُفضي إلى كون ذكر إلى ما فُصِّل من أول السّورة الكريمة إلى هنا ضائعاً. وأبعد من حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم، بناء على أنّه يُستعمل اتّساعاً في إيثار أحد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر.

---

[1] البقرة (2)، 16.

فإنّه مع خُلوّه عن المزايا المذكورة بالمرّة مُخِلّ برونق الترشيح الآتي هذا إذا جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الأنسب بتجاوب أطراف النظم الكريم. وأمّا إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جناياتهم، فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحّة نبوّة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم، وحقيقة دينيه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نُعوته صلّى الله تعالى عليه وسلم، إلى أن قال: ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يُظهرونه عند لقاء المؤمنين؛ فإنّها ضلالة مضاعفة. انتهى.

أقول: لعل هذا الرد مفعولاً منه، إذ لا مرية أنّ هذه الجملة الاستئنافية علة باعثة؛ لما قبلها من الاستهزاء والمدّ في الطغيان، فلا ضياع في التفصيل. وأنّ عدم اختصاص الإضاعة المذكورة لا يضرّ ولا يحتاج إلى التأويل؛ فإنّ التمكّن التام أيضاً غير مختص بهؤلاء وهو أبيَن من الأمس. وليس مراد المصنّف رحمه الله أنّهم أضاعوا الفطرة السليمة وحدها، بل مع وجود هذه المؤيّدات، إذ الأَولى مستلزمة للثانية، لا محالة؛ لكن كمال الظهور أغنى عن الإظهار. وقد تقرّر من حكمة الله الحكيم في بعض الأشياء سببيّة الضدّين، فلعلّ السرّ فيه الدلالة على أنّ التأثير للمُسبّب لا السبب؛ مثلاً: كمال الظهور يكون للبعض سبب الوضوح، وللآخر الخفا؛ والنفخ يكون سبب الاشعال والإطفا، والإحيا والإفنا، فافهم وتَرقّ، على أنّ ما قال الفاضل المذكور من التمكّن إن لم يكن نفس الفطرة، وهو لازمها على ما قالوا: خلقهم عقلاء مميّزين مُتَمكّنين من تحصيل العقائد الخ. وذلك لا يكون إلّا بالأسباب كما لا يذهب على أحد.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ الآية[1]، قال مولانا أبو السّعود رحمه ربُّه الودود: كُرّرَ الأمر بالهبوط إيذاناً بتحتّم مقتضاه، وتحقُّقه لا محالة، ودفعاً لما عسى يقع في أمنيّته صلّى الله تعالى على نبينا وعليه وسلم من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك؛ وإظهار النوع رأفة به عليه الصّلاة والسّلام لما بين الأمرين من الفرق النيّر. كيف لا والأول مُشعّب بضرب سخطٍ مُذيّلٍ ببيان أنّ مهبطهم دار بليّة وتعادٍ لا يخلدون فيها، والثاني مُقرّون بوعد إيتاء الهدى المؤدّي إلى النجاة والنجاح، الخ.

[1] البقرة (2)، 38.

أقول:[1] لعلّ منشأ هذا التحقيق كون الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾ الآية[2]، تعقيبيّته دالة على كون التوبة متحقّقة قبل الهبوط كما صرّح بِه هناك بقوله: (الفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقّق المأمور به). فَنِعمَ التحقيق هذا لولا الروايات والأقوال الدالّة على كون توبته عليه الصّلاة والسّلام بعد الهبوط إلى الأرض بل هذا قريب إلى الاتفاق والإجماع.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **فأول مراتب الوفاء منّا هو الإيمان بكلمتَي الشهادة، ومن الله تعالى حقن المال والولد، وآخرها منّا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم**. انتهى.

فقُدِّس سِرُّه قد أفاد ما قلّ مَن يفهم، فكيف مَن يعلم، ويدلّ على ذوق ما لم يُعَبَّر بالقلم، فنحمد الله تعالى حمدَ ذاته ذاتَه،[4] والسوى في معدن العدم، حيث شرفنا بحظ وافر بالنسبة إلى حالنا وعملنا الناقص القاصر من هذا الذوق الأعظم. وقال المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه ربُّه: وآخر مراتب وفاء المُكلَّف ما يكون من أولياء الله تعالى من حفظ النظرات والخَطرات عن الاتفات إلى غيره تعالى. انتهى.

أقول: لعلّ مراد الفاضل المحشّي المذكور تفسير قول المصنّف رحمه تعالى، وآخرها: (منّا الاستغراق في بحر التوحيد) إلخ. وهذا ليس مراد المصنّف قُدِّس سرّه؛ فإنّ ما قال المحشّي من مراتب الخواص، وليس فيه رائحة الاستغراق، ويكفيك شاهد لفظ الحفظ؛ فإنّه يقتضي بقاء الحافظ. وما قال المصنّف رحمه تعالى آخر مراتب أخصّ الخواص، بل هو النادر منه، وهو المراد بلسان الإشارة، لا التّفسير في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الآية[5]، أي: إذا نسيت نفسك الشريفة فضلاً عمّا

---

[1] ورد في هامش أ: قال المحشي الشهير بشيخ زاده شرّفه الله بالحُسنى وزيادة: وأما قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ الآية، فالظاهر أن يذكر بعد الفراغ عن ذكر الهبوطين؛ لأنّ التوبة إنّما صدرت وهو على الأرض، فكان حق أن يُذكر بعد تقرير أمر الهبوط والفراغ من ذكره، إلّا أنّه ذُكر قبل الفراغ عن ذكر الهبوط، وصُدّر بالفاء الفصيحة لِيدل على مزية الاهتمام بشأن التوبة؛ وأن المكلّف إن اتفق أن يصدر عنه ذَنب يجب عليه أن يبادر إلى التوبة ولا يُهمل. انتهى. فجزم بكون التوبة في الأرض من غير تردد وهو المشهور التنعارف بين الجمهور، (منه).

[2] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة (2)، 37].

[3] البقرة (2)، 40.

[4] أ – ذاتَه، صح هامش.

[5] الكهف (18)، 24.

سواها، وليس الذكر حينئذ إلّا الفناء في المذكور كذكر الفراشِ النارَ حين الاحتراق؛ وإنّما هذا ذوق العشاق وما هو إلّا ليلة القدر فلا يبقى فيها إلا هو. فأين الحفظ والنظرات والخَطرات، ولا يمكن فيها الدوام وإن كانت أعزّ من الكبريت الأحمر.[1] اللهم شرّفنا بها بلطفك الجليل، بحرمة الحبيب والخليل عليهم الصّلاة والسّلام واحشرنا مع زمرة أهل هذا الذوق الجليل.

قال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية[2]، قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **مَن كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدّقاً بقلبه بالمبدأ والمَعاد عاملاً بمقتضى شرعه** الخ. وقال مولانا أبو السّعود رحمه ربُّه الودود، بعدما فسّر بما هو المختار عنده: وأما ما قيل في تفسيره مَن كان منهم في دينه الخ. فلا سبيل إليه أصلاً؛ لأنّ مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام، وأما بيان حال مَن مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعاً بل ربما يُخِلّ بمقتضاه من حيث دلالته على حِقيّته في زمانه في الجملة.

أقول: لعلّ صدوره منه عجيباً، كيف لا، وانّ الواجب على المؤمنين التصديق والإقرار بحِقيّة جميع الأديان في زمانها قبل الانتساخ لكن يكفي فيه الإجمال، ولا يلزم التفصيل كما في ديننا فمِن أين الإخلال؟ بل خلافه مما يُخِلّ بالإيمان وسائر الاعتراضات ظاهر الورود يحتاج الجواب إلى تكلُّفٍ ما، فالسكوت هو الصواب.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيّض الله وجهه: **أي أمر يصحّ ويُعتَدُّ به** الخ.

أقول: لعلّ هذا دفع ما وَرَدَ على ظاهر قوله تعالى "ليست على شيء"، بأن يُقال كيف يصح أن يُنسب كل مَن الفريقين كون الآخر لا على شيء بطريق العموم، يعني أنّ مراد كل منهما إنكار دين الآخر من جميع الوجوه؛ بأن يقول كل منهما لصاحبه: إنكم مالم تتبعوا بديننا لا يصح توحيدكم الصانع ولا يُعتَدُّ به، ولا بتوصيفكم به تعالى ولا بإيمانكم باليوم الآخر، كما نقول الآن لأهل سائر الأديان

---

[1] ورد في هامش أ: بحسب المقام؛ بل هي مَن تجلى الفضل تأبَ وتذهب تُعرف بالذوق لا بالقول والكلام، (منه).

[2] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة (2)، 62].

[3] البقرة (2)، 113.

كذلك. وفي الحقيقة كذلك لأنّه لا يصح شيء ما ولا يُعتَدُّ به من أصل الأديان، مالم يُقرّوا بدين نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلم؛ لأنّه مبعوث لكافّة النّاس والعموم، وليس كذلك غيره؛ لأنه على الخصوص، فافهم.

فلا وجه لما قال الفاضل المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه تعالى؛ من أن كلاً منهما يثبت الصانع ويصفه تعالى ويؤمن ببعض المؤمن به، وكل أمر صحيح معتدّ به، انتهى حاصله. ولا يحتاج إلى جوابه من أنّ كلاً منهما لمّا ضُمَّ إلى الأمر الصحيح ما يُحبط ثوابه صار كأنّه ما أتى به أو أن العام خُصَّ بباب الثبوت، انتهى.

ولعلّ الوجه الوجيه ما قرع سمعك وهو إبقاء النص الشريف على عمومه؛ لأنّ وُروده ونزوله للتوبيخ على مكابرة هؤلاء، وعنادهم وتعنّتهم وعدم المبالاة عن الكذب وتكذيب الحق الحقيق بالقبول. والعموم دلّ على ذلك كما لا يخفى لِمَن هو من الفحول، والله تعالى أعلم بكلامه ورسوله صلّى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ الآية،[1] قال البيضاوي بيّض الله وجهه: **في شأنه واصطفائه نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلم من العرب دونكم الخ**. وقال مولانا أبو السّعود رحمه ربُّه الودود: وأما ما قيل من أنّ المعنى ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ إلخ. فمع عدم ملائمته لسباق النَظم الكريم وسياقه، لاسيما على تقدير كون كلمة أم معادلةً للهمزة غير صحيح في نفسه، لما أنّ المراد بالأعمال من الطرفين ما أُشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة. ولا ريب في أنّ أمر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدّين المَبنيّ على البعثة ومخالفته، فكيف يُتصوّر اعتبار تلك الأعمال في استحقاق النبوّة واستعدادها المتقدّم على البعثة بمراتب.

أقول: لعلّ هذا الرد من الفاضل المذكور، رحمه ربه الغفور، ليس على ما ينبغي، كيف لا والسباق والسياق كلاهما يدلّان على خلاف ما قال؛ كما صرّح الشّيخ الكامل الأكمل[2] قُدس سرّه

---

[1] ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة (2)، 139].

[2] بعد تتبع أقوال من يقصده المؤلف بالشيخ الأكمل أو الشارح الأكمل وجدت أنه كلام الشارح ابن التمجيد في حاشيته على تفسير البيضاوي، فلعله يقصد ابن التمجيد بهذا اللقب؛ كما يبقى الاحتمال أن يقصد ابن كمال باشا الملقب بالكامل والذي له حاشية على الكشاف للزمخشري، ينظر: الشقائق لطاشْكُبْري زَادَهْ، 226-227).

بقوله: يدل على هذا التّفسير سباق الكلام وسياقه؛ أما سباقه فلأنّهم لمّا أُمروا بالإيمان بالذي أُنزلَ على محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[1]، وبيّن لهم أنّه ملّة إبراهيم، والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من ذريّته، ثم أنكر محاجتهم في الله عليهم لزم أن يكون محاجة منهم لها مدخل في الدفع. وأما سياقه فمن قوله ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾[2] وما فيه من التعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم بالنبوّة. انتهى.

وأما قوله: (غير صحيح في نفسه لما أنّ المراد) الخ. فليس له باعث إلا قصور البشرية، وقلّة الرؤية؛ فإنّ قوله هذا إنّما يصحّ لو كان المحاجة في النبوّة الظاهرة أولا، وأما إذا كانت في النبوة الخاتمة الآخريّة فاعتبار الأعمال المبنيّة على الدّين المتقدم الموقوف على البعثة السابقة في زعم العمال في استحقاق النبوّة الخاتمية الآخرية واستعدادها صحيح حقيق، بل جيد أليق لإلزام المكابرين الزاعمين وقطع عروق المعاندين، على ما صرح المصنّف رحمه تعالى بقوله: كأنه ألزمهم على كل مذهب ينحتونه إفحاماً وتبكيتاً. فهذا مما له مزية وقبول عند ذي الفهم والعقول.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق الإنسان و علمه البيان، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الذي اصطفاه من آل إبراهيم وآل عمران، وعلى آله الذين لولاهم ما تشرفنا بالحديث والقرآن، ختمنا الله تعالى على الاتباع والمحبة حشرنا معه[3] في الجنان.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية[4]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **بما يسرهم أو بشيء أصلا، وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة،**

---

[1] البقرة (2)، 136.

[2] ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة (2)، 140].

[3] أ – حشرنا معهم، صح هامش.

[4] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران (3)، 77].

**أو لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته**. وقال الفاضل الشهير بملا كوراني[1]: والحمل على عدم انتفاعهم بآيات الله تعالى وكلامه بعيد بدليل السباق والسياق، وقال في الهامش وإنما كان بعيداً لأن هذا حالهم يوم القيامة. انتهى.

أقول: لعل مراد المصنّف رحمه تعالى بقوله: (لا ينتفعون) إلخ. ظهور عدم انتفاعهم بها يوم القيامة على معنى لا يظهر انتفاعهم بها يوم القيامة، والإطلاق لدلالة السباق والله تعالى أعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ الآية[2]، قال الزّمخشري: **أي بتخليته، استعار الإذن لتخليته الكفار، وأنه لم يمنعهم لِيبتليهم؛ لأن الإذن مُخِلٌ بين المأذون له ومراده**. انتهى. وقال الشارح الشهير بشيخ الأكمل رحمه الله تعالى: قيل هو على مذهبه؛ لأن إصابة الكافرين من المؤمنين قبيح لا يجوز الإذن بها، وهو إنما يصح إذا فسر التخلية بعدم المنع منهم كما قال، وإنه لم يمنعهم منهم عطف تفسير فإن العدم ليس بمخلوق، وأما إذا فسّرت بأمر وجودي فليس بمهروب والظ [الظاهر][3] أنّه لا اختصاص له بمذهبه؛ لأن حقيقة الإذن متعذرة فتعين المصير إلى المجاز. انتهى.

أقول: لعل قوله (الظاهر) الخ. رشحة اعتزالية، وإلا فظهور شيء بلا إذنه تعالى متعذّر، بل ممتنع محال. كيف لا وإنه لا يمكن أن يوجد شيء ما بلا إرادته ومشيئته تعالى، فكل مراد مأذون البتة؛ لقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[4] ، لا سيما وهو تعالى فاعل مختار، والخير والشر بالنسبة إليه خير وكمال محض. وما يُرى عند العقل فمن تقابل الأسماء وإلا فكل شيء بالإضافة إلى ربه المقيّد خير، لا غير، فافهم ولا أظنك. وقد قال تعالى ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ

---

[1] هو أحمد بن إسمعيل، شمس والدين الكوراني (813-893هـ/1410-1488م): مفسر، فقيه، قرأ ببلاده ثم ارتحل إلى القاهرة وتفقه بها وقرأ هناك القراءات العشر بطريق الاتقان والإحكام، عهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم وليّ عهده (محمد الفاتح)، وولي القضاء في أيام الفاتح، وتوفي بالقسطنطينية. ألف في التفسير "غاية الأماني في تفسير السبع المثاني" (ينظر: الشقائق لطاشْكُبْري زَادَهْ، 51-55)؛ الأعلام للزركلي، 1/97-98)

[2] آل عمران (3)، 166.

[3] زادها المحقق وقد كُتبت كاملة بعد سطر ونصف.

[4] الرحمن (55)، 29.

عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ الآية[1]، وقال صلّى الله تعالى عليه وسلم: "والخير كله بيدك وأما الشر فليس إليك."[2]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **والآية تدل على أن الإنسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن، ولا يتوقف عليه إدراكه وتأمّله والتذاذه، ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ الآية[4] وما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه عليه الصّلاة والسّلام قال: "أرواح الشهداء."**[5] وقال الشارح الشهير بشيخ الأكمل قدس سره: والحديث يدل على أن أرواحهم تنتقل إلى جسم آخر وقد اتفق عليه العقلاء، لكن هل تكون مدبّرة لذلك الجسم أو لا تكون؟ اختلفوا فيه، فذهب علماؤنا على صحة ذلك لدلالة ظاهر الحديث عليها صريحا، وقالت الحكماء: لا يصح أن تكون مدبّرة لتلك الأبدان؛ وإلا كان تناسخا وهو باطل.

وأجيب بأنه إنما يلزم التناسخ على تقدير عودها إلى جسم غير جسم نفسها الذي كانت فيه، والعود حاصل في النشأة الجنانية وإنما هذا التعلق في النشأة البرزخية لتحصيل الاستعداد المسعد للوصول إلى مرتبة العارفين الفائزين. وقد قرّرنا شرح هذا الحديث برواياتها في الإشراف شرح مشارق الأنوار[6] بأتم ما يكون، والتسليم أسلم؛ لأن الروح عند أهل السنة عبارة عن جسم لطيف حاصل من

---

[1] آل عمران (3)، 26.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه بلفظ: "...لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك..."، ينظر: صحيح مسلم، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (201) 534/1.

[3] آل عمران (3)، 169.

[4] غافر (40)، 46.

[5] الحديث الذي أشار إليه المؤلف ذكره البيضاوي بصيغة أطول، لكن ليس في الحديث المروي عن ابن عباس كلمة "الشهداء"، فنصه: "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش...". أخرجه أبو دود وغيره، ينظر: سنن أبي داود، باب في فضل الشهادة (2520)، 174/4؛ المستدرك للحاكم، كتاب الجهاد (2444)، 97/2؛ ورد في هامش أ: في أجواف طيور خضر ترِد أنهار الجنّة وتأكل من غارها، وتأوي إلى قناديل مُعلّقة في ظل العرش، (منه).

[6] اسم الكتاب "الإشراق شرح مشارق الأنوار" لمحمد بن محمد بن محمود (البابرتي).

بخارية الأخلاط سار في البدن سريان ماء الورد في الورد، فهو أمر قائم بها؛ فأنّى يتحقق الانتقال إلى جسم آخر؛ نعم من ذهب إلى أنها النفس الناطقة وهي مجردة؛ أمكنه أن يقول بذلك. انتهى.

أقول: لعل هذا نزاعاً لفظيّاً وأنّ كلا يقول بما قال به الآخر؛ فإن الروح قسمان: روح الحيوان، وروح الإنسان؛ فمراد أهل السنة بما قالوا الله تعالى أعلم؛ الأول مسَلّمين، الثاني أيضاً؛ وحاشا منهم أن يقصروا عليه وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ الآية[1]. فأين البخار من أمر الغفار، وإن كان أثرا من الفاعل المختار، لكن من إجمال الكلام فهم ما فهم ولا يخفى المرام عند ذوي الأفهام.

قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية.[2] قال الزّمخشري: **وفي النصائح الصغار إملأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكراً في قدرة مقدّرها متدبّرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر** إلخ. وقال الشارح الأكمل رحمه الله تعالى: هو كتاب صنّفه جار الله، وله كتاب آخر سمّاه النصائح الكبار صنفهما بعد توبته. انتهى.

أقول: لعل قوله "صنفهما بعد توبته" لا يستقيم أصلاً ولا يصح قطعاً؛ لأن قول جار الله في الكشاف وفي النصائح الصغار كذا يقتضى أن يكون قد صنّفه قبل الكشاف، وهو ينقض توبته؛ لأنه مملوء بخرافات الاعتزال، كما لا يخفى على مطالعيه من الأفاضل. فكيف يتصور التصنيف بعد التوبة والمؤخر ينادي على خلافه.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **فقد أخزيته غاية، ونظيره قولهم: من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك، والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه، وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع**. انتهى. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه تعالى: إن أراد العذاب المتعلق بالأعمال الروحية؛ فالأمر ظاهر،

---

[1] الإسراء (17)، 75.

[2] ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران (3)، 191].

[3] آل عمران (3)، 196.

وإن أراد المعنى المشهور؛ فوجه الإشعار أن السَوق قرينة على أن المراد بإدخال النار التعذيبَ الروحاني، وفيه ما فيه. انتهى.

أقول: لعل المراد بالعذاب الروحاني الإخزاء ووجه الإشعار بين ما فيه؛ لأنهم لمّا لم يقولوا فقد عذبته أو نحوه، بل قالوا ما قالوا؛ تبيّن ما قال المصنّف رحمه تعالى فلا وجه للترديد، وليس فيه.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله باري البرية، منزل موائد أرزاقها والمائدة، والصّلاة والسّلام على خير البرية بالسجيّة، وعلى آله الذين اتبعوه بحسن الطوية والنية.

وبعد: قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **وعن بعض الصوفية المائدة منها عبارة عن حقائق المعارف، فإنها غذاء الروح كما أنّ الأطعمة غذاءُ البدن** إلخ. وقال المحشّى الشهير بعصام الدّين:[2] الظّاهر أنّها عبارة عن عمل مشتمل على حقائق المعارف. انتهى.

أقول: لعلّ المحشى المذكور، رحمه ربّه الغفور، ظن أنّ كلَّ أحد يصلح لكلّ غداء، ولم يتذكر قولهم: لكلّ رجال مقال، ولكلّ مقال رجال؛ فالمناسب ألّا يتكلّم المرء إلّا فيما علم، وأسرار الصّوفية لا محالة وراء علم أهل الرسم، وغذاهم لا يصلح إلّا للرجال، فلا يحتاج المقال إلى التقدير والصرف، بل هو على مقتضى الحال، تأمّل وذق ثم تكلّم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله خالق الأنام والأنعام، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي اختصه بمزيد الأفضال والإنعام، وعلى آله الذين هم هداة أهل الإسلام.

---

[1] المائدة (5)، 114.

[2] تقدمت الترجمة له.

وبعد: قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾[1] قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **إذ فاتهم النعيم، واستوجبوا العذاب المقيم**.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ الآية، قال البيضاوي: **غاية لِكذّبوا الأخسر؛ لأنّ خسرانهم لا غاية له**. انتهى. وقال المحشى الشهير بعصام الدّين: وكونه غاية لكذّبوا لا يفسد بفساد كونه غاية يخسر، إنما يثبت لو لم يرد عليه أنّ نهاية تكذيبهم الموت لا مجيء السّاعة. وأجاب عنه الكشاف بأنّ الموت جُعل من الساعة؛ لأنه من مقدماته، أو جعل الساعة لسرعة مجيئها بعد الموت زمان، وح [حينئذ][2] نقول: يصحّ جعله غاية لخسرٍ؛ لأنّ الخسران فوت رأس المال، وحين الموت لم يبقَ رأس المال وهو الحياة، فانتهى زمان خسرانهم. انتهى.

أقول: لعلّ أنّ هذه الصحة عليلة ممنوعة على تفسير المصنّف رحمه تعالى بقوله "إذ فاتهم" إلخ. إذ الفوت والاستيجاب بلا انتهاء؛ كما لا يذهب على الألباء.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه تعالى: **ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها، والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب**. انتهى. قال المحشى الشهير بشيخ زاده رحمه تعالى: قوله (ويكذبونها) على أن يكون الجحود بمعنى التكذيب بقرينة ذكره في مقابلة لا يكذبونك.

أقول: لعلّ الفاضل المرحوم لم يرَ أو نسي قول المصنّف رحمه تعالى والباء لتضمن إلخ.

---

[1] ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام (6)، 31].

[2] زادها المحقق.

[3] الأنعام (6)، 33.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي بيّض الله تعالى وجهه: **إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدلّ على إعجازه**. انتهى. وقال الفاضل المحشى الشهير ببستان أفندي[2] رحمه تعالى: قوله (ووقوع مخبره) إلخ. يدلّ على إعجازه كما يدل عليه سائر وجوهه مما لا يحصى، ولما وقع قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ﴾ الآية[3]. وليس في كلامه شمة من رائحة الحصر، فليت شعري لما قال مَن قال[4] هذا إشارة إلى ما قيل في وجه إعجاز القرآن؛ هو إخباره عن المغيبات وفيه أنّ الإخبار عن المغيبات ليس إلّا في قليل من الآيات، والأولى جعله من وجوه الإعجاز لا حصر الإعجاز فيه، والمراد بالإخبار عن الغيب ههنا الإخبار بطريق الجزم واليقين من غير احتمال عدم الوقوع أصلاً. وإلّا فقد يقع الإخبار عن الغيب من بعض الأشخاص بالظن ويطابق الواقع. انتهى.

أقولُ: لعلّ المحشى الأول[5] ظنّ أنّ مراد الفاضل الثاني[6] بقوله (والأولى جعله) إلخ. رداً على المصنّف رحمه تعالى، فقال ما قال من قوله ليت شعري إلخ، وليس ذاك؛ بل مراده رد من قال في وجه إعجاز القرآن هو إخباره عن المغيبات بأداة الحصر، كما لا يذهب على من تأمل ونظر، شرّفنا الله تعالى بالنضر والنظ.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الخلّاق بلا خلاف، والصّلاة والسّلام على سيد الأنبياء والرسل المقرّ لنبوته الأسلاف والأخلاف، من أهل العناية ذوي الإنصاف، وعلى آله الذين اتبعوه بالإنصاف بلا اعتساف.

---

[1] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام (6)، 148].

[2] هو مصطفى بن محمد علي، الأيديني، التيروي، الرومي، المعروف ببستان أفندي (904-977هـ/1498-1570م): فاضل، من مستعربي الترك. من أهل (تيرا) وكان قاضيا في الروم ايلي. له كتب عدة، منها حاشية على تفسير البيضاوي (البغدادي، هدية العارفين، 435/2؛ الأعلام للزركلي، 240/7).

[3] النحل (16)، 35.

[4] ورد في هامش أ: القائل سنان أفندي، (منه).

[5] ورد في هامش أ: أعني بستان أفندي المرحوم، (منه).

[6] ورد في هامش أ: سنان أفندي، (منه).

وبعد[1]: قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ الآية[2]، قال أبو السّعود رحمه الله الودود: **وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه الصّلاة والسّلام عنه؛ إمّا لما مرّ من المبالغة في تنزيهه عليه الصّلاة والسّلام عن الشك فيما ذكر فإنّ النهي عن الشيء مما يوهم إمكان صدور المنهي عنه عن[3] المنهي**.

لعلّ أنّ هذا التعليل عليل، فإنّ المحذور الموهوم موجود في هذا التوجيه المعلوم؛ لأنّ نهي كون الحرج في صدره عليه الصّلاة والسّلام يوهم إمكان كونه فيه، وهو سبب لاتصافه عليه الصّلاة والسّلام به، بل هو أشد محذوراً من الأول؛ فإنّ الكناية أبلغ من الحقيقة؛ كما لا يخفى على من له المسكة.

ثم قال: **وإمّا للمبالغة في النهي فإنّ وقوع الشك في صدره عليه الصّلاة والسّلام سبب لاتصافه به، والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن أصله بالمرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ الآية[4]، وليس هذا من قبيل "لا أرينّك ههنا"، فإنّ النهي هناك وارد على المسبب مراداً به النهي عن السبب؛ فيكون المآل نهيه عليه الصّلاة والسّلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل**.

لعله أراد ردّ صاحب الكشاف والبيضاوي في قوليهما[5]، فإن قلت النهي في قوله (فلا يكن) متوجه إلى الحرج[6] فما وجهه؟! قلتُ: هو من قولهم (لا أرينّك ههنا)،[7] وتوجيه النهي إليه للمبالغة، كقولهم: (لا أرينّك ههنا). فلم يصب مخره؛ لأنّ مرادهم التنظير في كون المنهي في كلّ منهما بواسطة الانتقال والكناية؛ سواء كان من السبب إلى المسبب أو بالعكس بلا مرية.

---

[1] في س م ينقص كل ما قبله.

[2] ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف (7)، 2].

[3] أ – المنهي عنه عن، صح هامش.

[4] المائدة (5)، 8.

[5] س م: قولهما.

[6] م: حرج.

[7] س م – ههنا.

قال[1]: **وأمّا على التّفسير الثاني فإنّما يتأتّى التعليل بالإنذار، لا بتذكير المؤمنين؛ إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل[2] غاية لانتفائه.**

أقول: كأنه نسي ما قدمت يداه من قوله: "أو أن تقصر في القيام بحقه"، وإلّا فخوف التقصير في تذكير المؤمنين مقرّر، فيجعل غاية لانتفائه بلا شائبة شبهة.

الحمد لله الذي جعل ثقل ميزان عنايته الأزلية في حق عباده المؤمنين خير البرية كالبذر، وثقل الأبدية كالثمر، والصّلاة والسّلام على من جعله ميزاناً سوياً بين السعداء والأشقياء في الخلق والخُلق؛ بل بين الحقّ والخلق،[3] وعلى آله وأصحابه الذين كانوا موازين العدل والاهتداء إلى الحق.

أمّا بعد: فلما ثقل فهم الآيات الواردة، والأخبار الصادرة في حق الموازين على العقول الضعيفة المكدّرة بأنواع المطالب الدنياوية المحقّرة، وأرادوا مع ذلك أن يقلدوا أصحاب العقول الصّافية المنوّرة، وأولي الألباب والنهى، هيهات هيهات أين الثرى من الثريا؛ فضربوا أقوالهم وخبطوا خبط عشواء،[4] بل غلطوا في توفيق أقوال واحد منهم فقالوا ما قالوا، بل ضربوا الآيات العلى بعضها ببعض ولم يَحذروا من قوله عليه الصّلاة والسّلام: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنّما أُنزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعضٍ فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم فكِلوه إلى عالمه،"[5] من حسان المصابيح؛ أردت بإذن الله تعالى وحسن توفيقه أن أوفق أقوال البيضاوي، قدسه الله سره وبيض وجهه، وألوح إلى حسن توفيقه بين آيات الميزان الأوفى، رجاءً منه تعالى الفوز بسعادة الآخرة والأولى. اللهم اهدنا ووفقنا لما تحب وترضى.

---

[1] س + أبو السعود.

[2] س – يجعل.

[3] ورد في هامش أ م: وردَ في الحديث الصحيح: "مَن أطاع محمداً فقد أطاع الله تعالى، ومَن عصى محمداً فقد عصى الله تعالى، ومحمد فرق بين الناس،" (منه) [أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دون مكان النشر، دار طوق النجا ة،1422هـ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (7281)، 93/9]؛ وفي قوله تعالى: تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده رمزما إلى ما أو مانا، (منه).

[4] س م: العشواء.

[5] مسند أحمد، (6741)، 351/11؛ الطبراني، (2995)، 227/3.

فنقول: إن أول آيات الموازين في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ[1] يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2] قال في تفسيره: **حسناته أو ما يوزون به حسناته، وجمعه باعتبار الموزونات وتعدد الوزن، فهو جمع موزون أوميزان**. ولم يتعرض بتفسير قوله ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[3] اعتماداً على وضوح الظهور بقرينة المقابلة؛ إذ لا يذهب على أحد أن تفسيره غير[4] تفسير الأول. أعنى ومن خفت حسناته أو ما يوزون به حسناته[5] فافهم. ولا تغتر بقول بعض الفضلاء في تفسيره أي موازين[6] أعماله أو أعماله التي لا وزن لها، والاعتداد بها وهي أعماله السيئة، وقال الفاضل المعهود عليه رحمة الله الودود في سورة القارعة خلاف ذلك المردود، وأصاب الحق المودود: **وأما من خفت موازينه بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجّحت سيئاته على حسناته**، فنرجو له الرحمة، فإنما الأعمال[7] بالنية.[8]

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الثانية في سورة الكهف: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾[9] ، **نصب على التمييز، وجمع لأنه من أسماء الفاعلين**؛ يعني أن أعمالاً جمع عمل ككتف أو عامل كشاهد وإشهاد. هذا ولا تلتفت[10] إلى التكلفات المسفورة في الحواشي

---

[1] ورد في هامش أ م: أي: القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء، والجمهور على أنّ صحايف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلايق إظهار للمعدلة وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم، فيعرف بها ألستنهم وتشهد بها جوارحهم، للقاضي رحمه الله تعالى، (منه).

[2] الأعراف (7)، 8.

[3] ورد في هامش أ م: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ الآية، [الأعراف (7)، 9].

[4] س: عين.

[5] س – أو ما يوزن به حسناته.

[6] س م + أي موازين، (مرتين).

[7] ورد في هامش أ س م: الصحاح رجل عمل بكسر الميم، أي: مطبوع على العمل، (منه).

[8] س – بالنية.

[9] الكهف (18)، 103.

[10] س: تلتف، وورد في هامش أ س م: قال المحشى الشهير الشيخ زاده رحمه الله تعالى: قوله جمع؛ لأنّه من أسماء الفاعلين، أي؛ لأنّه تميّز عن الأخرين بمعنى الخاسرين، كقولك "الله أكبر" بمعنى الكبير، يعني أنّ اسم الجنس وإن كان يتناول آحاد مدلوله إلا أنه لا يدل على اختلاف، فاعلهو لا على تنوع مدلوله، فجمع العمل ليدل على أحد الأمرين. وقال الفاضل الشهير بسعدي أفندي، نشير إلى أنّ الآخرين بمعنى الخاسرين، (منه).

المشهورة؛ أو لتنوع أعمالهم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾[1] فنزدري بهم، **ولا نجعل لهم مقدارا واعتباراً**، يعني لأعمالهم؛ فيكون على وزان قوله[2] الأوّل في الآية الأولى من أن الموازين جمع موزون وهو ماله، وزن وقدر واعتبار كما سيصرّح به في الآية الرابعة؛ فيكون نفي إقامة الوزن كناية عن ازدراء الأعمال وعدم الجعل لها الوزن والقدر، لا نَفْي الميزان.[3]

ويؤيد هذا ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا"[4]؛ وقوله: (**أو لا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها**)، عبارة عن نفي الميزان على طبق قوله الثاني في الأولى؛ وهو "أو ميزان"، فيحصل الطباق والوفاق ولا يرد ما أورده بعض الأفاضل[5]، بقوله: ويرد عليه أن حقه ح [حينئذ[6]] أن يعطف عليه بالواو عطف أحد الفرعين على الآخر؛ لأن منشأ الارداء[7] بهم كفرهم بآيات الله تعالى ولقائه، لا حبوط أعمالهم وما قيل في الانتصار.

قلت: قوله[8] (لا حبوط أعمالهم ليس بشيء، ألا يرى أن الكفر لو لم يحبط أعمالهم الحسنة لاستحقوا الاعتبار لا الاستحقار)[9]. لعل مراده به أن لحبوط الأعمال مدخلاً في الازدراء، وأحسن منه

---

[1] الكهف (18)، 104-105.

[2] م: قول.

[3] ورد في هامش أ س م: لعل أنّه لو لم يكن مراده من هذا الوجه هكذا يتوجه عليه الاعتراض من وجوه الذهول عن العطف بالفاء على ما قيل، وترك التأييد في الأعراف على ما قيل يوزن الأشخاص بمتبادر هذه الآية، حينئذ وجعل المريض صحيحاً في صدر الكلام، وكل ذلك لايليق بمن هو من العلماء الكرام، (منه).

[4] ذكره الزمخشري في تفسيره، ينظر: الكشاف للزمخشري، 749/2.

[5] ورد في هامش أ م: المولى الشهير بابن الكمال عليه رحمة الله ذي الجلال، (منه).

[6] زادها المحقق إيضاحا.

[7] س: الازدراء.

[8] بين أسطر أ: سعدي أفندي، (منه)؛ ورد في هامش س م: قائله سعدي أفندي.

[9] س م + ليس بشيء لأنه أبين من الشمس في وسط النهار، إن الأعمال الحسنة لو فرض لها الاعتبار مع الكفر لم يرج لهم إلا خفة العذاب في النار دون دخول دار الأبرار كما لا يذهب على ذوي الأبصار.

ما قال مولانا أبو السّعود رحمه ربه الودود: حيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التقريع؛ وأما ما هو من أجزية الكفر فيجيئ بعد ذلك.[1]

ولم يلتفت المصنّف رحمة الله إلى ما نقل في الآية الأولى بقوله (وقيل يوزن الاشخاص)؛ لما روي عنه عليه الصّلاة والسّلام أنه قال: "لَيأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة،"[2] وإن كان ظاهر هذه الآية يؤيّده؛ لأنه خلاف الظاهر، فأشار ثمة إلى ضعفه بالتمريض، وهناك بالترك وعدم التعرض، ولم يهمله رأساً لكونه منقولا عن بعض السلف مؤيداً بما سلف، فلله تعالى دره حيث سلك في التدقيق[3] مسلكاً لم يسبقه أحد، و لا يدانيه واحد.

ولما فهم خلاف قوله (أو لا نضع لهم ميزاناً) إلى آخره، لقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآية[4]، على التّفسير الثاني المعلوم بالقرينة؛ وهو أو ما يوزن به حسناته، تدارك الوفاق والتوفيق في الآية في سورة المؤمنين: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[5] فقال: **موزونات عقائده وأعماله، أي ومن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر. فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات، ومن خفت موازينه، ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾**[6]. فظهر الطباق بحسن التطبيق فجزاه الله خير الجزاء.

قد أفاد معنى لطيفا قل من فهمه، فضلا أن أفاده؛ وهو أن يكون المراد بثقل الموازين وخفتها وجود ما له وزن وقدر وعدمه، مثلا: إذا قيل من خفّ ما يوزن به حسناته يكون المعنى من لم يكن له ما يوزن به حسناته لانحباطها، لا لكون الميزان غير متحقق في نفس الأمر؛ حتى يخالف ما أجمع عليه الجمهور من أن في القيامة ينصب ميزان له لسان وكفّتان وهو المؤمَن به المشهور، وقد أيد بأخبار

---

[1] س م – لعل مراده...بعد ذلك.

[2] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف (18)، 105] (4729)، 93/6؛ صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (18)، 2147/4.

[3] م: الترقيق صحيح.

[4] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف (7)، 9].

[5] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون (23)، 102].

[6] الكهف (18)، 105.

قوية الظهور؛ تركنا ذكرها لئلا يفوت ما[1] قصدنا من الإيجاز والتلويح، دون الإطناب والتصريح. ولمّا لم يطلع في تفسير الآية في سورة الأنبياء على معنى جديد، لم ينقل كلامه ولم يوضع عليه قلم التقييد.[2]

وقال في تفسير الآية في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾[3] **والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كسراب[4]، وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيُظن أنه ماء يسرب أي يجري، والقيعة بمعنى القاع و[5]هو الأرض المستوية، يحسبه الظمآن ماء أي العطشان، وتخصيصه لتشبيه الكافر في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة، حتى إذا[6] جاء ما توهمه ماء أو موضعه لم يجده شيئاَ ممّا ظنّه ووجد الله تعالى عنده، عقابه أو زبانيته؛ أو وجده محاسبا إياه فوفاه حسابه استعراضا أو مجازة،[7] والله سريع الحساب.**

**أو ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾[8] عطف على ﴿كَسَرَابِۭ﴾ وأو[9] للتخيير[10]؛ فإن أعمالهم لكونها لاغية[11] لا منفعة لها كالسّراب ولكونها خالية[12] عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجّ البحر والأمواج**

---

[1] س: مما.

[2] ورد في هامش أ س: ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الأعمال، وقيل وضع الموازين تمثيل الإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط؛ لأنّه مصدر وُصف به للمبالغة، للقاضي البيضاوي رحمه الله الباري، (منه).

[3] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور (24)، 39].

[4] م: كالسراب.

[5] س + لنسبيه؛ م + لنشيبه.

[6] س + جاءه؛ م – إذا + إذ جاءه.

[7] س: مجازاة.

[8] ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور، (24)، 40].

[9] س: أو.

[10] س: للتخبير.

[11] س: حالية لاعية.

[12] س: حالية.

**والسحاب، أو للتنويع، فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب، وإن كانت قبيحة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة**. ولا يخفى أن بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل قد تمّ عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ وقوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ الآية[1]، بيان لأحوالهم العارضة لهم بعد لذلك بطريق التكملة، إشعاراً بأن قصارى أمرهم ليس الخيبة والقنوط فقط، كما أنّ[2] المشبه به كذلك، بل[3] يعتريهم بعد ذلك ما يعدّ عنده الخيبة الكرامة والحبة؛ ومعطوف على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة نفع أعمالهم المحسوبة؛ فح [حينئذ][4] يكون هذه الآية مثل قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ الآية[5]، أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف؛ فأحبطناه لفقد ما هو شرط الاعتبار من الإيمان الصادق المصدّق عند الله الغفار.

فأفاد المصنّف رحمه الله تعالى ههنا أيضاً معنى أدق، وللقبول أليق، حيث قال: تفسير[6] قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾. جاء ما توهمه ماء لم يجده شيئاً مما ظنه، فاستفيد أن أعمال الكفار في دار الحيَوان والقرار ذات الوجهين؛ من حيث الاعتبار موجودة مرئية، غير موجودة متّصفة بالشيبة[7] فيما ظن[8] العملة من النفع ومحو السيئة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ بالفاء التعقيبية، فافهم.

ومن لم يلهم[9] هذا التدقيق الأنيق، والتحقيق الأليق قال: ليست الجملة معطوفة على ما (لم يجده شيئاً) بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً، فلا لوم على المولى؛ فإنما لكل امرئ ما نوى، فظهر من جملة المقال، أن قوله في سورة الزلزال:

---

[1] النور (24)، 39.

[2] س م + شأن.

[3] س + هو.

[4] زادها المحقق.

[5] الفرقان (25)، 23.

[6] س: في تفسير.

[7] س: بالشيئية.

[8] س: ظنه.

[9] بين سطور أ وهامش س م: أبو السعود.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[1] عامّ شامل للسّعداء والأشقياء، بلا تأويل ولا قيل وقال؛ فيرى الأول الأول للابتهاج والسرور، والثاني للتأسف والدعاء بالويل والثبور[2]. والأول الثاني للتهييج إلى شكر نعمة عفو العفو الغفور، والامتنان من الله الملك الشكور؛ والثاني الثاني للعقاب بما فعله في دار الغرور. ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إيّاه، أمّا المؤمن فيغفر له سيّئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته تحسّرا ويعاقب بسيئاته"[3].

وقد أفاد ههنا أيضاً معنى جديدا، أو للقبول سديداً، بقوله: (**ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتبب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب**)، كما لا يخفى على أولي الألباب؛ وقد مال إليه قلوب الازكياء، من كبار الأتقياء، اعتماداً على فضل الله ذي العظمة والكبرياء؛ وهو أن يضع[4] ذرّة خير الأشقياء، وإن لم يُرج لهم دخول دار السعداء. وما قيل في رده يرده قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورٗا﴾[5]، فأضعف من أن يلتفت لما[6] أن الأحوال والأمور على المراتب والتفاوت.

وقالوا[7] في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾[8] من مخارجهم من القبور إلى المواقف أشتاتاً متفرقين بحسب مراتبهم؛ ليُروا أعمالهم جزاء أعمالهم. فلعل أن اللازم إما عدم تقدير المضاف في أعمالهم على ما هو الظاهر، وإمّا تفسير قوله تعالى: ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ بقولهم عن المواقف؛ لأن الموقف ليس موطن الجزاء، بل رؤية الأعمال، ثم المصير إلى دار الجزاء بالعدل والإفضال.

---

[1] الزلزال (99)، 7-8.

[2] ورد في هامش أ س م: على فقده شرط الاعتبار والقبول، (منه).

[3] ذكره الطبري بسنده، ينظر: الطبري، 563/24.

[4] س: لا يضع.

[5] الفرقان (25)، 23.

[6] أ - من عمل فجعلنا هباء منثورا فأضعف من أن يلتفت لما، صح هامش.

[7] ورد في هامش أ س م: البيضاوي وأبو السعود وصاحب الكشاف رحمهم الله.

[8] الزلزال (99)، 6.

ولقد أصاب من قال[1]: أو يصدرون عن الموقف أشتاتاَ يتفرّق بهم طريق الجنة والنار، ولو أورده على وجه الانحصار، لأجاد وأنار، ومن أورده بقوله (وقيل يصدرون عن الموقف) إلى آخره مشيراً إلى التضعيف والتمريض؛ فكلامه عليل ومريض، ويؤيد لما أريد قول الإمام الرّازي[2] في التّفسير الكبير: الصدورُ ضّد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف وأشتاتا متفرّقين، فيحتمل أن يريده،[3] يصدرون عن الأرض إلى عرصة القيامة، و يحتمل أن يردوا عرضة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون منها إلى موقع الثواب والعقاب؛ وإن كان قوله أشتاتاً أقرب إلى الوجه الأول ولفظ الصّدر إلى الوجه الثاني، وقوله: (ليروا أعمالهم) أقرب إلى الأول؛ لأن رؤية عملهم مكتوبا في الصحائف هو أقرب إلى الحقيقة من رؤية جزاء الأعمال. فنحمد الله تعالى في كل حال ومراد، على ما وفقّنا وألهمنا هذا الوارد والإيراد، فإن التوارد للإمام المعدود من الإفراد، إنما أُلهم قبل مطالعة كتابه المقبول بين الآحاد.

وقال المصنّف رحمه الله تعالى في تفسير الآية في سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[4] **بأن ترجحت مقادير أنواع حسناته، فهو في عيشة راضية ذات رضى أو مرضية، ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾**[5] **بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها، أو ترجحت سيّئاته على حسناته**. فلعلّه إنما ترك تفسير الأوّل أوّلا بقوله (بأن يكون له حسنة يعبأ بها) اعتمادا على ظهور الفهم من الشق الثاني؛ كما اعتمد على هذا وترك تفسير الثاني في سورة الأعراف ومما سبق من التحقيق في سورة المؤمنين؛ ليكون السياق على وزان السباق، فيوجد الطباق والوفاق، كما هو الدأب والصواب في كلام أولي الألباب.

وعلى هذا يتضح أن يكون من الأولى عامة بمن ترجّحت حسناته وفاز بجنّات مفتحة الأبواب، ونال بدار الرضوان والثواب، ولمن[6] استوت حسناته وسيّئاته فزحزح عن النار، إما بفضل الله الملك الوهاب، أو بعد نوع آلام وعقاب؛ والثانية بأهل الكفر والنفاق طريد الباب. فثقل الله تعالى ميزانه يوم الميزان، حيث سعى في تفسير كلام الله المنان، ولم آل جهداً في بذل المقدور، وأفاد مالم

---

[1] أ س: صاحب الكشاف، منه.

[2] سبقت الترجمة له.

[3] س: أن يريد.

[4] القارعة (101)، 6.

[5] القارعة (101)، 8.

[6] س: وبمن.

يطّلع عليه أكثر الجمهور، مِن أن مَن استوت الحسنات والسيئات فيه غير مذكور؛ فشكر الله تعالى سعيه، وأفاض عليه بأنواع الأنوار اللوامع، حيث أفاد ما هو اللائق بكلم الله الجوامع.

ثم أشار إلى المعنى المتعارف بقوله (أو إلى آخره) ولم يلتفت إلى تحريفات أهل الاعتزال من تعميم من الثانية بجميع العصات وأهل الضلال، فيليق أن يُقرأ لهم مَن حَفِرَ بِئرًا[1] لأخيه وقع فيه؛ فإن نسبة الأفعال إلى أنفسهم ذات الانفعال قريب إلى الشرك والضلال، إن لم تكن أخاه في الأمثال، وكفيك في المقال[2] قول الواسطي[3] عليه رحمة الله ذي الجلال: ادّعى فرعون الربوبية على الكشف، والمعتزلة على السر تقول ما شئت فعلت. فنحمد الله تعالى ونشكره على ما أنعم وألهم، ما لم يسمع من أحد ولم يدخل تحت العلم[4] في فهم كلام الفاضل البيضاوي الذي هو في الفضل والعِلم كالعَلَم، نسأل من الله ذي الفضل والنعم أن يصب علينا سجال العفو والكرم.

قال[5] أبو السّعود عليه رحمة الله الودود: **وأما ما قيل من أن المراد الهبوط من السماء فيردّه أن وسوسته لآدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام كانت بعد هذا[6] الطرد.**

ليت شعري كون الوسوسة بعد هذا الطرد، كيف يعد مانعا لهذا الوجه على أنه مرويّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ مع أن الفاضل نسي ما قدم وقال بعد السطر[7] في قوله تعالى: ﴿أَخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾،[8] أي من الجنة أو من السماء، ولا شبهة أن هذا الخروج هو ذاك الهبوط.[9]

---

[1] س: خفر بئر.

[2] س م: هذا المقال.

[3] هو محمد بن موسى أبو بكر الواسطي (ت. 331هـ/942م): متصوف، من كبار أتباع (الجنيد) فرغاني الأصل، من أهل واسط، دخل خراسان، وأقام بمرو فمات بها (الأعلام للزركلي، 117/7).

[4] س: القلم.

[5] م + مولانا.

[6] أ: هذه.

[7] س: أسطر.

[8] الأعراف (7)، 18.

[9] ورد في هامش أ س م: وما قال في سورة البقرة: واختلف في كيفية توصّل إليهما بعد ما قيل له: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الحجر (15)، 34]، فقيل إنّه إنّما مُنع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة، أو لم يُمنع من الدخول للوسوسة. وقيل ابتلاء لآدم وحواء. وقيل قام عند الباب فناداهما. وقيل تمثّل بصورة دابّة فدخلَ ولم يعرفه الخزَنة. وقيل دخلَ في فم الحيّة فدَخلَ معها، وقيل أرسل بعض أتباعه. انتهى. فلا مانع أن تكون في حق السماء أيضاً

وقال الإمام فخر الدّين الرّازي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2]. **أضاف الإغواء إلى الله تعالى بقوله:"فبما أغويتني"، وفي آية أخرى ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3] أضاف إغواء العباد إلى نفسه، فالأول يدل على مذهب الجبر والثاني على القدر. وهذا دليل على أنه كان متحيّرا في هذه المسألة، أو يقال أنه كان يعتقد أن الإغواء لا يحصل إلا بالمغوى؛ فجعل نفسه مغوياً لغيره من الغاوين، ثم زعم أن المُغوي له هو الله تعالى قطعاً للتسلسل**. انتهى.

لعلَّ الأولى أن يجعل الأول دليل الخلق، والثاني دليل الكسب على ما هو المذهب المختار عند أولي الأبصار، ومن شأن الحق أن يعترف به كل عنيد جبار، وشيطان طريد مكّار؛ فلا دلالة على التحيّر والهيمان، بل على العلم والعرفان. ومع هذا كله غلبه الغواية والخذلان، فنسأل من الله تعالى التوفيق والهداية والإيقان، وعليه الاعتماد والتكلان.

وقال[4]: **والعجب أن إبليس قال للحق: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[5] وقال الحق ما يطابق ذلك: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾**[6].

لعل قوله هذا هو العجب، وكيف لا والشكور غير الشاكر؛ فلا يلزم من قلّة أحدهما قلة الآخر حتى يتعجب منه، فلا يكون هذا محل الطباق والإعجاب، بلا شك ولا ارتياب.

---

بعينه، وقد ثبتَ أنّ إبليس لم يكن ممنوعاً من صعود السماء قبل بعث نبيّنا عليه الصلاة والسلام، (منه)؛ وورد في هامش أ س م: وقال المولى المذكور: أو اهبط من السماء في سورة البقرة فنسي ماقدّم وأخّر رحمه الله الغفور، (منه).

[1] الأعراف (7)، 16.

[2] الأعراف (7)، 17.

[3] ص (38)، 82.

[4] أي الرازي.

[5] الأعراف (7)، 17.

[6] سبأ (34)، 13.

قال الفاضل المحشّي الشهير بشيخ زاده جزاه الله تعالى بالحسنى وزيادة: **قوله تعالى ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾**[1] **شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه، فإن اللام في قوله: "لئن لم تغفر لنا" لام توطئة القسم.**[2]

لعل هذا من زلل اللسان، إذ ليس اللام في هذا، كما لا يخفى على أهل الإذعان، فإنما أراد المرحوم أن يقول: فإن اللام في قوله تعالى ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[3]، فسبق لسانه إلى المذكور، عفا عنه الغفور. ومنه قوله:[4] **وروي عنه أيضا**[5] **أنه قال: جمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم الطبّ في خبر واحد وهو قوله: "المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عودته"**[6] **تم.** والصحيح المضبوط "المعدة بيت الداء."[7]

ومنه أيضا ماقال في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الآية[8]، **لجواز أن يكون قوله: ولا يستقدمون كلاما مستأنفاً جيء به للإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم**[9] **المضروب لهم تم.**

والمناسب لا يسبقون أجلهم المضروب أو لا يُسبقون[10]. ورأيت كل ذلك في نسخته بقلم المرحوم، ولعلّ أن جواز كون قوله تعالى ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ كلاما مستأنفا على ما قال بعيد بارد، بل الأولى أن يقال عطف قوله تعالى ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ على قوله ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ مع كون التقدم بعد المجيء مستحيلاً عقلاً للمبالغة في انتفاء التأخر؛ فكأنه قيل كما أن التقدم المستحيل في العقل مُنتَفٍ

---

[1] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف (7)، 23].

[2] م + تم.

[3] الأعراف (7)، 23.

[4] أ: أي قول المحشي المذكور، هامش؛ س م + تعلى.

[5] ورد في هامش أ س م: في قول البيضاوي رحمه الله الباري: وقال علي بن حسين بن واقد: جمع الله تعالى الطب في نصف آية وقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، (منه).

[6] الكشف والبيان للثعلبي، 230/4؛ جامع أحكام القرآن للقرطبي، 192/7.

[7] الرواية منقولة في كتب التفسير بكلي اللفظين، ينظر المراجع في الحاشية السابقة.

[8] الأعراف (7)، 34.

[9] س م + أجلهم (مرتين).

[10] س: سبق.

جداً، فكذا التأخر على ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1] فإنه عطف ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخره للمبالغة في نفي قبول توبة الأوّلين؛ وإلا فقبول توبة من مات على الكفر محال، لا يحتاج إلى النفي الذي يقتضي إمكان المنفي قبل، على ما ذهب إليه أبو السّعود المرحوم. أو يئوّل (إذا جاء أجلهم) بالقرب، كما أشار إليه البيضاوي المرحوم بقوله: (أو حان وقتهم). ولعله قد لوّح إلى الأوّل بترك التأويل في قوله: (انقرضت مدتهم)؛ لأن له شأنا لا يليق به أن يفوته الدقيقة وترك اللوحة الأنيقة.

ولما فسّر الأجل بقوله (مدّة) أو (وقت لنزول العذاب بهم)، قال المحشّي المزبور الشّيخ زاده: وهذا التّفسير يعني الثاني أوفق لقوله ولكل أمة؛ لأنه لو كان المراد بالأجل المعنى الأول لكان الظاهر أن يقال ولكل واحد أجل يموت عنده لا قبله ولا بعده تم.

ولعل أن هذا الظاهر قد كان مقولاً؛ لأن انقراض مدة كل أمّة لا يكون إلا بانقراض مدة الآحاد على سبيل الاجتماع أو الانفراد[2]، كما لا يذهب على الإفراد.

ثم قال[3]: والتّفسير الأول أولى من حيث أن التّفسير الثاني يقتضي أن يكون لكل أمة من الأمم وقت معيّن لنزول عذاب الاستيصال عليهم، وليس الأمر كذلك؛ لأن هذه الأمة أمة[4] مرحومة آمنة من عذاب الاستيصال. وهذا غريب منه لأن عموم لكل أمة أجل قد خصّص بما علم أن هذه الأمة مرحومة آمنة فهي مستثناة منه. أو لما قال أبو السّعود المرحوم من الأمم المهلكة هذا. وقال الفاضل المودود أبو السّعود: وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له تم.

وليت شعري كيف يفهم طلبهم له من نفي الطلب، وكيف هذا الإشعار، كما لا يخفى على أولي الأبصار؛ فالقول ما قال البيضاوي رحمه الله الباري: **أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول**، عصمنا الله تعالى من الهول والويل.

---

[1] النساء (4)، 18.

[2] ورد في هامش أ س م: وقال النيسابوري رحمه الله تعالى في التقصّي من هذا السؤال: ويمكن أن يقال الأمة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الآجال، فزال السؤال، فنِعم ما قال، لوفهِم الزوال، (منه).

[3] ورد في هامش أ س م: الشيخ زاده رحمه الله.

[4] س – أمة.

وقال المحشّي الشهير بابن تمجيد عليه رحمة الله المجيد: قوله والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع، أقول ينافي شركتهم فيها تقييد الحكم بمضمون الحال التي هي ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]؛ فقوله: لا يشاركهم فيها غيرهم في تفسير ﴿خَالِصَةً﴾ يناقض مشاركتهم فيها تبعا، فآخر كلامه يناقض أوله مع أن أوله يبطله التقييد بالحال. نعم، هذا التّفسير مستقيم على تقدير رفع ﴿خَالِصَةَ﴾؛ لكن المصنّف قرر المعنى على انتصابها على الحال، ثم روي القراءة بالرفع.

أقول: ليس في كلام المصنّف قدّس سره العزيز تناقض ولا الإبطال، كما لا يخفى على ذوي الأفضال؛ فإن شركة الكفرة في الدنيا لا تنافي تقييد الحكم بمضمون الحال كما زعم، إذ الحال مقدرة كما في قولهم: جاءني أمير معه صقر صايداً، وعدم مناقضة عدم مشاركتهم في الأخيرة مشاركتهم في الدنيا أغنى من البيان، عند من له الفهم والإذعان. كيف والمحشى المرحوم اعترف باستقامة المعنى في قراءة الرفع، ولا اختلاف بين القراءتين في المعنى سوى تقييد الحكم بالحال، وقد عرفت أن لا ضير[2] فيه؛ وإن أراد التناقض المصطلح فأغرب من كل غريب، إذ لا يتحقق إلا بعد الاتفاق في الوحدات الثمان، على ما عرف في علم الميزان؛ ولا اتفاق هنا في الزمان، ولا المكان؛ وهذا ليس بعجب من المحشى في عدم فهم كلام المصنّف رحمه الله تعالى فإنه أعلى منه، ولكن أن ردّه هذا يؤدي إلى إنكار القراءة المتواترة التي يكفر جاحدها عفا عنه المولى.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ الآية،[3] قال أبو السّعود المرحوم: **لعله أريد بوقت مجيء الرسل، وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء، والتوفي إلى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقّق المجيء، والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وإن كان حدوثهما في أوله فقط، أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء؛ وكأنّهما حاصلان عند ابتداء التوفي، كما ينبئ عنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: "من مات فقد**

---

[1] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف (7)، 32].

[2] أ: خبر أو خير، الحرف الثاني دون نقطة؛ س: ضير، وقد صحح الحرف الأول تحت الكلمة.

[3] الأعراف (7)، 37.

**قامت قيامته"[1]. وإلا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول؛ إنما يكون بعد البعث لا محالة.**

أقول: لعلّه إنما ارتكب هذا التأويل البعيد الاحتمال، لذهوله عن مختار السلف فيه من الأقوال، الأول: أن المراد هو قبض الروح؛ لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "الموت قيامة الكافر،"[2] فالملائكة يطالبونه بهذه الأشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ والتهديد، وهؤلاء الرسل هم ملائكة الموت وأعوانه؛ والثاني: قول الحسن البصري رضي الله تعالى عنه أن هذا يكون في الآخرة؛ ومعنى قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ ملائكة العذاب يتوفونهم، أي يتوفون عدتهم عند حشرهم إلى النار، على معنى أنهم سيكمّلون عدتهم حتى لا ينفلت منهم أحد.

فإن قيل: إنما ارتكب هذا المقال، لعدم اختياره المذكور من الأقوال، لا لما ظن من الذهول والاغتفال. قلت: هذا بعيد منه بل معدود من المحال، إذا الغالب من الاحتمال، أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ما قالا بالرأي والتخمين، بل حكمه الرفع إلى منبع الدّين.

وقوله: (أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء) إلى آخره.

أقول: ما كان هذا إلا شيء عجاب، لا يليق أن يصدر[3] ممن هو من أولي الألباب؛ إذ المراد من المبنئ المعدود من فصل الخطاب، بيان قرب القيامة الصغرى، وأن من مات قد عاين أحوال القيامة الكبرى، إجمالا على ما سيجيء. قال الإمام محيي السنة، أكرمه الله تعالى بالرحمة، في كتاب المصابيح:[4] باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته.[5] وصرّح العلامة الطيبي[6] شرفه الله تعالى بلطفه الخفي، وسائر الشُرّاح بأن الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبر بها عن القيامة. وقد ورد في

---

[1] ذكر في كتب التفسير، ينظر: الكشاف للزمخشري، 324؛ مفاتيح الغيب للرازي، 94/9.

[2] وقد ذكره الرازي في تفسيره، ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، 76/14.

[3] أ – أن يصدر، صح هامش.

[4] كتاب "مصابيح السنة" وهو من كتب الحديث.

[5] ينظر: مصابيح السنة للبغوي، 517/3.

[6] هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي (ت. س. 743هـ/1342م): من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضع. من كتبه "شرح مشكاة المصابيح" في الحديث (الأعلام للزركلي، 256/2).

كتب الله تعالى وسنة رسول الله[1] عليه الصّلاة والسّلام على أقسام ثلاثة: القيامة الكبرى وهي بعث النّاس للجزاء، والقيامة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت؛ وقيل هي موت جميع الخلق، والقيامة الصغرى وهي موت الإنسان، والمراد ههنا هذه. وقالوا أيضا: المراد بالساعة في قوله[2] عليه[3] السّلام: "لا يدركه الهرم حتى يقوم عليكم ساعتكم"[4] القيامة بطريق الموت. وقال الإمام أبو الليث[5] رحمه الله في كتابه التنبيه:[6] واعلم أنك إذا مُتّ فقد قامت قيامتك.[7] كما قال المغيرة بن شعبة[8] رضي الله عنه: "أنكم تقولون القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدكم موته."[9] وذكر عن علقمة بن قيس[10] رحمه الله: أنه كان في جنازة رجل، فقام على القبر، فلمّا دفن قال: أمّا هذا فقد قامت قيامته. وإنما قال ذلك لأن الإنسان إذا مات قد[11] عاين أمر القيامة؛ لأنه يرى الجنة والنار والملائكة، ولا يقدر على عمل من

---

[1] س: رسوله.

[2] ورد في هامش أ س م: رواه عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: "كان رجال من الأعراب يأتون النبي عليه الصلاة والسلام فيسألونه عن الساعة فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يَعِشْ هذا لايدركه الهرم" الحديث، (منه).

[3] س + الصلاة و.

[4] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (6511)، 107/8؛ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (136)، 2269/4.

[5] هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمَرْقَنْدي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى (ت. 373هـ/ 983م): علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة وكثيرة، منها كتابه "تنبيه الغافلين" في الموعظة الذي يشير إليه المؤلف هنا، (الأعلام للزركلي، 27/8).

[6] ينظر الحاشية السابقة.

[7] ورد في هامش أ س م: وقال هشام رحمه الله تعالى: الساعة هنا الموت يعني إذا ماتَ الرجل يرى جزاء ما فعل فكأنه رأى القيامة، (منه).

[8] هو المغيرة بن شعبة بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنِ مَسْعُودِ بن معتب الثقفي، ويكنى أبا عبد الله (20 ق.هـ-50هـ/603-670م): صحابي، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. وأول مشاهده الحديبية، وولاه عمر بن الخطاب البصرة، ثم عزله عنها وولاه بعد ذلك الكوفة، فقُتل عمر وهو على الكوفة. فعزله عثمان بن عفان عنها وولاها سعد بن أبي وقاص. فلما ولي معاوية الخلافة ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فمات بها. (الطبقات الكبرى لابن سعد، 97/6؛ الأعلام للزركلي، 277/7).

[9] الكنى والأسماء للدّولابي، (1627)، 930/3.

[10] هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمدانيّ، الكوفي، أبو شبل (ت. 62هـ/681م): تابعي، كان فقيه العراق. روى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون. وشهد صفين و وغزا خراسان. وأقام بخوارزم سنتين، وبمرو مدة. وسكن الكوفة، فتوفي فيها (التاريخ الكبير للبخاري، 41/7؛ الأعلام للزركلي، 248/4).

[11] م: فقد.

الأعمال، فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة، فختم على عمله بالموت فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه. انتهى.

فغالب الاحتمال أن لا يكون قوله (من مات فقد قامت قيامته) من الأحاديث الصحاح، إذ ليس في كتب الأئمة الصحاح، بل من الآثار؛ وإنما المذكور فيها هكذا: "إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، واعبدوا الله تعالى كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة."[1] ذكره ابن لال[2] في مكارم الأخلاق عن أنس رضي الله تعالى عنه؛ وعلى كلا التقديرين ليس فيه الأنباء عما قال، كما لا يخفى على أهل الفضل والكمال.

وأعجب من كل عجيب، ما قال المولى المرحوم اللبيب (وإلا فهذا السؤال والجواب، وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار، وما جرى) إلى آخره؛ كيف لا وإن مراده بقوله: (وما ترتّب عليهما من الأمر بدخول النار) الخ. هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ﴾ الآيات[3]، وهو جملة مستأنفة مسوقة لبيان بقية أحوال الكفار يوم القيامة؛ حتى صرح هو بنفسه ما قلنا حيث قال: أي الله تعالى- يوم القيامة. فالآية الأولى في الدنيا، أو في الآخرة على ما قرع سمعك، وهذه في الآخرة لا غير؛ فإين ما قال من الترتب، وأي حرف في التركيب اقتضى هذا الترتيب، فليس هذا منه؛ إلا تأييد اشتقاق الإنسان من النسيان، حيث[4] نسي ما قال في أقل مدّة من الزمان.

---

[1] لم أعثر على كتاب ابن لال، وقد ذُكر هذا الأثر في كتب التخريج، ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين المتقي، (42744)، 686/15.

[2] هو أبو بكر، أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن الفرج، بن لال، الهمذاني الشافعي (308-398هـ/920-1007م): كان إماما مفننا مشهورا بالفقه والحديث (سير أعلام النبلاء للذهبي، 75/17-76).

[3] ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف (7)، 38-39].

[4] س: حتى.

وقال المولى المحشّي الشهير بشيخ زاده، زاده الله تعالى زاده في قول البيضاوي، نوّر قبره الباري: (وقرئ لا تفتح ولا يفتح بالتاء والياء وفتحهما على بناء الفعل[1] للفاعل)، وهو الآيات على الأول والباري تعالى على الثاني، والآيات منصوبة على المفعولية على القراءتين.

أقول: أراد المرحوم أن يقول، والأبواب منصوبة على المفعولية، فسبق لسانه إلى الآيات.

قال المحشى الشهير بابن تمجيد رحمه الله في قول البيضاوي قدس سرّه: (حال من الواو)؛ أي قوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾[2] مع قوله: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حال من واو نادوا على الوجه الأول، وهو أن يكون المراد من الرجال طائفة في الموحدين المقصّرين في العمل، ومن الأصحاب على الوجوه كلّها لصحة المعنى على الكل؛ فالمعنى على الأول: وعلى الأعراف مؤمنون مقصّرون في العمل نادى هؤلاء المؤمنون أصحاب الجنة؛ حال كون أصحاب الجنة لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، أن سلام عليكم.

أقول: الصواب حال كون أصحاب الأعراف، كما لا يذهب على أهل الإنصاف.

قال القاضي قدس سره في قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[3] **جواب الاستفهام الثاني**.

أقول: يعني أن قوله تعالى ﴿فَنَعْمَلَ﴾ جواب ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ على تقدير هل نرد بالرفع؛ ومن قرأ ﴿نُرَدَّ﴾ بالنصب يرفع ﴿فَنَعْمَلُ﴾ على تقدير (فنحن نعمل) ، فافهم واصرف النشر إلى اللف.

قال المحشى شيخ زاده رحمه الله تعالى في قول القاضي (وفي خلق الأشياء مدرّجا): جواب عما يقال من أن خلقها دفعة واحدة أدلّ على كمال القدرة من خلقها في ستة أيام، وأوفق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُون﴾[4] فما الحكمة في خلقها مدرجا؟ أجاب عنه، أولا: بأنه تعالى خلقه مدرجا ليعلم بذلك أنه فاعل بالاختيار؛ فإنه لما خلقه مدرجا مع أنه لا فرق

---

[1] س م + الفعل؛ أ – الفعل، صح هامش.

[2] ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف (7)، 46].

[3] الأعراف (7)، 53.

[4] النحل (16)، 40؛ تم تصحيح الآية. وقد كُتبت: "إنما أمرنا إذا أردنا شيئا...".

بالنسبة إلى قدرته الكاملة بين خلقه مدرجا وخلقه دفعة، علم أن المرجح لأحد مقدريه على الآخر إنما هوالاختيار.

أقول: الصواب علم أن المرجح لأحد مقدوريه على الآخر؛ فهذا من زلل اللسان، عفا عنه الرحمن. وقال في موضع[1] وهذه الطائفة يقفون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]، ويبتدؤون من قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

أقول: الآية هكذا "يقولون آمنا به"[3].

وقال بعيد هذا فذكروا في تأويل الآية قولان.

أقول: الصواب قولين لأنه مفعول (ذكروا)، والقول بأنه على أحد الوجوه في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[4] تَوَغّل بلا تأمل.

قال[5] البيضاوي قدس سره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الآية[6]، **استوى أمره أو استولى[7]، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن.**

---

[1] ورد في هامش أ س م: وفي موضع ثم أخذ في تدبيره كالملك التمكّن في ملكيته، والصواب كالملك المتمكّن، وبعيد هذا، قال: "وعبودية أنفه"، والصواب "وعبودية نفسه"، وبُعيد هذا من عبد لحضّ تفسه والصواب لِحظ نفسه، (منه).

[2] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران (3)، 7].

[3] تم تصحيح الآية من قبل المحقق وقد كُتب لفظ الجلالة (الله) بدل "به" في الآية السابقة، فهنا المؤلف يبين ذلك.

[4] طه (20)، 23.

[5] س م + القاضي.

[6] الأعراف (7)، 54.

[7] أ: واستولى؛ وفي تفسير البيضاوي :أو استوى، (البيضاوي، أنوار التنزيل، 16/3).

أقول: إن في مثل قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ مذهبين: ذهب الخلف إلى أن تأويل المتشابه حيث ما ورد، وتطبيقه بالأصول المُحكمة أمر أهم؛ ورأى قوم وهو المذهب الحق الأحكم والذاهب إليه[1] لا يقف على لفظة الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[2]؛ بل يعطف عليه قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[3]، فأشار المصنّف قدس سره العزيز إليه بقوله (استوى أمره أو استولى) بالأول إلى أن المجاز في المسند إليه والمسند على حقيقته، وبالثاني إلى العكس وسلّف[4] مذهب الخلف لما فيه من حفظ قلوب العوام من الأوهام، وصيانة الكلام من مطاعن الملاحدة عديم الأفهام، والله تعالى أعلم بحقيقة المرام. وذهب السلف إلى أن المهم فيه الإيمان والإسلام، وتفويض العلم إلى الله ذي الإكرام؛ وهو المذهب الحق الأسلم، ومن ذهب إليه يقف على لفظة ﴿ٱللَّهُۗ﴾ ، فأشار إليه بقوله: (وعن أصحابنا أن الاستواء) الخ. فهكذا ينبغي أن يفهم المقام، ويحرر الكلام.

ومن لم يصل إلى المرام اضطرب في تحقيق المقام[5] فقال: فجعل الاستواء على العرش في حقه تعالى كناية عن نفس الملك والعزة والسلطنة على طريق ذكر اللازم، وإرادة الملزوم، إلى أن قال: فمحصول الآية أنه تعالى خلق عالم الملك في ستة أيام كما أراد وشاء من غير منازع ومدافع. وبعد أن خلقه كذلك استوى على الملك والتصرف فيه كيف شاء، فحرك الأفلاك وسير الكواكب، وكوّر الليالي والأيام، ودبر أمر مصنوعاته على ما تقتضيه حكمته؛ وهذا معنى قول المصنّف قدس سره: (استوى أمره)، أي ثم استقرّ أمر ربوبيته، وجرى أمره وتدبيره[6] ونفذ قدرته في مصنوعاته.

ثم قال: وبيان قوله (استولى)[7] أنه يحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى ثم استوى على العرش؛ أنه استولى عليه بالتأثير فيه وإيجاده والتصرف فيه على ما تقتضيه الحكمة البالغة، والقدرة الكاملة؛

---

[1] أ: عليه.

[2] آل عمران (3)، 7.

[3] آل عمران (3)، 7.

[4] أ س م: أي قدّم، (بين السطور وهو منه).

[5] أ س م: أي الشيخ زاده، (بين السطور وهو منه).

[6] أ: وتدبير.

[7] أ: واسنولى.

فإن الاستواء قد يذكر بمعنى الاستيلاء كما في قوله: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق؛ أي قد استولى عليه ونفذ تصرفه فيه. عبّر عن الاستيلاء على العرش، والتأثير فيه بالاستواء عليه؛ لأن الاستواء على الشيء عبارة عن الاستقرار عليه، وانتهاء الأمر عنده، إلى أن قال: فكان الاستيلاء على العرش استواء، واستقرارا لأمر الخلق عليه؛ فكأنه قيل: ثم استوى أمر الخلق على العرش وانتهى عنده باستيلائه عليه وتأثيره فيه.

فأَوهم أن يكون مراد المصنّف رحمه الله بقوله (استوى أمره أو استولى) كلاهما[1] المجاز في المسند، ثم صرح هذا في قول المصنّف: (والعرش الجسم المحيط)، وقيل المُلك حيث قال: ولم يرض به لأنه لا يكفي التصرف في لفظ العرش فقط؛ بل لا بد من التصرف في الاستواء عليه أيضاً؛ لأن العرش بمعنى المُلك لا يستوي أي لا يتمكّن عليه حقيقةً؛ بل لابد من جعل الاستواء على العرش كناية عن المُلك، ونفاذ التصرف كما اختاره.

وقد علمت ما[2] حققنا أن هذا مختاره في قوله: (استوى أمره) بالتصرف في المسند إليه والتجوّز فيه والمسند على حقيقته، وفي قوله: (استوى) بالتصرف في المسند على ما قال، نعم يتحد المآل، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[3] فقال البيضاوي: **أي اعبدوه وحده لقوله تعالى**: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فأشار إلى أنّ قوله تعالى:﴿مَا لَكُم﴾ الآية، استئناف مُسوق لبيان ما يُعَدّ به العبادة عبادة، ولا تُرَدُّ وتُضرَب على وجه صاحبها كخرقة العباد، وهو الإخلاص لله تعالى من غير رياء وإشراك وسمعة، وهذا أوفى.[4] ومما قيل: أي اعبدوه وحده وترك التقييد به للإيذان بأنّها العبادة حقيقة؛ لأنّ فيه ادّعاء معنى بلا قرينته مع وجودها، كما أشار[5] إليه آنفاً.

---

[1] س: كليهما.

[2] س م: على ما.

[3] ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف (7)، 59].

[4] س م: أولى.

[5] س م: أشير.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[1]، قال البيضاوي: **أي إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته.**

فلله تعالى دره، قد تفنن في كلامه حيث قال: قيل في قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾[2] الآية[3]، **ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم، وعدم استحقاقكم وطمع في إجابته تفضلا وإحسانا لفرط رحمته.** فعدّ الداعي فيه خوف الرد، وطمع القبول دون العقاب والثواب، المدلول بهذه الآية إشارة إلى مرتبة الخواص الذين عملوا وأطاعوا لمجرد امتثال أمر الله تعالى، وقضاء الحق ألوهية الوهاب، وإظهارا لعبودية أنفسهم لا خوفاً من العقاب، ولا طمعاً في الثواب، ولما كان الدعاء مخ العبادة صادف هذه النكتة مخزّه[4] وههنا اتبع المنصوص، وأشار إلى رتبة العوام وهي العبادة والطاعة بداعي خوف العقاب، وطمع الثواب؛ وهذا أولى مما قيل[5] تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها أثر تعليلها ببيان الداعي إليها، إذ قد عرفت أن الأول داعي الإخلاص لا نفس العبادة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[6] قال البيضاوي: **استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى، كأنه قال: ولكني على هدى في الغاية؛ لأني رسول من الله تعالى.**

أقول: أي باعتبار ما يلزم كونه رسوله، وهو كونه على هدى، فالضمير المستتر في يلزم راجع إلى ما الموصول، والبارز إلى كونه رسوله، فينبغي أن يلاحظ كلامه هكذا، وأما ما قيل:[7] أي باعتبار كون ما أثبت لنفسه من الرسالة في قوة لازم ما نفى عن نفسه من الاتصاف بشيء من وجوه الضلال، فإن من انتفى عنه الضلال بالكلية يلزمه أن يكون في غاية الهدى؛ ولا شك أن إثبات الرسالة لنفسه بمنزلة إثبات غاية الهدى لنفسه؛ وبهذا الاعتبار كان إثبات الرسالة لها استدراكا عن الكلام السابق

---

[1] الأعراف (7)، 59.

[2] في م: فادعوه.

[3] الأعراف (7)، 56.

[4] س م: مخره.

[5] ورد في هامش أ س م: أبو السعود، (منه).

[6] تم تصحيح الآية وقد كتبت في أ س م: "...ولكن..."؛ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف (7)، 61].

[7] ي هامش أ س م: الشيخ الشهير بشيخ زاده رحمه الله، (منه).

لكونهما متنافيين بالنفي والإثبات، فمناسبته للمشروح كالضب للبحر، فإن المتبادر من المشروح كون اللازم كونه على الهدى، والملزوم كونه رسوله.

ومن الحاشية عكس ذلك مع تكلف مستغنى عن الاعتبار، كما لا يذهب على ذوي الأبصار عفا عنه[1] الملك الغفار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية[2]، فقال أبو السّعود عليه رحمة الودود: أي **معجزة، ولم يذكر معجزة شعيب على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام في القرآن العظيم؛ كما لم يذكر**[3] **معجزات النبي عليه الصّلاة والسّلام؛ فمنها ما روي عن محاربة موسى عليه الصّلاة والسّلام التنّين حين دفع إليه غنمه؛ ومنها ولادة الغنم الدرع**[4] **حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها؛ ومنها وقوع عصا آدم عليه الصّلاة والسّلام على يده في المرات السبع؛ لأن كل ذلك**[5] **كان قبل أن يستنبأ موسى عليهما**[6] **الصّلاة والسّلام.**

أقول: لعله[7] نسي مذهبه، واغتر بكلام الزّمخشري حيث زعم أن لا يكون إرهاصات قبل النبوة، وهو مذهب الاعتزال؛ فقد ما كان في آخر عمر شعيب النبي عليه الصّلاة والسّلام وفناء قومه معجزة له، وهو إرهاصات موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام. وليس هذا أول ما خدع علماءنا بمذهبه السخيف، فانخدع به كل فطن ظريف.

قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[8]. قال أبو السّعود المرحوم: **أي إلا حال مشيئة الله تعالى، أو وقت**

---

[1] س م: عنا.

[2] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف (7)، 85].

[3] س م + أكثر، وهناك تعليق على هامش س: لا يوجد لفظ أكثر في نسخة الأصل بخطه رحمه الله.

[4] س م + خاصة.

[5] س – ذلك.

[6] س: عليه.

[7] س م – أقول لعله.

[8] الأعراف (7)، 89.

**مشيئة الله تعالى لعودنا فيها؛ وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا. فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا.**

أقول: لعل هذا ليس كذا إذ الارتداد والعود أيضا من آثار الربوبية؛ كما يدل عليه قوله تعالى رب العالمين، فلا ينبئ التعرض له عن عدم المشيئة، فضلا أن ينبئ عن الاستحالة.

ثم قال المرحوم وكذا قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۖ﴾ فإن تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها.

أقول: هذا أغرب من الأول وكيف لا وإن التنجية إنما تدل على عدم مشيئته كفرهم لا على عدم مشيئته العود بعد حين؛ لقوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[1]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام : "السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد."[2] ومن ذلك خوف سوء الخاتمة، عصمنا الله تعالى عنه، وشرّفنا بالإيمان والدّين المتين، آمين يا مُعين.

قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ**﴾[3] **وهو دليل على أنّ رؤيته تعالى جائزة في الجملة؛ لأنّ طلب المستحيل من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام مُحال، وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله تعالى، ولذلك ردّه بقوله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ دون أن أرى،[4] وأن أريك،[5] وأن تنظر،[6] تنبيها على أنّه قاصر عن رؤيته؛ لتوقّفها على معدّ في الرأى لم يوجد فيه بعد.**

---

[1] الرعد (13)، 39.

[2] لم أعثر عليه في المصادر التي أمكنني الوقوف عليها كحديث، وقد ذُكر كقول في بعض الشروح، ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، دون تاريخ النشر، 488/11.

[3] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف (7)، 143].

[4] س م: لن أرى.

[5] س م: لن أريك.

[6] س: لن تنظر.

أقول: قوله (ولذلك) تعليل لقوله (جائزة في الجملة)، وقوله (لأنّ طلب) الخ. تعليل لقوله (دليل على أنّ رؤيته جائزة) الخ، وقوله (لن أرى) مبني للمفعول ودلالته على المستحيل، مما لا تذهب على الفحول؛ فإن من كان في يده حجر فطلب للأكل[1]، إنما يرد بأنه لن يؤكل، ولو كان تفاحاً بلن تؤكل. ولكن المعطوف عليه من قوله (ولن أريك ولن تنظر إلي) لا يدل على الاستحالة؛ لأنهما مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لا محالة، إذ المفهوم من الثلاثة انتفاء الرؤية من المخاطب لتوقفها على حصول ما يستعد به لها الطالب، وهذا مما لا يذهب على أهل الرؤية. وقد أصاب من اكتفى بالسابق[2]، وترك اللاحق.

وَرَدَّ البعض[3] وقال وكلامه يدل على أنه تعالى لو رده بأن قال له (لن أريك ولن تنظر إلي) لدل الكلام على امتناع رؤيته تعالى في نفس الأمر، وفيه بحث؛ لأن نفي إرادة ذاته إياه لا يدل على نفي الإرادة مطلقاً؛ وكذا نفي النظر عنه لا يدل على انتفائه مطلقاً؛ لأن نفي المقيد من حيث أنه مقيد لا يدل على انتفاء المطلق، فالحق على هذا المنوال. اللهم إلا أن يقال كان في الأصل معطوفاً بالفاء مترتباً على دالّ المحال؛ وإنما وقع[4] من طغيان قلم النساخ الجهال، أو يقال أن الواو فصيحة على ما أثبته بعض[5] الأفاضل بمجيئه في التراكيب والأقاويل؛ والعجب أن ذلك مع هذا الظهور كيف خفي على المولى المشهور أبو السّعود رحمه الله الغفور، لا سيما بعدما صرح في السطور، فلم يختر الاكتفاء، ولم يأت بالفاء، وليس له بالو الأخير[6] من الرضاء.

وقال البيضاوي عليه رحمة الباري في قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[7] **بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن**

---

[1] ورد في هامش أ: أي لا كل الحجر.

[2] ورد في هامش أ س م: أي الإمام الرازي، (منه).

[3] ورد في هامش أ س م: الشيخ الشهير بشيخ زاده، (منه).

[4] س م + الواو.

[5] ورد في هامش أ س م: المولى الشهير بابن كمال عليه رحمة الله المتعال، حتى قال في قوله تعالى﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: فأرسل الحاشرين، وجاء السحرة، قالوا وفصيحة كالفاء في قوله فجُمع السحرة، (منه).

[6] ورد في هامش أ س م: أعني كون الواو فصيحة، (منه).

[7] ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف (7): 146].

**اجتهدوا كما فعل فرعون الخ.** ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ **منزلة أو معجزة** ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ **لعنادهم، أو اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول.**

أقول[1]: فلعلّه جعل قوله تعالى ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ الآية[2]، مترتباً على قوله (سأصرف على) يعني[3] حتى وإن يروا، كما صرح بهذا البعض[4] من الأجلّة، متعنا الله تعالى بروحانيته الجليلة؛ فيحصل التأييد على ما أريد، ولعلّ هذا الترتيب بهذا المعنى يرجع إلى كون الواو فصيحة على ما أشير إليه آنفا. ولم يقل يدل على الوجه الأول لاحتمال عطفه على ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ فافهم.

والعجب من مولانا أبو السّعود عليه رحمة الودود من حيث أنه بعد ما صرح عطفه عليه قال: وهذا كما ترى يؤكد[5] كون الصرف بمعنى الطبع. انتهى.

ولا يتأتى التأييد ح [حينئذ][6] كما لا يذهب على سليم الطبع.

قال البيضاوي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾[7] **بإنزال التوبة.**

أقول[8]: لعل معناه بإنزال ما يدل على جواز التوبة من مثل هذا الذنب الجسيم، والظلم العظيم، وكيفيتها على ما ينادي على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ الآية[9]؛ وما وقع في[10] بعض النسخ من قوله (بإنزال التورية) فليس ذلك، أو لا يخفى أن هذا

---

[1] س م – أقول.

[2] الأعراف (7)، 146.

[3] س م: معنى.

[4] ورد في هامش أ س م: أعني شيخ الشيوخ المعروف برأيه في تفسير المسمّى بعين الحياة، (منه).

[5] س م: يؤيد.

[6] زادها المحقق.

[7] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف (7)، 149].

[8] س – أقول.

[9] البقرة (2)، 54.

[10] س م: وفي.

الندم والاستغفار إنما وقع بعد مجيء موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام من الميقات بالتوريت[1]؛ ويدل على ذلك قول مولانا أبو السّعود بإنزال التوبة المكفرة، إذ التكفير لا يوصف به التورية.

وقد صدر عن المولى المزبور ما يفضي منه العجب حيث قال في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾[2] **بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية؛ إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي، وإما لأنّ المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم، وهو مبدأ إنزال التوبة المكفرة لذنوبهم**. فظن أن الرحمة بعد التّفسير بإنزال التوبة المكفرة من التحلية، مع أنها مقدمة التخلية، كما أن التوبة مقدمة المغفرة على ما لا يذهب على من[3] له أدنى رؤية.

وأعجب من ذلك ما قال في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾[4] **أي ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر من قبله**. ثم نسي هذا وقال: **استغفر عليه الصّلاة والسّلام لنفسه ليرضي أخاه، ويظهر للشامتين رضاه، لئلا تتم شماتتهم به ولا خير للإيذان بأنه محتاج إلى الاستغفار؛ حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم**؛ مع أن ترك الواجب ذنب مقرر، إن ثبت وتقرر.

قال الإمام فخر الدّين الرّازي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ الآية[5]، **ولقائل أن يقول ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح، فاما أنه ألقاها بحيث تكسرت فليس في القرآن، وإنه جرأة عظيمة على كتاب الله تعالى، ومثله لا يليق بالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام**. وقال النيسابوري رحمه الله، وأقول: بجرأة تحصل بنفس الإلقاء، لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره؛ فكل ما يجعل عذراً عن نفس الإلقاء يصح أن يجعل عذرا عن التكسر.

أقول وبالله التوفيق: إن مراد الإمام أن الإلقاء الوارد في القرآن لا يفهم منه الطرح المستلزم للتكسر، حتى يلزم ما لا يليق مثله للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من الجرأة العظيمة؛ فلا يرد قوله

---

[1] س: بالتورية.

[2] تم تصحيح الآية وزيدت فيها كلمة: "ذنوبنا" وليست من الآية؛ الأعراف (7)، 149.

[3] أ – من.

[4] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف (7)، 151].

[5] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف (7)، 150].

(الجرأة تحصل بنفس الإلقاء) إذ لا يخفى على أحد أن الإلقاء بمعنى الوضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[2]، لا يحصل منه الجرأة ولا فيه البأس لا محالة.

ولكن العجب من الإمام أيضا بعدما قال النبي عليه الصّلاة والسّلام: "ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح، فانكسرت،"[3] وهو الحديث الصحيح، رواه أحمد، والعسكري[4]، والحاكم[5] في المستدرك، والطبراني في الأوسط، والضياء المقدسي[6] في المختارة؛ عن ابن عباس رضي الله عنه. كيف قال ما قال وكذا من حذى حذوه[7]، وهو الجرأة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ الآية[8]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قيلا؛ قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن

---

[1] النحل (16)، 15.

[2] المزمل (73)، 5.

[3] مسند أحمد، (2446)، 260/4؛ المستدرك للحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (3250)، 351/2.

[4] هو الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العَسْكَري، أبو أحمد (293-382هـ/906-993م): فقيه، أديب، انتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء والتدريس في بلاد خوزستان في عصره (الأعلام للزركلي، 196/2).

[5] هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، النيسابوريّ، الشهير بالحاكم (321-405هـ/933-1014م): من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. ولد ومات بخرسان، رحل إلى العراق وبلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. كان من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتبا كثيرة جدا، من أشهرها "المستدرك على الصحيحين" (الأعلام للزركلي، 227/6).

[6] هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المقدسي الأصل، الصالحي الحنبلي، أبو عبد الله، ضياء الدين (ت. 569-643هـ/1174-1245م): عالم بالحديث ومؤرخ. من أهل دمشق، مولدا ووفاة. من كتبه "الأحكام" في الحديث (الأعلام للزركلي، 255/6).

[7] ورد في هامش أ س م: كصاحب التيسير والمحشي الشهير بشيخ زاده، (منه).

[8] الأعراف (7)، 172.

هذا غافلين؛ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون"[1] رواه أحمد رحمه الله والنسائي.[2]

(نعمان) بالفتح، واد فى طريق الطائف يخرج إلى عرفات؛ (الذرء) إظهار الله تعالى ما أبدأ، يقال ذرء[3] الله تعالى الخلق، أي: أوجد أشخاصهم، قيل بالضم والكسر حال، أي: كلمهم مقابلةً وعياناً من غير أن تولى أمره أو كلامه أحد من ملائكته؛ ولا يذهب على أحد أن هذا الحديث محكم نص جليّ، فينبغي أن يجعل أصلا ويرد عليه ما ورد من المتشابه.

مما روي عن عمر رضي الله عنه حين سئل عن هذه الآية، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يسأل عنها، فقال: "إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون؛ ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون." فقال رجل: فَفِيمَ[4] العمل يا رسول الله؟ فقال صلّى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الجنة؛ وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله النار" [5]. رواه مالك والترمذي وأبو داوود رحمهم الله تعالى.

و(الماسح) إما الملك الموكل على تصوير الأجنة، والإسناد إليه تعالى من حيث أنه تعالى آمر به، أو الباري تعالى والمسح حينئذ على ما يليق به تعالى؛ فيقال[6] إن كلا من إخراج الذرية، والإشهاد، والقول والإقرار، حقيقي؛ كما يدل عليه دلالة بينة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا[7] من نور. ثم عرضهم على آدم فقال:

---

[1] مسند أحمد، (2455)، 267/4؛ المستدرك للحاكم، كتاب الإيمان (75)، 80/1.

[2] لم أعثر عليه في سنن النسائي.

[3] م: ذراء.

[4] س م: فقيم.

[5] الموطأ لمالك بن أنس، باب النهي عن القول بالقدر (677)، 1322/5؛ مسند أحمد، (311)، 400/1؛ الجامع الكبير للترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف (3075)، 158/5.

[6] ورد في هامش أ س م: معطوف على قوله ويرد عليه إلخ. (منه).

[7] م: وبيضا.

أي رب مَن هؤلاء؟ قال: ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص[1] ما بين عينيه؛ قال: أي رب من هذا؟ قال: داوود. قال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: رب زده من عمري أربعين سنة". قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "فلما انقضى عمر آدم الأربعين، جاءه ملك الموت فقال آدم: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟! قال: أولم تعطها[2] ابنك داوود؟ فجحد آدم، فجحد ذريته؛ ونسي آدم فأكل من الشجرة، فنسيت ذريته؛ وخطأ، وخطأت ذريته" [3]. رواه الترمذي رحمه الله.

(النسمة): كل ذي روح، من النسم وهو خالقها صفتها، وبه يتعلق إلى يوم القيامة؛ (الوبيص): البريق واللمعان، وقوله (وجعل بين عيني كل إنسان) الخ. إيذان بأن الذرية كانت في صورة إنسان على مقدار الذر؛ هكذا قيل.

أقول[4]: ويحتمل أن يكون إطلاق الإنسان عليها في هذا الآن باعتبار ما يؤل إليه في الزمان، وهو الأوجه والأولى، كما لا يخفى. وفي ذكر الوبيص[5] تنبيه على الفطرة السليمة الأصلية؛ وفي تخصيص التعجب من وبيص[6] داوود على نبينا عليه الصّلاة والسّلام إظهار لكرامة من كراماته، ومدح له؛ فلا يدل على تفضيله على سائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ لأن فيهم من هو أفضل وأكثر أمة منه. وما اطلعت على وجه التخصيص في الكتب، لكن لعله دفع وهم النقصان في شأنه عليه الصّلاة والسّلام من نسبته السيئة التي لا تليق بشأنه عليه الصّلاة والسّلام، كما أن النبي عليه الصّلاة والسّلام لعَيْن ما قلت. قال: لا تفضّلوني على يونس بن متّى."[7] حيث كان مِعراجه في بطن الحوت، في قعر

---

[1] م: وبيض.

[2] س م: يعطها.

[3] الجامع الكبير للترمذي، باب ومن سورة الأعراف (3076)، 159/5؛ المستدرك للحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (3257)، 354/2.

[4] س م – أقول.

[5] س: الوبيض.

[6] م: وبيض.

[7] أصل الحديث في الصحيحين ولفظه: "لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى"، ينظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام (6)، 86] (4630)، 57/6؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام (2377)، 1846/4.

البحر، في بطن الأرض، لا إلى السماء وفوق العرش، ولاشبهة أن كل شيء بالنسبة إلى الله تعالى بمنزلة العرش، فافهم.

وفي هذا الحديث إشارة إلى ما روى الشّيخان: "يهرم ابن آدم ويشبّ منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر"[1]. وذكر بني آدم وارد على سبيل الاستطراد، وأن ابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحود والنسيان والخطأ؛ إلا من عصمه الله تعالى بتوفيقه.[2] ومما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "خلق الله تعالى آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم؛ فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي".[3] رواه أحمد رحمه الله.

(حين خلقه) ظرف؛ لقوله (فضرب) ولا يمنع الفاء من العمل لأنه ظرف؛ و(الحمم) جمع حممة، يقال "حمت الجمرة" بالفتح، إلى صارت فحماً؛ و(إلى الجنة) خبر مبتدأ محذوف، أي: قال لأجل الذي في يمينه: هؤلاء أوصلهم إلى الجنة ولا أبالي، حال من الضمير المستتر في الخبر، وهو نحو قوله وأن رغم[4] أنف أبي ذرّ؛ فأنه تعالى علم من بعض المبتدعة القول بخلافه. وأما ذكر اليمين واليسار والكف؛ فلتصوير عظمة الله تعالى وجلالته من غير تشبيه؛ ولما أن الخير ينسب إلى اليمين والشر إلى اليسار ففرق بين القبيلتين بذكر اللفظين هنا.

وفي حديث عمر رضي الله عنه اكتفى في إفادة هذا المعنى بذكر الخير في الأول، وأعرض فيه عن ذكر الشمال واليسار تعليما للتأدب على ما ورد، وكلتا يدي الرحمن يمين.

ومما يتقارب من النص الجلي السابق ما روى أبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[5]، قال: "جميعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قال: فإني

---

[1] مسند أحمد، (12998)، 306/20؛ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا (114)، 724/2. لم أعثر عليه في صحيح البخاري.

[2] في هامس أ س م: عطف على قوله مما روي عن عمر رضي الله عنه، (منه).

[3] مسند أحمد، (27488)، 481/45.

[4] س: زعم.

[5] الأعراف (7)، 172.

أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع[1]، وأشهد عليكم أباكم آدم؛ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً؛ إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله غيرك؛ فأقروا بذلك ورفع عليهم آدم عليه الصّلاة والسّلام ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك؛ فقال: ربِّ لو لا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر. ورأى الأنبياء فيهم مثل السرج، عليهم النور خُصُوا بميثاقٍ آخر في الرسالة والنبوة؛ وهو قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[2] .كان في تلك الأرواح فأرسله إلى مريم عليهما السّلام، فحدّث عن أبيّ أنه دخل من فيها"[3]، رواه أحمد رحمه الله.

في قوله تعالى، أي: ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا﴾[4]: أصنافاً، يقال لكل ما يقترن بآخر زوج؛ وبيّن الأصناف بقوله (فرأى الغني) الخ. والمعنى أراد أن يجعلهم أصنافاً فصورهم. قوله:[5] (فإني أشهد عليكم السماوات السبع) إشارة إلى نصب الدلائل الظاهرة والآيات الباهرة، و(أشهد أباكم) إلى قوله[6] (يذكرونكم عهدي) إشارة إلى النصوص الشاهدة والتنبيهات من الرسل المبعوثين إليهم، و(رفع) أي أشرف و(ينظر) حال أو مفعول له بتقدير لان ينظر إليهم؛ ولو لا التحضيض[7] أي: هلّا سوّيت. قوله[8] (أن أشكر) أيّ: ما سويت بينهم حتى ينظر الغني إلى الفقير فيشكر نعمتي عليه، وينظر الفقير إلى دينه فيرى نعمته فوق الغني فيشكر، ويرى حسن الصورة إلى جماله فيشكر، وقبيح الصورة يرى حسن

---

[1] أ - والأرضين السبع.

[2] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب (33)، 7].

[3] مسند أحمد، (21232)، 35/155-156؛ المستدرك للحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف (3255)، 353/2.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل (16)، 72].

[5] س م – قوله.

[6] س م – قوله.

[7] م: للتخصيص.

[8] س م – قوله.

خصاله[1] فيشكر، وعلى هذا. و(رأى الأنبياء) الخ. يعني أن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام بعد الميثاق العام خصّهم الله بميثاق آخر؛ (دخل من فيها) أي: دخل الروح من في مريم[2] عليهما السّلام. وذكر الروح على تأويل المنفوخ أو عيسى، وكذا في (أرسله)؛ وتخصيص ذكر عيسى من دون الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وتقييده بقوله (ودخل من فيها) تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم، أي: كيف يتخذ إله من دون الله من هذا حاله، كقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾[3].

فإذا عرفت هذا، فاعلم أنه لما كان المنطوق من هذا الحديث الجلي، ومثله وما حمل عليه في الخفي مخالفا للمنطوق من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ الآية في سورة الأعراف[4]؛ فإن المنطوق من الحديث أخذ الذرية من ظهر آدم على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام. ومن الآية الأخذ من ظهر نبيه عليه الصّلاة والسّلام، فتكثّر القيل والقال في الوقوف على حقيقة الحال، وتخرّب القوم مثل الأحزاب. وفي التحقيق قد فرّ كلّ من المطر فوقف تحت الميزاب.

أردت التوفيق بإذن الله تعالى والتوفيق وإن كان هذا من مزالق الأقدام ولا يليق لمثلي عليه الإقدام؛ فأقول: إن منطوق الحديث مذكور في نص الآية باقتضائه، إذ أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم يقتضي أخذ ذرية آدم من ظهره ويتوقف عليه؛ والثابت باقتضاء النص كالثابت بدلالته؛ ففسر النبي صلّى الله عليه وسلم الآية بالأحاديث المذكورة حين سئل عنها، فذكر غير المنطوق بها والمنطوق على حاله على ما ثبت، وتقرر من بيان الآيات بالأحاديث فاندفع به ما أطبقت المعتزلة عليه.

وخدع به كثير من غيرهم، وقالوا لا قول ثمة ولا شهادة حقيقة؛ بل نزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم، وتمكينهم من معرفتها، والإقرار بها منزلة الإشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخييلاً. وقالوا لا يجوز تفسير الآية بالحديث؛ لأن قوله تعالى: ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾

---

[1] س: حصاله.

[2] أ: المريم.

[3] المائدة (5)، 75.

[4] الأعراف (7)، 172-173.

بدل من قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ، فلم يذكر أنه أخذ من ظهره ذريته. وقد علمت أنه مذكور ولم يبق الحاجة في الجواب لهم إلى ما تكلف القاضي البيضاوي قدس سرّه العزيز في شرحه على المصابيح[1] من أن المراد من بني آدم في الآية آدم وأولاده؛ فكأنه صار اسماً للنوع كالإنسان، والمراد من الإخراج توليد بعضهم من بعض على مرّ الزمان؛ واقتصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الأصل من[2] ذكر الفرع.

ولا إلى ما قال الإمام في الكبير من أنّ ظاهر الآية يدل على أنّه تعالى أخرج الذرية من ظهور بني آدم؛ وأمّا أنّه أخرج تلك الذرية من صلب آدم، فليس في لفظ الآية ما يدلّ على ثبوته ولا على نَفيه، إلا أنّ الخبر قد دلّ عليه؛ فثبُت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقران، و إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر؛ ولا منافاة بينهما، فوجب المصير إليهما صَونا للآية، والخبر عن الاختلاف.

ولا إلى ما قال أبو السّعود عليه رحمة الودود، بعد ذكر حديث عمر رضي الله عنه، وليس المعنى أنّه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه الصّلاة والسّلام بالذات؛ بل أخرج من ظهره أبناءَه الصلبيّة، ومن ظهورهم أبناءهم الصلبيّة، وهكذا إلى آخر السلسلة. لكن لمّا كان المظهر الأصلي ظهره عليه الصّلاة والسّلام، وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين، إجمالاً من غير أن يتعلق بذكر الوسائط، غَرَض علميّ نسب إخراج الكل إليه؛ وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة لاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم؛ اقتضى الحال نسبة إخراج كل واحد منهم ظهر[3] أبيهم من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم عليه الصّلاة والسّلام من ظهره قطعاً.

ولا إلى ما تكلف العلامة الطيبي[4] رحمه تعالى في شرحه على مشكاة المصابيح من أن محيي السنة، روى حديث عمر رضي الله عنه في معالم التّنزيل عن مقاتل وغيره، وفي آخره: "ثم أعادهم

---

[1] اسم الكتاب الكامل: "تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة"، فهو كما يظهر من العنوان شرح لكتاب "مصابيح السنة" للبغوي.

[2] س: عن.

[3] س : إلى ظهر.

[4] تقدمت الترجمة له.

جميعاً في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء."[1]

وأما قول الإمام فتنزل على ما تقرر في حديث: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛"[2] أن العالم إما عالم الغيب أو الشهادة، فالحديث وارد في عالم الغيب والآية في عالم الشهادة؛ وتحقيق ذلك ما نقل عن المولى العلّامة قطب الدّين الشيرازي[3] رحمه الله، أنه تقرر في بداية العقول أن بني آدم من ظهر آدم؛ فيكون كل أخذ من ظهور بني آدم في (لا يزال) إلى يوم القيامة، هم الذرية قد أخرجهم الله تعالى في الأزل عن صلب آدم وأخذ منه الميثاق الأزلي؛ ليعرف منه أن هذا النسل الذي يخرج في (لا يزال) من أصلاب بني آدم، هو الذر الذي أخرج من صلب آدم، وأخذ منه الميثاق الأول، وهو المقالي الأزلي كما أخذ منهم في (لا يزال) بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي اللايزاليّ.

والحاصل أن الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني آدم، أحدهما: يهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الناعتة[4] على الاعتراف الحالي. وثانيهما: المقالي الذي لا يهتدي إليه العقل، بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الأزل إلى الأبد كالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، أراد النبي صلّى الله عليه وسلم أن يعلم الأمة، ويخبرهم أن وراء الميثاق الذي يهتدون إليه بعقولهم ميثاق آخر أزليّ، فقال ما قال من مسح ظهر آدم في الأزل وإخراج الذرية والميثاق الآخر. انتهى.

فإن قلت: فكيف يتطابق السؤال عن معنى الآية والجواب عن معنى الحديث وبينهما هذا الاختلاف؟ قلت: يتطابق من حيثية الأسلوب الحكيم على منوال قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، 298/3؛ ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 556/2.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... (1358)، 94/2؛ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة...( 22)، 2047/4.

[3] هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسيّ، قطب الدين الشيرازي (634-710هـ/1236-1311م): قاض، عالم بالعقليات، مفسر. ولد بشيراز، تتلمذ على يد أبيه الذي كان طبيبا ثم قصد نصير الدين الطوسي وقرأ عليه، ثم سكن تبريز وتوفي فيها (الأعلام للزركلي، 187/7).

[4] س م: الناعية.

قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾[1] سألوا عن بيان ما ينفقونه، وأجيبوا ببيان المصرف، وضمّن بيان ما ينفقونه. كذا ههنا سأل الصحابي عن بيان الميثاق الحالي، فأجيب عن المقالي وضمن فيه الحالي على ألطف وجه؛ كأنه قيل الميثاق المسؤول عنه ظاهر مكشوف بنصب الدلائل على ربوبيته ووحدانيته، ومنح العقول والبصائر وجعلها مميزة بين الحق والباطل، لكن هنا ميثاق آخر خفي عن العقول لا يعلمه أحد إلا من أرشده الله تعالى إليه فسل[2] عن ذلك، وفائدته توكيد الميثاقين والإقامة على العهدين.[3]

وقد حققت لك الحق، وبينت لك الصدق، من أن المراد بالآية الكريمة والأحاديث الشريفة واحد لا محالة، غاية ما في الباب قد فسّر بالأحاديث مقتضى الآية لخفائه؛ ولم يتعرض فيه[4] لمنطوقها لغاية وضوحه، ويدل على هذا أن الصحابي رضي الله عنه لما أشكل عليه معنى الآية وطلب منه صلّى الله عليه وسلم الحل وسئل، وفسّره عليه الصّلاة والسّلام بما فسّره، وكشف ما أبهم عليه وتعسّر، سكت لكونه عارفا بليغاً بصناعة الكلام ومقتضى المقام.

وقال الشّيخ شهاب[5] التوربشتي[6] رحمه تعالى في حديث ابن عباس رضي الله عنه: هذا الحديث مخرج في كتاب أبي عبد الرحمن النسائي رحمه الله ولا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر رضي الله[7] عنه لظهور المراد منه؛ ولا أرى المعتزلة يقابلون هذه الحجة إلا بقولهم إنه من جملة الآحاد، فلا يلزمنا أن نترك به ظاهر الكتاب.

فالعجب منه مع رسوخ علمه وعلوّ مرتبته كيف انخدع بقولهم وقرر خلاف مذهبه. وقد قدمت أن العمل بالأحاديث ليس فيه رايحة الترك، بل هو غير المقبول؛ على أنّ المنقول من العلماء الفحول أنّ الأحاديث الصادرة عن منبع الرسالة غير متروكة العمل لعلّة كونها من الآحاد؛ لأنّ ذلك

---

[1] البقرة (2)، 215.

[2] س: فسئل.

[3] منقول من أول كلام: "وأما قول الإمام فتنزل على ما تقرر في حديث..." عن الطيبي، شرح مشكاة المصابيح، 556/2-557.

[4] س: فيها.

[5] س: شهاب الدين.

[6] هو فضل الله بن حسن التوربشتي، شهاب الدين (المتوفى س. 661هـ/1263م): فقيه حنفي، من تصانيفه "تحفة السالكين" في التصوف (هدية العارفين للبغدادي، 821/1).

[7] س + تعالى.

يؤدي إلى سد باب كثير من الفتوحات الغيبية، ويحرم قائله كثيراً من المِنح الإلهية. روى الإمام أبو بكر البيهقي[1] في المدخل[2] عن الشافعي رحمه الله تعالى: الذين لقيناهم كلهم مثبتون خَبَرَ واحد عن واحد عن النبي صلّى الله عليه وسلم ويجعلونه سنته، حمد مَن تبِعها وعيّب من خالفها. وقال الشافعي رحمه الله: من فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقا لسبيل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدهم، وكان من أهل الجهالة. وقال: مهما قلت من قول أو أصّلت من أصل، وعن رسول الله[3] صلّى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو قولي، وجعل يُردّده.

وروى الدارميّ[4] عن الشعبي[5] رحمه الله تعالى قال: "ما حدّثك هؤلاء عن النبي صلّى الله عليه وسلم فحدّثه وما قالوه برأيهم فألقِه في الحش[6]."[7] وذكر ابن الصلاح[8] عن أبي داوود رحمه الله أنه قال: لأَن عملت بحديث ضعيف خير من أن أعمل بآراء هؤلاء. ولفظ هذا معناه.

---

[1] هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (384-458هـ/994-1066م): من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد من قرى بيهق، بنيسابور ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، صنف كتبا كثيرة، منها "السنن الكبرى" و"السنن الصغرى" (الأعلام للزركلي، 116/1).

[2] اسم الكتاب: المدخل إلى السنن الكبرى.

[3] ورد في هامش أ س م: أي روي عنه، (منه).

[4] هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارميّ السمرقندي (181-255هـ/797-869م): من حفاظ الحديث، وكان عقلا فاضلا، مفسرا، فقيها أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند (الأعلام للزركلي، 95/4).

[5] هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري (19-103هـ/640-721م): من التابعين، يضرب المثل بحفظه، من رجال الحديث الثقات، وكان فقيها، شاعرا. ولد ونشأ ومات بالكوفة، استقضاه عمر بن عبد العزيز (الأعلام للزركلي، 252/3).

[6] ورد في هامش أ س: الحش مثلثة المخرج لأنّهم كانوا يقضون حاجتهم في البساتين، (منه).

[7] مسند الدارمي المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي (206)، 284/1.

[8] هو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان النصري الشهرزوريّ الكردي الشرخاني، تقيّ الدين، المعروف بابن الصلاح (577-643هـ/1181-1245م): أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسم الرجال، من مصنفاته "معرفة أنواع علم الحديث" يعرف بمقدمة ابن الصلاح (الأعلام للزركلي، 207/4).

وإنما جد أهل الاعتزال في الهرب عن القول في معنى الآية بمقتضى ظاهر هذه الأحاديث والامتثال ما[1] سبق آنفا من أنهم قالوا: لا يجوز تفسير الآية بالحديث؛ لأن قوله تعالى الخ. وقد أجيب بجواب شافٍ كاف فتذكر فإنه وافٍ.

ولقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾، فقالوا: إن كان هذا الإقرار عن اضطرار حيث كوشفوا بحقيقة الأمر وشاهدوه عن يقين[2]؛ فلهم يوم القيامة أن يقولوا شهدنا يومئذ، فلما زال عنا علمنا علم الضرورة وكلنا إلى آرائنا، كان منا من أصاب ومنا من أخطأ، وإن كان عن استدلال ولكنّهم عُصِموا عنده من الخطأ؛ فلهم أيضاَ أن يقولوا أيدنا يوم الإقرار بتوفيق وعصمة وحُرِمناهما من بعد، ولو أمددنا بها أبدا لَكانت شهادتنا في كل كشهادتنا في اليوم الأول. فقد تبيّن أن الميثاق ما ذكر الله تعالى فيهم من العقول، وآتاهم من البصائر؛ لأنها هي الحجة الباقية المانعة لهم عن قولهم: إنّا كنّا عن هذا غافلين؛ ولأنّ الله تعالى جعل هذا الإقرار حجة عليهم في الإشراك، كما جعل بعث الرسول حجة عليهم في الإيمان بما أخبروا عنه من الغيوب. ولهم في ذلك كلام كثير اكتفينا عنه بهذا المقدار.

فأقول بتوفيق الله تعالى وحسن الاقتدار: إنّ قوله تعالى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ الآية[3]، مفعول له لفعل مضمر يسحب[4] عليه الكلام، على ما دلّ عليه قوله عليه الصّلاة والسّلام في حديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه المذكور آنفاّ، من قوله تعالى: "سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي"[5]، أي: أوجزت وعدي فأرسلت رسولي، وأمرته بذكر الميثاق وتذكير العهد والوفاق. كراهة أن تقولوا على مذهب الكوفية في مثل هذا التقدير، أولئك تقوَّلوا على مذهب البصرية في التصوير، أيها الكفرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾؛ أي: ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف، ولم يذكّر علينا أحد في دار الكثيف؛ وإلا لعملنا بموجبه بالاتفاق، ولم يظهر منا الكفر والنفاق، على قراءة الجمهور بالتاء المنقوطة من فوق.

---

[1] م: لما.

[2] س: اليقين.

[3] الأعراف (7)، 172.

[4] س: ينسحب.

[5] سبق تخريجه.

وأما القراءة بالتاء[1] المنقوطة من تحت، فحينئذ[2] يكون مفعولا له لنفس الأمر، والمضمر العامل في ﴿إِذْ أَخَذَ﴾ أي: اذكر لهم الميثاق القاليّ الأزلي؛ لئلا يعتذروا بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء. هذا على تقدير أن يكون قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ من كلام الذرية على ما هو الظاهر، ومن حديث أبي رضي الله عنه هو المتبادر.

وأما على احتمال أن يكون من كلامه تعالى لهم فهو العامل في ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ولا محذور أصلاً؛ إذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا الآية؛ لأنا نردكم ونكذبكم حينئذ[3]، فسبحان من إذا لم يهد أحداً لم يكن ليهتدي أبدا.

كيف زاغ أهل الاعتزال وأوّلوا ولم يدانوا سداداً، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشدا، فلا حاجة إلى ما قيل من أن الله تعالى قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله بما أخبروا به؛ فمن أنكره كان معانداً ناقضاَ للعهد ولزمته الحجة، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر[4] الصادق.

وقد قال من تطابق في علو شأنه علماء الأعصار، وتوافق في وضوح برهانه عقلاء الأمصار، تواترت عنه أطايب الآثار، وتكاثرت منه أعاجيب الأسرار، اقتدت به الأمة المحمّدية، وتقررت برأيه الملة الأحمدية؛ وما أحد أحق بهذه الأوصاف السنية، وأولى بالأخلاق العلية، إلا من نقل في فضله الآثار، حتى من النبي المختار، وشهد بكماله من الصحابة الأبرار ومن التابعين الأخيار؛ يغترف من بحره أئمة الأمة، ويعترف بفضله الكل حتى خلاف الملة، وهو سراج أمة أحمد ومنهاج ملة محمّد؛ الإمام الأعظم، والمقتدى المكرم المعظم أبو حنيفة الكوفي رفع الله تعالى له بعد ومن اقتبس من نور علمه درجات، وبارك له بقدر ما أحيى الشريعة المحمّدية، وأوضح السنة النبوية، بركات، وجعل رمسه مهبط الأنوار، كما جعل نفسه منبع العلوم والأسرار، فالتعويل[5] ليس إلا على ما جرى من لفظه المعتبر، في المختصر، المنسوب إليه الموسوم بالفقه الأكبر: أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم العقلاء

---

[1] م: بالياء.
[2] أ: فح.
[3] أ م: ح.
[4] م: المحبر.
[5] س + كل التعويل.

فخاطبهم، فأقروا بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً، فهم يولدون على تلك الفطرة؛ فمن كفر بعد ذلك بدّل وغيّر، ومن آمن وصدّق ثبت عليه ودام.

وإذا أخذ ربك من بني آدم أي أظهرهم إظهارا صوريا نوريا مقدسا عن الظلمة المادية والكثافة العنصرية، متمايزا بحسب الصُوَر المثالية، على ما نطقت عليه الأحاديث المذكورة.

وقال شيخ الشيوخ بهاء الملّة والدّين الشهير بابن بهاء الدّين[1] قُدّس سرّه العزيز في شرحه: في عالم الأرواح والجبروت أو في عالم المثال والملكوت، إظهارا معنويا محضاً بلا مادة وصورة، وهو إظهار أعيانهم الروحية المفصلة، نوع تفصيل بالنسبة إلى الأعيان العلمية والمندرجة[2] في علم الله تعالى اندراجاً اجمالياً؛ ذريتهم التي قدر الله تعالى في العلم الأزلي وجودهم في الخارج بالتوالد والتناسل إلى قيام الساعة، وأشهدهم على أنفسهم، أي: أخذ إقرارهم بربوبيته لهم، فكان إقرارا المقر بثبوت حق عليه كشهادة الغير عليه به في إيجاب الحق وإظهاره. فذلك عبّر عن الإقرار بالشهادة، وقال بكلام لائق بنشأتهم التي أنشأهم الله تعالى بها في إظهارهم إياها؛ فإنه تعالى كما أن له قدرة التنزل إلى جميع المراتب الوجودية بالتجلي والظهور، كذلك له قدرة تنزيل صفاته وإظهارها في كل طور.

ومن ذلك تكليمه موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام في الواد الأيمن في البقعة المباركة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الذي يربيكم بتبليغكم شيئاً فشيئاً إلى كمالكم الذي تستعدونه، وينشأكم في النشأة المختلفة في عوالم الجبروت والملكوت والملك، ثم في عوالم الآخرة وينعّمكم[3] في كل نشأة بنعم يليق[4] بها. قالوا بلسان حالهم أو بلسان متكلم خلقه الله تعالى لهم في ذلك الوقت: بلى؛ واعترفوا جميعاً بربوبيته تعالى[5] ومربوبيتهم له؛ لأن كل شيء مطيع لربه في إظهار ما أراد الله منه، ما عدا الإنسان بحسب نشأته الصورية الخارجية؛ فإن بعضهم يطغى ويجحد. فأما في غير تلك النشأة فهم جميعاً

---

[1] هو محمد بن بَهاء الدين بن لطف الله الصوفي الحنفي، محيي الدين الرحماوي. ويقال له بهاء الدين زاده (المتوفى نحو 952هـ/1545م): فقيه متصوف، صنف في التفسير، ولديه رسائل كثيرة في التصوف (الأعلام للزركلي، 60/6).

[2] م: المندرجة (دون واو).

[3] س: تنعيمكم.

[4] س: تليق.

[5] س م + لهم.

منقادون كسائر الأشياء لانعدام موجب الجحود من النشأة الخاصة به الحاصلة من تعلق النفس المجردة بالبدن المركب من العناصر، شهدنا بربوبيتك واعترفنا بها. انتهى.

ولما قلت من المعنى الحقيقي مؤيدات أخرى من الأحاديث، مثل قوله صلّى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا وقد يولد على فطرة الإسلام،"[1] وقوله صلّى الله عليه وسلم: "إنّ الله خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ،"[2] فإنّ رشّ نور لطفه عليهم في ظلمة العدم، وكونهم على فطرة الإسلام قبل أن يولدوا معان قريبة من هذا المعنى، وكلها يدل على سبق معاملته امتنانية صوريّة من الله تعالى مع إفراد البشر، مع مناسبته التامة، لألطاف من سبقت رحمته غضبه؛ فإن فيه توثيقاً لعقد الإيمان، وتذكيراً لهم عهد الرحمن. ولقد روي عن بعض من سلمت فطرته النورية من[3] ظلمة الضلال تذكره مشهد ﴿أَلَسْتُ﴾ في النشأة الصورية المادية.

ثم اعلم أن المفهوم من الآية الكريمة انقياد الجميع واعترافهم بربوبية الله تعالى، والمفهوم من بعض الحديث اهتداء البعض وضلالة آخرين، ففيهما أثر مخالفة في الظاهر لا في الحقيقة؛ فإن نظر الآية إلى فطرتهم النورية الروحية التي ما انصبغ فيها صفاء الأنوار السبحانية بالظُلَم الجسمانية، والألوان الكثيفة المادية؛ فهم باقون هناك على صفائهم الأصلي، ونورانيهم الفطري.

فلا جرم مؤمنون مطيعون، فإن الكفر والجحود إنما هما من خصائص الظلمة الهيولانية، ونظر الأحاديث إلى ما يُؤل أمرهم في النشأة الكثيفة من سلامة الصفاء الذاتي، والوفاء الروحي، عن غلبة أحكام الكثرة الإمكانية، والتلوّن بألوان الظلم الجسمانية في البعض، واستهلاك ذلك بالكليّة، بالانصباغ بصبغ الحدوث وانمحائه بتراكم ألوان أوصاف الكثافة في البعض الآخر. فمفهوم كليهما صدق ومنطوقهما حقّ، وجمع الإمام قدس سره العزيز في قوله: هذا بين مدلوليهما من إقرارهم بالربوبية جميعا من غير تخلف من أحد منهم من مشهد ﴿أَلَسْتُ﴾، وبقاء تلك الفطرة إلى ولادتهم

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] الجامع الكبير للترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2642)، 26/5؛ المستدرك للحاكم، كتاب الإيمان (83)، 84/1.

[3] س م: عن.

ثم تبديل بعضهم تلك الفطرة بالجحود العارضي باتباعهم النفس والهوى وثبات بعضهم على تلك الفطرة بعناية سابقة من الله تعالى[1] وهداية لاحقة دالة لديهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقال البيضاوي قدس سره العزيز في قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾[2] **وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم.**

وقال المحشى الشهير بشيخ زاده، جعل الله الجنة زاده: وقرئ: "ساء مثل القوم"، بإسناد الفعل إلى فاعله الظاهر المضاف إلى المعرف باللام، وحذف المخصوص بالذم كما حذف المخصوص بالمدح في قوله تعالى ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾[3] للعلم به، أي: ساء مثل القوم مثلهم وهو كونهم كالكلب الذي يلهث دائما؛ فعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[4] في محل الرفع على أنه المخصوص بالذم، فلابد من حذف المضاف ليتصادف الفاعل والمخصوص على شيء واحد، والتقدير ساء مثل القوم مثل الذين أي صفتهم العجيبة وهي تكذيبهم بآيات الله تعالى وإعراضهم عنها بعد قيام الحجة عليها وعليهم بها. انتهى.

أقول:[5] فنسي قول المصنّف رحمه الله على (حذف المخصوص بالذم) وقول نفسه في شرحه (وحذف المخصوص بالذم كما حذف) إلخ. فكأنه أراد أن يقول: فعلى هذه القراءة يكون قوله ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في محل الرفع على أنه صفة القوم؛ فطغى القلم فكتب المؤخر والمقدم، عفا عنا الأعز الأكرم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[6] قال البيضاوي بيض الله وجهه: **ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار.**

---

[1] س + عليهم.

[2] ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف (7)، 177].

[3] ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات (51)، 48].

[4] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف (7)، 177].

[5] س م – أقول.

[6] الأعراف (7)، 188.

وقال المولى الشهير بابن الكمال الوزير[1] رحمه الله القدير: كما هو عادة البشر، وفيه دلالة على أنه لا تأثير لقدر، وإلا لما أمكن التغيير بالتدبير على تقدير العلم بأسباب النفع والضر، فتدبر فإنه موضع النظر؛ عن ابن عباس رضي الله عنه: "قال أهل مكة:[2] ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتري فنربح، وبالأرض التي تريد أن تجذب فنرحل عنها إلى ما أخصب، فنزلت."[3]

أقول: لعل هذه الرواية جواب الدراية، إذ تحقق بها أن المعنى من الخير الذي تحت الاختيار والإمكان، وكذا في مقابله، فافهم.[4]

وقال البيضاوي بيض الله وجهه في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾[5] **فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر، وهي أنتم وشركاؤكم**. فقوله: (فبالغوا) الخ. إشارة إلى أن ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الرتبي المفيد للمبالغة، وأن صلة ﴿كِيدُونِ﴾ محذوف وهو (فيما تقدرون عليه)، وقوله (من مكر) وهي بيان لما الموصولة في (فيما تقدرون عليه)،[6] وتفسير المكيد المدلول بقوله: "كيدوني" وقوله: ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ إشارة إلى أن المخاطبين بقوله: "كيدوني" العبدة ومعبودها من دون الله تعالى على خلاف المخاطبين بقوله: ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾؛ فإنها العبدة فقط. هذا هو الحق الأنيق وللقبول أليق.

---

[1] هو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا ( المتوفى س. 940هـ/ 1534م): مفسر، فقيه، محدث من العلماء العثمانيين. تربى وتعلم في أدرنه وصار مدرسا في عدة مدارس بها، وصار قاضيا في أدرنة بعد ذلك ثم مفتيا في قسطنطينية، ومات بها. كان يشتغل بالعلم ليلا ونهارا وألف كتبا في التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام وغيرها، وببلغ عدد رسائله قرابة مئة، (الشقائق لطاشْكُبْري زَادَهْ، 226-227).

[2] في الخبر: "قالوا يا محمد" أسقطها من الخبر المذكور.

[3] معالم التنزيل للبغوي، 310/3.

[4] س م – قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف (7)، 188]... وكذا في مقابله، فافهم.

[5] الأعراف (7)، 195.

[6] س م – عليه.

وأما قول المحشّي الفاضل الشهير بشيخ زاده شرفه الله بالحسنى والزيادة: قوله وهي ﴿أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾[1] يعني أن الجماعة المخاطبين بقوله: "ثم كيدوني" وغير المخاطبين بقوله: ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾؛ فإن المخاطبين بقوله: "كيدوني" هم الأصنام وعبدتها، وبقوله: ﴿ٱدۡعُواْ﴾ هم العبدة فقط.

فمن طغيان القلم وتشابهِ لفظ الكلم ظن المرحوم أن (مكر وهي) مركب من (مكر) و(هي) وأن (وهي)[2] راجع إلى الجماعة، والبطلان بمنزلة العيان؛ لكن عذره أظهر من البيان وهو بقعة الإمكان، تجاوز عنا الرحمن.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾[3] أي اذكره بالأفعال والأخلاق والذات، ﴿فِي نَفۡسِكَ﴾ بأن تبدل أفعال نفسك بالأعمال التي أمر الله تعالى بها، فتعملها بمقتضى أمر الله على وجه العبادة لا بمقتضى شهوة النفس على وجه العادة، وتبدل أخلاقها بأخلاق الله تعالى وتفني ذاتها في ذات الله تعالى، وهذا كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: "وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي؛"[4] وهو سر قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[5]، ألا ترى أن الفَراش لما ذكر الشمعة في نفسه بإفناء ذاته في ذاتها كيف ذكر الشمعة بإبقائه ببقائها على أن[6] الحضرة منزهة عن المثل والمثال، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ التضرع: من باب التكلف، أي: بداية هذا التذكر بتبديل أفعال النفس بأعمال الشريعة تكون بالتكلف ظاهرا، ووسطه بالتخلق بأخلاق الله تعالى بآداب الطريقة يكون مخفيا باطنا، ونهايته بإفناء ذاتها في ذاته بأنوار الحقيقة تكون منهية عن جهر القول بها؛ وهذا حقيقة قوله عليه الصّلاة والسّلام: "إفشاء سر الربوبية كفر."[7]

---

[1] يونس (10)، 28.

[2] س م + ضمير.

[3] ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف (7)، 205].

[4] مسند أحمد، (10224)، 167/16.

[5] البقرة (2)، 152.

[6] س م + تلك.

[7] التأويلات النجمية لنجم الدين الكبرى، 103/3.

﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[1] يشير به[2] إلى غدو الأزل وآصال الأبد، فإن الذكر الحقيقي هو: المذكور الحقيقي، والمذكور الحقيقي، والذكر الحقيقي، والذاكر والمذكور في الحقيقة هو الله الأزلي الأبدي؛ لأنه تعالى قال في الأزل: ﴿ٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3]، ففي الأزل ذكر لمّا كان خاطبهم، وكان هو الذاكر والمذكور على الحقيقة على أنّا نقول ما ذكره إلا هو؛ وهذا حقيقة قول أبو يوسف ابن الحسين الرّازي[4] قدس سره العزيز: ما ذكر أحد الله إلا الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[5] الذين لا يعلمون أن الذاكر والمذكور هو الله تعالى في الحقيقة.[6]

ولا تغفل أن هذه الحقيقة هي الشؤونية الصفاتية، وأما الحقيقة الذاتية البحتية فمنزهة عن جميع هذه الاعتبارات، فهو الله المتجلي الظاهر باعتبار؛ وهو تعالى في عين هذا التجلي والظهور منزه عن كل الاعتبار.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[7] يعني أن الذين أفنوا أفعالهم وأخلاقهم وذواتهم في أوامر الله تعالى وأخلاقه وذاته، فما بقوا عند أنفسهم وإنما بقوا ببقاء الله تعالى عنده؛ ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾؛ لأن الاستكبار من أخلاقهم وقد أفنوا ما في أخلاقه تعالى، فما بقي لهم الاستكبار فكيف يستكبرون عن عبادته وقد أفنوا أفعالهم في أوامر الله تعالى وهي عبادته؛ فأعمالهم قائمة بالعبادة لا بالفعل، وهم في حال الفناء عن أنفسهم والبقاء بالله تعالى، و ﴿يُسَبِّحُونَهُۥ﴾، أي: ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد، وكيف لا وهذه تقتضي الاثنية وليس إلا هو؛ فلا يكون هو العبد ولا العبد إياه،

---

[1] الأعراف (7)، 205.

[2] م: به يشير.

[3] البقرة (2)، 152.

[4] هو يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازيّ (المتوفى س. 304هـ/916م): زاهد صوفي، من العلماء الأدباء وكان شيخ الري والجبال في وقته (الأعلام للزركلي، 227/8).

[5] الأعراف (7)، 205.

[6] كل ما سبق من قوله: "بالأفعال والأخلاق..." منقول من كتاب التأويلات النجمية للكبرى، ينظر: التأويلات النجمية لنجم الدين الكبرى، 103/3-104.

[7] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف (7)، 206].

بل هو هو كما كان في الأزل حيث كان الله ولم يكن معه شيء. والعبد هو بلا هو كما كان في الأزل لم يكن شيئا مذكورا.

﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ في الوجود والعدم من الأزل إلى الأبد، سجدوه من الأزل في العدم منقادين مسخرين[1] قابلين لأحكام القدرة في الإيجاد والوجود، وسجدوه إلى الأبد في الوجود ببذل الموجود منقادين مسخرين لأحكام القدرة في تصاريف الإعدام والإيجاد والإفناء والإبقاء.[2]

ونعم ما قال الإمام القشيري الأستاذ الأوحدي[3] رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ الآية[4]، التضرع، إذ لو كشف[5] بوصف الجمال في أوان البسط والخيفة إذا كشف بنعت الجلال في أحوال الهيبة وهذا للأكابر؛ فأما من[6] دونهم[7] فتنوع أحوالهم من حيث الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، ومن فوق[8] الجميع. فأصحاب البقاء والفناء والصحو والمحو وأراهم أرباب الحقائق مثبتون في أوطان التمكين، فلا تلوّن لهم، لا تخنّس لقيامهم بالحق وامتحائهم عن شواهدهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ الآية[9]، أثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم أحكام العبودية؛ لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم، وهذه سنة الله تعالى مع خواص عباده، يلقنهم خصائص عين الجمع، ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق؛ لئلا يخلوا بآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة.

---

[1] س + قابلين.

[2] هو منقول بإضافات قليلة من التأويلات للكبرى، ينظر: التأويلات النجمية نجم الدين الكبرى، 104/3.

[3] هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيري، زين الإسلام (376-465هـ/986-1072م): شيخ خراسان في عصره، كان زاهدا وعالما بالدين، أقام بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه "التيسير في التفسير" أو "التفسير الكبير" و"لطائف الإشارات" في التفسير أيضا (الأعلام للزركلي، 57/4).

[4] تم تصحيح الآية ولم تكتب "ربك"؛ الأعراف (7)، 205.

[5] س: كوشف.

[6] م – من.

[7] هذه آخر كلمة في مخطوطة س، فينقص منها نصف صفحة تقريبا من كتابه حول آيات الموازين وتفسير سورة الأعراف وينقص ما يأتي من باقي السور إلى آخر هذا الكتاب المسمى فتح الغطاء.

[8] م: فرَق.

[9] الأعراف (7)، 206.

والحمد لله رب العالمين حمدا لا يشوبه ريب، ولا يخالطه عيب حمدا لا يحصى عدده ولا ينتهي أمده.[1]

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله ذي الإكرام والجلال، والصّلاة والسّلام على من عليه يدور الأكوان والأحوال، وبه أحل الله تعالى أمته الغنائم والأنفال وعلى آله خير الآل.

قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ الآية[2]، قال القاضي البيضاوي بيض الله وجهه: **بدلٌ ثالث أو متعلق بيثبت**. انتهى.

أقول: يعني بدل ثالث مرفوع ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾[3] تذكير للنعمة الرابعة. وقال مولانا أبو السّعود عليه رحمة الله الملك الودود: منصوب بمضمر مستأنف خوطب به عليه الصّلاة والسّلام بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف، لما أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره صلّى الله عليه وسلم؛ فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه الصّلاة والسّلام ليس من النعم التي يقف عامة الأمة، كسائر الأمور السابقة التي أمروا بذكر وقتها بطريق الشكر؛ وأما انتصابه على أنه بدل ثالث من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ﴾ كما قيل، فيأباه تخصيص الخطاب به صلّى الله عله وسلم مع ما عرفت من أن المأمور ليس من الوظائف العامة للكل كسائر إخوانه.

لعله أراد به الرد على صاحب الكشاف والبيضاوي، ومن حذى حذوهما، لكن الرد موصوف بمفعوله؛ لأنهم إنما أضمروا في المبدل منه: "اذكر" بطريق تجريد الخطاب به صلّى الله عليه وسلم؛

---

[1] هذه آخر كلمة في مخطوطة م، وهو ختام كتابه حول آيات الموازين وسورة الأعراف، وتنقص بقية السور الموجودة في كتاب فتح الغطاء.

[2] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال (8)، 12].

[3] الأنفال (8)، 7.

ولا ضير في كون الأمور السابقة عامة للكل، وهذا خاصّا به صلّى الله عليه وسلم، إذ الأمر به صلّى الله عليه وسلم بالذكر والشكر مستتبع لذكرهم وشكرهم، والخاص على حاله.

قال الله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي قدس سره العزيز: **بالبشارة أو بتكثير سوادهم، أو بمحاربة اعدائهم فيكون قوله تعالى: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ﴾ كالتّفسير لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ﴾**.

أقول: يعني أن الجملة الخبرية التي هي: ﴿سَأُلۡقِي﴾ إلخ. كالتّفسير لجملة: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، وجملة: ﴿فَٱضۡرِبُواْ﴾ لجملة إنشائية مثلها وهي: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾؛ ثم قال: **وفيه دليل على أنهم قاتلوا**، يعني في قوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ﴾، وهو واضح لا يذهب على أولي الألباب.

وقال المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه الله بعدما قال في قوله كالتّفسير لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ لما فسر قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالمعية في الإعانة والتثبيت، ولا إعانة للمؤمنين أعظم من إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم؛ فظهر أن قوله: ﴿سَأُلۡقِي﴾ كالتّفسير لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، فلذلك لم يعطف على ما قبله. وقوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ كالتّفسير لقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾؛ إذ لا يثبت للمؤمنين أقوى من ضرب أعناق أعدائهم ففسر الجملة الخبرية بالخبرية، والإنشائية بالإنشائية.

قوله: (وفيه دليل على أنهم قاتلوا) أي في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾؛ لأنه تعالى لما خاطب الملائكة بأن قال لهم: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ في إعانة المؤمنين. ولا شك أن شأن المؤمنين إنما هو قتال المشركين، فمن أعانهم في ذلك لا بد أن يشاركهم في القتال؛ فزعم أن ضمير فيه يرجع إلى قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ فتكلف في كونه دليلاً ووقع في الاضطراب، والحق والصواب أن يقال إذا كان قوله تعالى: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ﴾ تفسيراً لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ﴾؛ ولا إعانة أقوى من إلقاء الرعب، ولا تثبت أشد من ضرب الأعناق، اتضح الدلالة والدليل بلا ارتياب.

---

[1] ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال (8)، 12].

ثم قال:[1] ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على تغيير الخطاب، أو على أن قوله: ﴿سَأُلۡقِي﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به؛ كأنه قال قولوا لهم قولي هذا.

أقول: يعني الخطاب في قوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ﴾ كما صرح به مولانا أبو السّعود المرحوم في تفسيره، فقول المحشّي الشهير بشيخ زاده: أي في منع قتال الملائكة يوم بدر جعل الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ للمؤمنين، والمعنى أوحى ربك إلى الملائكة أني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم؛ إلا أنه عبر عن المؤمنين بضمير المخاطبين، إذ لا غائب بالنسبة إليه تعالى؛ فيخاطب من شاء من خلقه، فخاطب المؤمنين بقوله: ﴿مَعَكُمۡ﴾ ثم غيّر الخطاب، فخاطب الملائكة بقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛

ثم فسر قوله للمؤمنين: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ أحفظكم وأنصركم فلا تخافوا بقوله: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ بين به طريق نصرته إياهم، ثم غيّر خطاب الملائكة بقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾ إلى خطاب المؤمنين بقوله: ﴿سَأُلۡقِي﴾؛ لأنه كلام ملقى إلى المؤمنين فمما لا يساعده اللفظ والمعنى جميعا؛ كما لا يخفى على أنه من التكلّف الذي لا ينبغي أن ينسب إليه، فضلاً أن يحمل كلام المصنّف بيض الله تعالى وجهه عليه.

وكذا قول ابن تمجيد: يعني لمن منع مقاتلة الملائكة يجعل الخطاب في: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ وفي: ﴿فَٱضۡرِبُواْ﴾ مع المؤمنين إذ قد ذكر أن كون الآية دليلا على مقاتلة الملائكة إنما هو على تقدير أن يجعل الخطاب فيه للملائكة، ومعنى تغيير الخطاب أن المؤمنين عند الوحي للملائكة غيب عن الملائكة، فمقتضى الظاهر أن يقال عند الوحي: أني مع المؤمنين فليضربوا فوق الأعناق، وليضربوا منهم كل بنان. لكن جيئ بصورة الخطاب عند حكاية الله تعالى ذلك الوحي للرسول صلّى الله عليه وسلم. انتهى.

---

[1] ورد في هامش أ: أي البيضاوي رحمه الباري، (منه).

فإن فيه أيضا التكلف المقدم مع التزام مالم يلزم. وقال أبو السّعود رحمه الله الودود: وأما ما قيل من أن ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين؛ فمبناه توهم وروده قبل القتال، وأنى ذلك والسّورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الواقعة.

أقول: هذا غريب منه، إذ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى﴾ إنما ورد بصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية، واستحضار صورتها الغريبة كما اعترف بنفسه في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾[1] وقوله: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ﴾ إذا كان تلقينا للملائكة يكون كل واحدة من الجملتين مفسرة لمثلها في الخبرية، والإنشائية على ما مر آنفاً مفعولاً ليوحي إما على تضمين معنى القول، وإجرائه مجراه. وإذا كان خطابا منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التغيير والتلوين يكون مجموع قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِى﴾ و﴿فَٱضْرِبُواْ﴾ مفسرا لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾، ومفعولاً ليوحي أيضاً؛ وهو حكاية الحال الماضية، ولا ضير[2] في نزول الآية الكريمة بعد الواقعة، ويكون حاصل المعنى في ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾، في إعانة المؤمنين إلى (أنا) ملق الرعب في قلوب الكافرين؛ وقائل للمؤمنين فاضربوا.

فيا ليت علمي بم اغترّ، وجعل من كلام البيضاوي باطلاً مع أن خلافه مما لا يذهب على الأداني فضلاً عن الأعالي كما يشهد عليه كلام الباري.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **غير أن سهم الرسول يصرف إلى ما كان يصرفه إليه في مصالح المسلمين، كما فعله الشّيخان رضي الله عنهما.**

أقول: يعني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، لا الإمام الشافعي والإمام حنبل كما زعم المحشّي الشهير بابن تمجيد، حيث قال: لعله أراد بهما الإمام الشافعي الإمام حنبل؛ إذ من البيّن أن اصطلاح

---

[1] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال (8)، 9].

[2] ورد في هامش أ: إذ الفعل مع متعلقاته ماض والآية على ذلك، فافهم، (منه).

[3] الأنفال (8)، 41.

الشّيخان كالعلم للشيخين، كما يقال في إمارة أهل السنة والجماعة أن تفضل الشّيخين، وتحبّ الختنين؛ لا سيما أن قوله كما فعله ينادى على ما قلنا، إذ لو كان المراد ما قال لقال كما قال.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **أي العير وقوّادها في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل، وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله، وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها.**

أقول: يعني عن الركب لا عن العدوة القصوى، كما زعم المحشّي الشهير بابن تمجيد حيث قال: أي عن العدوة القصوى؛ إذ لا يخفى أن المقاتلة لا تكون عن المكان والمحلّ، بل عن الحالِّ على كل حال.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وأفاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً، ونشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان، ونطعم من يحضرنا من العرب**؛ فوافوها أي البدر لا جحفة، كما زعم المحشّي لشهير بابن تمجيد حيث قال: الضمير في قوله فوافوها إلى جحفة؛ فلم يواف الحق. فلله الحمد أولاً وآخراً والصّلاة والسّلام على عبده وحبيبه في الأولين والآخرين وعلى آله وسلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله بارئ البرية، والصّلاة والسّلام على خير البرية بالسجيّة، وعلى آله خير الورى بالطاعة والبراءة وبعده؛

---

[1] ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرًا كَانَ مَفۡعُولًا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال (8)، 42].

[2] الأنفال (8)، 47.

قال الله تعالى في سورة البراءة: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **عطف على المستكن في ﴿بَرِيٓءٌ﴾، أو على محلّ ﴿أَنَّ﴾ واسمها** إلخ.

أقول: فيه مسامحة، والمراد العطف على محلّ اسم ﴿أَنَّ﴾ لا على محلّ أنّ واسمها؛ لأن محلهما نصب على المفعولية لـ﴿أَذَٰنٌ﴾؛ لأنه بمعنى القول وجوّز العطف على محل إنّ المكسورة دون المفتوحة؛ لأن الأولى لا تغير المدخول فيه غير إفادة التأكيد فهي كالمعدوم، والمفتوحة مع اسمها وخبرها في تأويل جزء واحد؛ فلو فرضت في حكم العدم لأطلت بموضوعها. وعند المحققين في النحو من يجوز العطف في المفتوحة أيضاً إذا كانت في حكم المكسورة كما في هذه الآية؛ لأنها واقعة موقع مفعولي ﴿أَذَٰنٌ﴾ بمعنى العلم، كما صرح به ابن الحاجب[2] رحمه الله.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **وفيه تعويض المؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج**. وقال المحشّي الشهير بشيخ زاده جزاه الله تعالى بالحسنى وزيادة: قوله (وفيه تعريض) إشارة إلى فائدة قوله: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ الآية، بعد قوله: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾، فإن فرحهم بالقعود عن الغزو يدل على كراهتهم الجهاد، ويغني عن ذكره.

أقول: هذه الدلالة والإغناء غير مسلّم إذ الفرح بالشيء لا يستلزم الكراهة بضده؛ بل لا يستلزم عدم الفرح به فضلا عن الكراهة؛ لأنه يمكن أن يفرح بالشيء بوجه وبضده أيضا بوجه، فمراد المصنّف في هذا القول الإشارة إلى أمر مقرر مبرهن في الأصول؛ يكاد أن ينسب إلى الإجماع عند العلماء الفحول من أن في ضمن الأمر بالشيء النهي عن ضده، وكذا عكسه. ومدحُ طائفة تعريض لذم

---

[1] ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة (9)، 3].

[2] هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، جمال الدين ابن الحاجب (570-646هـ1174-1249م): فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. له تصانيف كثيرة، منها "الكافية" في النحو و"الشافية" في الصرف (الأعلام للزركلي، 211/4).

[3] ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة (9)، 81].

أضدادهم، وكذا الذم. وقال المصنّف رحمه الله في تفسيره: **إيثار للدعة والخفض على طاعة الله تعالى**. ورد عليه مولانا أبو السّعود رحمه الله الودود بقوله: لا إيثار للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط، بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق؛ فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدنى رجحان منه من غير أن يبلغ الآخر مرتبة الكراهة.

أقول: لا يخفى أن إيثار أهل النفاق نتيجته الكفر والنفاق؛ فلا حاجة إلى التقييد بل يكفي الإطلاق، كما لا يذهب على أهل الوفاق.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الآية[1]، قال مولانا الشهير بابن كمال الوزير[2] عليه رحمة الله القدير: وتقديم الكفار؛ لأن جهادهم أهم وأتم لكونه باللسان أولا، وبالسنان ثانياً؛ وجهاد المنافقين بالثاني فقط. انتهى.

لعلّ الصواب العكس بالقتل، واللسان دون السنان.

قال الله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ﴾ الآية، قال المولى المذكور: **عطفه بالواو دلالة على أن المذكور بعض ما أعدّ لهم، فأضمر بعضه ثم عطف عليه ما ذكر، ولا يخفى ما فيه من التهويل**. وقال مولانا أبو السّعود رحمه الله الودود: جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم إثر بيان عاجله؛ وقيل حالية. انتهى.

لعله أراد الرد على المولى الأول؛ لكن أظن أن ملاحظة الأول دقيقة أنيقة، وبالقبول أليقة، ويكفيك مصداقاً قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ الآية[3]. فحقق تحقيقاً، تصب تدقيقاً.

---

[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة (9)، 73].

[2] تقدمت الترجمة له.

[3] المطففين (83)، 15- 16.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية[1]، قال المولى الشهير بابن الكمال: استثناء مفرغ من أعم المفاعيل والعلل، وعلى الأخير يكون الكلام على طريقة النابغة:[2]

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلولٌ من قراع الكتائب.[3]

أي: وما نقموا إلا ما حقه أن يشكر. انتهى.

ليت شعري ما الفرق بين الوجهين، فإن الكلام على هذه الطريقة في الوجهين، لا محالة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ الآية[4]، قال المولى المزبور آنفاً: ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ إيثاراً للموجود الفاني على الموجود والباقي، و﴿أَنفُسِهِمۡ﴾ ترجيحاً للدعة على طاعة الله تعالى، وقال في الهامش: من قصر في التعليل بالثاني فقد قصّر. انتهى.

أقول: أراد به الرد على البيضاوي رحمه الله تعالى، وهو غير وارد إذ الدّعة والعيش الرافة لا يكون إلا بالأموال والحضور، سيما أنهما مطلقان؛ فيصرف إلى الكمال بقرينة الحال.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ الآية[5]، قال المولى المذكور: وقوله ﴿أَبَدٗا﴾ منصوب ب﴿لَا تُصَلِّ﴾ ، صارت الآية محكمة لا بمات كما توهم من قال: فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع إلخ. ولم يدر أنه على التقدير المذكور أيضاً، لا حاجة إلى التوجيه المزبور لأن الحياة في البرزخ لا تنافي استمرار الموت الواقع في الدنيا. انتهى.

أقول: أراد الرد على البيضاوي رحمه الله ولعل المردود ابن أخت خالته؛ إذ مراد البيضاوي الاستمرار الأخروي أيضا، لا الدنياوي فقط كما توهم؛ إذ لا فرق فيه بين المؤمن والكافر، فلا يتيسّر

---

[1] التوبة (9)، 74.

[2] هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة (المتوفى نحو س. 18 ق. هـ/نحو 604م): شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، وأحد الأشراف. من أهل الحجاز، وكانت تقصده الشعراء وتعرض له أشعارها، فممن يعرض شعره عليه الأعشى وحسان والخنساء. شهره كثير وجمع بعضه في ديوان صغير (الأعلام للزركلي، 55/3).

[3] ذكره الخليل في كتابه العين وغيره، ينظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، 316/8.

[4] التوبة (9)، 81.

[5] التوبة (9)، 84.

المرام به في هذا المقام. ولعل عدول المصنّف رحمه الله تعالى عن جعل ﴿أَبَدَا﴾ قيدا ب﴿لَا تُصَلِّ﴾ واختيار كونه قيداً ل﴿مَّاتَ﴾ لاقتضاء سبك النظم الشريف؛ ذلك إذ على الأول مقتضاه هكذا، ولا تصل أبداً على أحد مات منهم، فلما كان على ما كان حمله على السابق الآن.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ الآية[1]، قال المولى المزبور رحمه الله الغفور: والمراد من القيام عليه معناه الحقيقي، وهو نوع إكرام. وقيل أراد به المباشرة بأسباب دفنه ومواراته، وعلى هذا يراد بالقبر معناه المصدريّ، ويندرج فيه التكفين؛ فلا يتمشى ما قيل إنما لم ينفى التكفين في قميصه ونهى عن الصّلاة عليه إلخ. على أن ما ذكر لا يصلح تعليلاً لعدم النهي عنه؛ لما عرفت أن نزول الآية المذكورة بعد الصّلاة، والتكفين فيكون النهي على تقدير وروده عن العود، وفي بعض الروايات أنه قيل له عليه الصّلاة والسّلام: يا رسول الله أتلبس عدو الله تعالى قميصك؟ قال صلّى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن يسلم بقميصي ألف من الخزرج،"[2] وكان كذلك. انتهى.

أقول: بني ردّ البيضاوي على الرواية الثانية، وقول البيضاوي (أنما لم ينه) إلخ. مبني على الرواية الثابتة أولاً، فهذا في واد وذاك في واد.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ الآية[3]، قال المولى المذكور: الذين قعدوا عن الجهاد بغير عذر. انتهى.

لعله غير معذور في إقحام الغير، والسياق يدل عليه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ الآية[4]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **بنيان دينه**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: من قبيل لجين الماء، ولعل الأولى بنيان مسجده؛ إذ الكلام فيه، ويؤيده "أسس على التقوى".

---

[1] التوبة (9)، 84.

[2] تاريخ المدينة لبن شبة، 371/1، وفيه: "...ألف من بني النجار".

[3] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة (9)، 86].

[4] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة (9)، 109].

أقول: ظهر منه خلاف المعتاد من التدقيق والوقوف على دقائق المصنّف رحمه الله تعالى، وهو قد أفاد هنا دقيقة لطيفة، وهي أن الله تعالى لمّا علّل قوله: ﴿لَا تَقُمۡ﴾[1] أوّلاً بقوله: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ﴾ الآية[2]، فأشير به إلى أن مسجد الضرار مؤسس على خلافه؛ وثانياً بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٞ﴾ الآية، فأشير به إلى أن أهل مسجد الضرار يلوثون بلوث المعاصي والأخلاق الذميمة، غير راغبين إلى التطهر عما يشينهم ويلوث أمر دينهم ويهدمه؛ ناسب أن يغير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾[3] ببنيان دينه إلخ. ينتظم الكلام انتظاماً حسنا[4]، كما لا يذهب على الكامل عقلا وذهنا؛ وبهذا يتم التعليل الثاني حقيقة وإن تمّ بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٞ﴾ الآية، ظاهراً.

قال تعالى: ﴿رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ الآية[5]، قال البيضاوي: **أي شكّاً ونفاقاً، والمعنى أن إنباءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم، فإنه حملهم على ذلك؛ ثم لما هدمه إلخ**. وقال المحشّي المزبور رحمه الرحيم الغفور: أي: هدمه على ما يدل سياق كلامه، وصرّح به في الكشاف.

أقول: هذا أيضا كالأول، أو منشأ الذهول عن سياق المقام، وآخر الكلام، وهو قوله: (لما هدمه الرسول صلّى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم)؛ فإنه يهدم[6] هدمه في نبأهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ الآية[7]، قال البيضاوي: **ولما منعهم عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب التبرّء عنهم رأساً** إلخ. وقال المحشّي المذكور: فيه تأمّل، فإن تضمنه وجوب التبرّء عن إحياء المشركين الذين لم يتبيّن أنهم أصحاب الجحيم خفي.[8]

---

[1] التوبة (9)، 108.

[2] ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة (9)، 108]؛ تم تصحيح الآية، وكتبت "بمسجد".

[3] التوبة (9)، 109.

[4] بين الأسطر أ: جواب لما.

[5] ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة (9)، 110].

[6] ورد في هامش أ: أي تقدير، أي: لفظ يهدم كما ظنّ، (منه).

[7] التوبة (9)، 116.

[8] ورد في هامش أ: القائل المولى الشهير بابن الكمال رحمه الله تعالى، (منه)

أقول: قوله (وجوب التبرّء عنهم رأساً) وإن كان مطلقاً فهو مقيّد في المعنى؛ أي بعد تبين موتهم على الكفر، أو أنهم أصحاب الجحيم، ولعل المصنّف قدس سره أطلق ثقته بالفهم بقرينة السّبق. قيل: لا يقال، إنما يفهم هذا لو قال المصنّف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الآية[1]، بأن ماتوا على الكفر أو الوحي بأنهم لن يؤمنوا؛ لأنا نقول: تدارك رحمه الله هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ الآية[2]، بقوله: (بأن مات على الكفر أو أوحى إليه بأنه لن يؤمن)؛ فيكون هذا مراده فيما قيل أيضاً على ما هو دأبه من الاكتفاء ثقة بفهم الأذكياء، فلا يرد ما قيل[3] أيضاً: لا بموتهم على الشرك خاصة، بل به وبنزول الوحي فيه؛ فلا يختص النهي بالذي مات على الشرك، فافهم. فلله الحمد على الابتداء والاختتام، والصّلاة والسّلام على سيد الأنام وعلى آله الكرام.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله صاحب كل فرد ولكل وحيد هو المؤنس، والصّلاة والسّلام على المرسل ليطاع ويؤنس، ويحصل به الأمان والإيمان بعد الإياس، وعلى آله الذين أمنوا وبهم يؤنس، وبعد:

قال الله تعالى في سيرة يونس: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ الآية[4]، قال المحشّي الشهير بالشّيخ زاده شرفه الله تعالى بالحسنى وزيادة: والظاهر أن قوله تعالى ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ﴾ معطوف على ﴿كَسَبُواْ﴾، جيء بلفظ المستقبل لكون المقصود تعييبهم بوصفين: الأول أن كسبوا السيئات في الماضي؛ والثاني أنه سيرهقهم ذلة في المستقبل إلى يوم القيامة.

---

[1] التوبة (9)، 113.

[2] ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة (9)، 114]؛ تم تصحيح الآية ولم يكتب "له".

[3] ورد في هامش أ: القائل المولى الشهير بابن الكمال رحمه الله المتعال، (منه).

[4] ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس (10)، 27].

أقول هذا بعيد؛ إذ الكسب من البواعث من جهة الخلق، وغشي الذلة من النتائج المترتبة عليها من جهة الحق، فالمقام لا يقتضي الوصل بل حقه الفصل؛ فالحق أن يكون معطوفا على قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ لأنه في تأويل أن يجازى، كما أشار إليه البيضاوي قدس سره بقوله (أي أن يجازى سيئة بسيئة). انتهى.

فنحمد الله تعالى حمدا دائما على توفيقه وإلهامه؛ فإنه بعدما سنح لي هذا رأيت أن الإمام الرّازي رحمه الله الباري صرّحه وقال: وأما قوله تعالى ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ فهو معطوف على يجازى؛ لأن قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ﴾ تقديره: يجازى سيئة بمثلها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **أي في الوجود والأمكان؛ فإن العامة لا تعرف ممكناً غير مما ليس فيهما ولا متعلقا بهما**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي جعل الله الجنة مثواه: من الأعراض القائمة بهما وكلامه منقوض بالعرش والكرسي؛ فإنهما لا يقال لهما سماء، وليسا فيهما والعامة تعرفهما. انتهى.

أقول: ولا يعرفهما العامة إلا في السماء، فيكون الكلام مفيدا فائدة عامة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي قدس سره العزيز: **والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدّين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح، أو في الصّلاة باستقبال القبلة**.

أقول: فإقامة الوجه للدين كناية من توجيه النفس بالكلية إلى عبادة الله تعالى والإعراض عن السّوى، وأن ذلك يحصل بأداء الفرائض والانتهاء، فلله الحمد في السراء والضراء. ولعل قوله تعالى ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] إشارة إلى أصل الإيمان؛ وقوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾ الآية، إلى كماله من الاستغراق في نوره والإعراض عما سواه؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية[4]، إلى

---

[1] يونس (10)، 61.

[2] ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس (10)، 105].

[3] يونس (10)، 104.

[4] يونس (10)، 105.

الخلوص والاجتناب عن الرياء؛ لأن من عرف مولاه لو التفت بعد ذا إلى سواه يعدّ ذلك شركاً خفيّاً ويكون ممن اتبع هواه، حفظنا الله الهادي عمّا لا يهواه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ الآية[1]، أي قيل لي ذلك أيضا، فيكون مقول: قل، أي: أمرت بكذا وكذا، وقيل لي: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ﴾ الآية[2]، معناه: وإن يرد بك الخير؛ ولكن لما تعلّق كل واحد بالآخر جاز كلّ من العبارتين مع أن التقديم في اللفظ يدل على زيادة الاهتمام والعناية بالمقدّم؛ فدل هذا الترتيب على أن المقصود بالذات هو الإنسان وسائر الخيرات مخلوقة لأجله، فافهم الدقيقة؛ فلله الحمد الذي منه الابتداء وإليه العود.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الودود، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي تبتّل إليه واهتدى على يده النصارى واليهود، وعلى آله الذين هم كالنجوم بهم اهتدى ويهتدي من ناد ويهود.

قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببّاً عنه بقوله: ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[4] فإنه جواب لها، وكان حقّه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به** إلخ. وقال المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه الله: أي يؤيد كون المراد بقوله: ﴿أَمۡرُنَا﴾ أمره تعالى بالعذاب أن الأصل أن يحمل اللفظ على معناه الأصلي الحقيقي. انتهى.

---

[1] ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس (10)، 107].

[2] يونس (10)، 107.

[3] هود (11)، 58؛ لعله يشير إلى الآية رقم 82 وفيها "فلما" وليس "ولما": ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود (11)، 82.

[4] هود (11)، 82.

أقول لعل المراد بالأصل ما أفاده المصنّف رحمه الله بقوله (وكان حقه) إلخ. فإنه ينادى على كون الأمر المقابل للنهي هو المراد هنا، وما قال المحشّي المرحوم بعيد خلاف المتبادر، كما لا يذهب على من له قلب حاضر.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق كل شيء حتى العجز والحزن والأسف، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي به تخلّصنا عن التأسف، وعلى آله الذين من اقتدى بهم وتبع بإحسان أمن أن يقول يا أسفى يوم الميزان، وبعد:

قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **وللنفس آثار منها العين، والذي يدل عليه قوله صلّى الله تعالى عليه وسلم في عوذته: "اللهم أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامّة وعين لامّة."**[2]

أقول وجدت النسخ متفقة في المذكور لكن متن الحديث الشريف هكذا: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين: "أعيذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة،" ويقول: "إن أباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق،"[3] رواه البخاري رحمه الله. فالغالب أنّ هذا سهوٌ من قلم النّاسخ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ الآية[4]، قال النيسابوري: **قيل حكم يعقوب على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام بوقوع هذه الأمور دليل على جزمه لها، فكيف خاف على يوسف حتى قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ والجواب: لعل جزمه بذلك كان مشروطاً بعدم كيد إخوته، ولعل**

---

[1] يوسف (12)، 67.

[2] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (3371)، 147/4؛ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (54)، 2080/4.

[3] تم تخريجه؛ ونص الحديث الذي في صحيح البخاري ليس فيه صيغة "أعيذ" لكن "أعوذ".

[4] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف (12)، 13].

**قوله: ﴿أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ﴾ كيلا يتهاونوا في حفظه؛ فإن للوسائط والأسباب مدخلاً عظيماً في وجود الأشياء وحصولها**. انتهى.

أقول: ولعله لو قال "بإذن الله تعالى" لكان أحرى، ولمذهب أهل السنة والجماعة أوفق وأولى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **بعبادة غيره، أو باتخاذ الأحبار أرباباً أو نسبة التبني إليه، أو القول بالنور والظلمة، أو النظر إلى الأسباب ونحو ذلك**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: كما يقولون "نفعني فلان" و"ضرّني فلان" و"مطرنا بنوء كذا" والنظر إلى الأسباب قلما ينجو منه أحد. انتهى.

أقول: ولعل طريق النجاة أن يكون التوسل بالأسباب والنظر إليها باعتبار الآلية، رعاية للسنة مجردة عن التأثير، والمؤثر في الحقيقة هو الله تعالى وحده، وهذا القدر تعبّديّ، ولو ترقّى وشاهدنا أسماء في مرتبتهما؛ والمسمّى ليس إلا الحق المنزّه الظاهر بالخلق المشبه، كان موحّداً ناجياً عن كل الكدر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فافهم ولا أظنك!

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان، وسجد له النجم والشجر، والصّلاة والسّلام على من بعث للإنس والجان، وشهد برسالته الشجر والحجر، وعلى آله الذين هم كاالنجم والشمس والقمر، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **من الآفة والزوال**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: قيل الأولى الاقتصاد على الأول؛ لئلا يكون

[1] يوسف (12)، 106.

[2] الحجر (15)، 46.

قوله تعالى ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[1] تكراراً، وفيه بحث؛ فإن الأمن من شيء لا يستلزم عدم وقوع ذلك الشيء، فإن الكافرين آمنون من مكر الله تعالى، ولكن يمكر بهم الله تعالى. انتهى.

أقول: لعل هذا غريب منه، وكيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الآية[2]، فكيف يكون عدم الأمن بعد وعده تعالى، وقياسه قياس مع الفارق إذ رجاء الكافرين الأمن تمنٍّ مغرور وزعم كفور، غير مطابق للواقع ولا مستلزم للحبور.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق الأعلى والأسفل، والصّلاة والسّلام على رسوله المجتبى المبجّل، وبعد:

قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله**: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، **والباقون بالياء على تلوين الخطاب، أو على أن الخطاب للمؤمنين، أو لهم ولغيرهم؛ لما روى أنه نزلت**: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثب **النبي صلّى الله عليه وسلم ورفع النّاس رؤوسهم فنزلت**: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.[4] وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله تعالى: أنت خبير بأنه ليس في هذه الرواية استعجال المؤمنين، بل خوفهم وظنهم أنه وقع، ثم إن الاستعجال بها لا يوصف به المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾[5]؛ بل الظاهر أنهم لما سمعوا أول الآية اضطربوا لظنٍّ أنه وقع، ثم لما سمعوا خطاب الكفار بقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ اطمئنوا. انتهى.

أقول: ولعل مراد المصنّف رحمه الله بالاستعجال في اعتقاد أنه عاجل غير آجل؛ لما غلب عليهم من الخوف ما غلب، فرفعوا ووثب عليه الصّلاة والسّلام؛ ثم تشرّفوا بتسلية من الله الذي لا

---

[1] الحجر (15)، 48.

[2] آل عمران (3)، 9 والرعد (13)، 31.

[3] النحل (16)، 1.

[4] معالم التنزيل للبغوي، 70/3؛ مفاتيح الغيب للرازي، 168/19.

[5] الشورى (42)، 18.

يغلب، فعلم أن الإتيان بصيغة المضي إنما هو على ما هو ديدن القرآن من الدلالة على التحقق في الإتيان، ولا مانع في أن يوصف المؤمنون بهذا الاستعجال، كما لا يخفى؛ وبهذا يندفع قول أفضل الفضلاء مولانا أبو السّعود عليه رحمة الله الودود، فراجع تفهم.

قال الله تعالى: ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ الآية[1]، قال مولانا المذكور رحمه الله الغفور: هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل. انتهى.

أقول: لعلّ الاختصار منقوض إذ ينتفع بريشه أيضاً والانتفاع بعظم مشهور، فليت شعري كيف خفي على المولى المذكور؛ ولعل سر التعبير باللحم إشارة إلى عدم الكلفة في الانتفاع باللحمية بعد الوصول إلى نفسه، كالذبح والسلخ والتذكية، والله تعالى أعلم بكلامه ورسوله عليه الصّلاة والسّلام.

قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **ويجوز أن يكون ما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخير على أنه منتصب ل﴿قَالُواْ﴾**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: وليت شعري ما المانع عن انتصابه ب﴿أَنزَلَ﴾ مقدرا على هذا الاحتمال.

أقول: لعل هذا غريب منه؛ فإنه إذا كان منتصباً ب﴿أَنزَلَ﴾ لايكون من قولهم، بل منزلاً من الله تعالى؛ فلا يتصوّر الحكاية إلا بما قال المولى الشهير بابن الكمال عليه رحمة الله المتعال، على أنه يلزم الإخبار بما لم ينزل بعد، وكل ذلك محذور ومانع، والعلم عند الله النافع. ومولانا أبو السّعود عليه رحمة الله الودود تدارك المحذور الأول، وقال: أو بدلٌ من ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ أو تفسير له، أي: أنزل خيراً هو هذا الكلام الجامع؛ بترك الحكاية، وكأنه قصد تدارك الثاني أيضاً؛ فأوّلَ بقوله هو هذا إلخ. وأنت خبير بأنه لا يشفي العليل ولا يقنع الزكي الجليل.

---

[1] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل (16)، 14].

[2] النحل (16)، 30.

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **فلما خلقت الجبال على وجهها** إلخ. وقال المولى الشهير بابن الكمال الوزير رحمه الله الخبير: من قال (فلمّا خلقت الجبال على وجهها) فقد غفل عن وجه العدول عن ألقى على الأرض إلى: ﴿أَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾. انتهى.

أقول: كأن المولى المذكور نسي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ الآية[2].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتاً وهداية وبشارة إلى آخره** إلخ. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: لا يلائم بما أسلفه في تفسير قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[4] وقوله: ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[5]. حيث علل هناك ترك اللام في المعطوف بكونه فاعل الفعل المعلل بخلاف المعطوف عليه، وهنا إن اعتبر الكل فعل المنزّل على الإسناد والمجازى لم يكن للفرق بإدخال اللام في البعض والترك في البعض وجه ظاهر؛ وإن اعتبر فعل الله تعالى كما هو كذلك على الحقيقة فكذلك لا يظهر لترك اللام في المعطوف وجه، بل الظاهر في العطف على محلّ يثبت. انتهى.

أقول: لعل مراد المصنّف رحمه الله ما هو الظاهر وزيادة اللام من قلم النّاسخ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ الآية[6]، وقال البيضاوي رحمه الله: **إلى الحق** إلخ. وقال المحشّي الشهير سعدي جلبي رحمه الله: يعني أن سبب عدم إيمانهم هو أن

---

[1] النحل (16)، 15.

[2] ورد في هامش أ: سورة حم فصلت، (منه)؛ فصلت (41)، 10.

[3] النحل (16)، 102.

[4] النحل (16)، 8.

[5] النحل (16)، 64.

[6] النحل (16)، 104.

الله تعالى لا يهديهم، ويجوز أن يكون المعنى لا يهدينهم مجازاة لعدم إيمانهم أن تلك الآيات من عند الله تعالى، وقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[1]. انتهى.

أقول لا يخفى أن قوله تعالى: ﴿لَا يَهۡدِيهِمۡ﴾ نفي استقبال فلا يساعد هذا الاحتمال، اللهم إلا أن يصار إلى العلم الأزلي، على ما فسر به ابن الكمال الوزير رحمه ربه الخبير، وقال: أي: الذين علم أنهم لا يؤمنون إلخ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٥ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٦ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **بدل من** ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ **وما بينهما اعتراض** إلخ. وقال المحشّي الشهير سعدي جلبي رحمه الله يعقبه أبو حيّان[3] بأنه يقتضي أنه لا يفتري الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه، والوجود يقتضي أن من يفتري الكذب هو الذي لايؤمن، سواء كان ممن كفر بعد الإيمان أم كان ممن لايؤمن قط؛ بل من لم يؤمن قط هم الأكثرون المفترون الكذب. وأجيب تارة بأن المراد من بعد تمكّنه من الإيمان كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾[4]. وردّ بأن قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾[5] لا يساعد عليه. قلت: لا نسلّم ذلك؛ فإن التمكّن منه أعمّ من التمكن من إحداثه ابتداء، وفي إبقائه أيضاً، وتارةً بأن المعنى من وجد الكفر فيما بينهم بعد الإيمان تعبيراً عن الارتداد أيضاً، وأن من وجد فيهم هذه الخصلة لا يبعد منه الافتراء؛ فيكون الكلام كقولهم بنو فلان قتلوا زيداً والقاتل واحد منهم. انتهى.

أقول: ولعل مراد المصنّف رحمه الله بقوله: (من الذين لا يؤمنون) الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لا الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾[6]، ويدل على ذلك قوله (وما بينهما

---

[1] النحل (16)، 103.

[2] النحل (16)، 104- 106.

[3] هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، أبو حيان (654-745هـ/1256-1344م): من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في غرناطة وتنقل إلى أن قام بالقاهرة. صنف كتبا كثيرة، من أشهرها كتابه في التفسير المسمى "البحر المحيط" (الأعلام للزركلي، 152/7).

[4] البقرة (2)، 16.

[5] النحل (16)، 106.

[6] ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النحل (16)، 105].

اعتراض)، ولكون البدل في قوة تكرير العامل لم يستحسن ذكره؛ فإذا كان كذلك يسلم قوله من كل قيل وقال، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً، والصّلاة والسّلام على من اصطفاه نبياً رسولاً، وآدم كان بين الماء والطين منجدلا، صلّى الله تعالى عليه وسلم وآله الذين كانوا هداة ودليلاً، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **بعينه لما روى إلخ. أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد ولأنه محيط به**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: أي: بالمسجد الحرام الذي هو البيت، فيكون المسجد الحرام مجازاً عن الحرم بهذه العلامة.

أقول: لا يذهب على أحد أن المسجد الحرام ليس البيت، بل الذي البيت العتيق الشريف في وسطه والحرم محيط بالمسجد الحرام، وذلك هو المحسوس المعاين؛ ولذا قال الفقهاء الكرام رحمهم الله تعالى: يكفي للآفاقي التوّجه إلى جهة المسجد الحرام، ولا يكفي للمكّي إلا التوجه إلى نفس البيت، وإن كان للبعض خلاف في الإتمام.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها، وتقديم الخبير لتقدّم متعلّقه**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: يعني رتبته فإن العبرة في الطاعة والعصيان للبواطن، ففي الحديث: "أن الله لا ينظر إلى صوركم

[1] الإسراء (17)، 1.

[2] الإسراء (17)، 17.

وأعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم."[1] وإنما الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله إلى غير ذلك. انتهى.

أقول: لعل تفسيره وتعليله عليلا فإنّ متعلق الخبير البواطن والبصير الظواهر، والأول مقدّم على الثاني حقيقة؛ فلا حاجة إلى التكلّف والتجوّز والحقيقة كافية. وتفسير المصنّف رحمه الله يدل عليه دلالة غير خافية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **وقيل: ﴿مَسْئُولًا﴾ مسندا إلى عنه كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[3] والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدّم**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: قال صاحب التقريب إنما جاز تقدّمه اعتباراً لأصالة ظرفية لا لعروض فاعليّته؛ ولأن الفاعل لا يتقدّم لالتباسه بالمبتدأ ولا التباس هنا؛ ولأنه ليس بفاعل حقيقة، بل مفعول. انتهى.

لكن قال أبو حيان: حكي الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس[4] في المقنع من تآليفه. انتهى. إلا أن ينازع في صحة الحكاية، فإن قيل: لم لا يجوز أن يراد الإسناد المعنوي ويكون عنه فاعل ﴿مَسُولًا﴾ المحذوف، والثاني مفسر له؛ وليس في كلام القائل ما يأبى عن الحمل على ذلك، بل يجوز أن يوجد فيه ما يؤيده؟ قلنا لابد في المفسّر من الضمير العائد إلى المرفوع؛ لئلا يبقى بلا فاعل، ولا مجال له هنا إذ لا يمكن جعله مبتدأ؛ للزوم حروف الجر، إلا أن يحمل على الحذف والإيصال فليتأمل. انتهى.

---

[1] الحديث مروي بصيغ مختلة لكني لم أعثر عليه بصيغة: "ونياتكم"، بل الصيغة المشهورة والمروية هي: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، ينظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (32)، 1987/4.

[2] الإسراء (17)، 36.

[3] الفاتحة (1)، 7.

[4] هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس (المتوفى س. 338هـ/950م): مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر ولكنه زار العراق واجتمع بعلمائه. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. من مصنفاته: "تفسير القرآن" و"إعراب القرآن" و"ناسخ القرآن ومنسوخه" (الأعلام للزركلي، 208/1).

أقول: لعل الحق في هذا المقام ما قاله المصنّف رحمه الله من الكلام، لكن هذا الجواب ليس على سنن الصواب أو الشارح الرضي[1] صرح بعدم لزوم الضمير في المفسر؛ إذا كان اسمي الفاعل والمفعول وأورد هذه الآية الشريفة، بل إذا كان الفعل أيضا غير لازم على ما صرّح التفتازانيّ[2] ومولانا ابن كمال رحمهما الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ الآية[3]، إن هلك مفسر لهلك المفسر، ويجوز خلوّه عن الضمير، فافهم والله يقول الحق ويهدي السبيل.

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ الآية[4]، قال البيضاوي رحمه الله: **وذكر الذقن؛ لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد.**

أقول: لعله يعني أن الإنسان إذا سجد ما يلقى وما يقرب أولاً بالأرض على مقتضى الخلقة إلا الذقن؛ فإنه أسفل الوجه ولا يقدح كون المأمور به في الشرع وضع الأنف أولاً ثم الجبهة، أو كان المراد وضع الذقن أولا من كمال الخشية والتذلل والحيرة. هذا وما قال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: فيه بحث، فإنه ظاهر أن أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد جبهته وأنفه، إلا أن يقال أن طريق سجدتهم غير ما عرفناه. انتهى. فإن منشأ البحث عدم التفرقة بين الخلقة والشرع واللقاء والوضع على أن حق العبارة هكذا: أنفه وجبهته على ما هو مقتضى الوضع الشرعي، وإن كان الواو لمطلق الجمع لكن الترتيب الذكريّ يراع.

---

[1] هو محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، نجم الدين (المتوفى نحو 686هـ/1287م): عالم بالعربية، من أهل أستراباذ (طبرستان) اشتهر بكتابيه: "الوافية" في شرح الكافية لابن الحاجب في النحو، و"شرح مقدمة ابن الحاجب" في الصرف (الأعلام للزركلي، 86/6).

[2] هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين (712-793هـ/1312-1390م): من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان التي هي من بلاد خراسان، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها. من مصنفاته: "المطول" في البلاغة، "إرشاد الهادي" في النحو وغيرها (الأعلام للزركلي، 219/7).

[3] النساء (4)، 176.

[4] الإسراء (17)، 109.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي هدى أصحاب الكهف، وحفظهم عن كل خلل وملل في الكهف، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي أرسله رحمة وجعله لعباده الملجأ والكهف، وعلى آله الذين كل منهم لنا معاشر المسلمين كالغار والكهف، ختمنا الله تعالى على محبتهم، وحشرنا في زمرتهم، وشرفنا بجواره؛ فنعم الكافي والهادي والوافي، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **لا أبالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر، وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله، فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: كأن الظاهر أن يقول فمشيئته ليست بموجِدة، وإنما الموجد[2] مشيئة الله تعالى وقدرته، والمتحقق في مشيئة العبد هو المقارنة للفعل لا غير، على ما هو مذهب الأشعري. لكن سلك تلك الطريقة مبالغة في الإلزام للمعتزلة، يعني إن تنزلنا وفرضنا أن للعبد مشيئة مؤثرة وموجدة للأفعال فمشيئة الفعل ليست بمشيئته، وإلا لزم التسلسل؛ بل هي بمشيئة الله تعالى، فانتفى الاستقلال للعبد في الأفعال؛ فإنه عند حصول القصد الضروري والاختيار الضروري يجب الفعل، وأصل هذا الكلام وتفصيله التام ذكره الإمام في تفسير الكبير وفيه بحث. فإن لهم أن يقولوا تعلّق القدرة والإرادة يستقل فيه العبد عند حصول الدواعي، وحصول الدواعي ليس بموجب للتعلق، مع أن لزوم التسلسل في التعلّقات لا يختص بإرادة العبد،، بل يعم لإرادة الله تعالى على ما بيّن في مقامه، والله تعالى هو المسؤول لرفع غيهب الشك وظلماته. انتهى.

أقول: لعل إن هذا في غاية ظهوره، كان مزالق أرباب العقول، وكيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] وقال: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ الآية[4]، فإذا لم يستقل العبد في نفسه وكان يقبل العدم والوجود في كل نَفَس، كيف يقال أن

---

[1] الكهف (18)، 29.

[2] هكذا مكتوب ولعله سقط من الناسخ والمراد "الموجود".

[3] التكوير (81)، 29.

[4] ق (50)، 15.

العبد يستقل في تعلّق القدرة والإرادة؛ ومن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فما ترجو ممن لم يعرف حقيقته وهو المجاز.

قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[1] قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: أي: أمواله المعهودة التي هي جنتاه وما خزناه، لا جميع أنواع أمواله؛ لأنه يأباه عن إرادته قوله (حسبما توقعه)، فإن ما توقعه كان هلاك بستانه بقرينة قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[2]، لا يقال أراد لجنته في قوله: ﴿مِّن جَنَّتِكَ﴾ ما متّع به من الدنيا على ما مر مثله، وبضميرها معنى البستان على طريق الاستخدام.

أقول: لعل قوله تعالى بعيد هذا، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها يمنع إرادة العموم.

وقال المحشّي المذكور رحمه ربه الغفور أيضا في قول المصنّف رحمه الله (حسبما توقعه): فيه بحث فإن ما توقعه كان إصباحها صعيدا زلقا بإرسال الله تعالى عليها حسبانا من السماء، أو إصباح مائها غورا؛ وليس في الآية الكريمة ما يدل على واحد منهما، بل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يدل على أنها لم تصبح صعيدا زلقا، نعم إذا كان الممثل به حال رجلين موجودين من بني إسرائيل أو من قريش يمكن أن يقال علم إهلاك أمواله حسبما توقعه من موضع آخر غير القرآن الكريم. انتهى.

أقول: لعل الفاضل المرحوم حمل قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ على ما نطق به ظاهره من أن يكون مما يزلق به عليه باستئصال النبات والأشجار، والله تعالى أعلم بكلامه، ليس المراد هذا بل الكناية عن كونها على حالة لا يمكن الانتفاع بها بوجه من الوجوه، فيكون تفسير المصنّف رحمه الله بقوله (أرضا لمساء) إلخ. تفسير المنطوق لا تفسير المراد، على أن الفاضل ابن عادل[3] رحمه الله قال

---

[1] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف (18)، 42].

[2] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف (18)، 40].

[3] تقدمت الترجمة له.

في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الآية[1]: عروشها سقوفها فسقطت الجدران عليها، ويمكن أن يكن المراد بالعروش عروش الكرم فتسقط العروش ثم سقطت الجدران عليها. انتهى.

فعلى هذا يمكن إرادة المنطوق ولا ممانعة، وإن كان فيه ما فيه، وقول المحشّي الفاضل (نعم إذا كان الممثل به) إلخ. عجيب الصدور منه؛ فإنه تجويز مخالفة القرآن المصون عن الخلاف للواقع وهو ممتنع، وكيف لا والواقع ليس إلا ما يدل عليه القرآن؛ فليس هذا الآخر سهو القلم أو قلم السهو.

قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ الآية[2]، قال البيضاوي بيض الله وجهه: **ثمرها وإفراد الضمير لإفراد** ﴿كِلْتَا﴾. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله تعالى: فإنه اسم مفرد اللفظ عند البصريين، مثنى المعنى ومثنى لفظا ومعنى عند البغداديين. انتهى. وقال الحريري[3] في درة الغواص: إنه اسم مفرد وأخطأ من أرجع إليه ضمير التثنية أو الجمع. انتهى.

أقول: لعل الأخطاء منعكس عليه لما وقع في كلام الله تعالى مراعاة الإفراد والتثنية معا كما ههنا. قال الرضي[4]: يجوز حمله على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى؛ قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَلَهُمَا نَهَرًا﴾ الآية[5].

قال الله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[6]، قال مولانا أبو السّعود رحمه الله: **أي: دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع، إما لأنها العمدة إلخ.، وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي؛ لأنها حيث هلكت وهي مشيّدة بعروشها، فهلاك ما عداها بالطريق الأولى**. انتهى.

---

[1] الكهف (18)، 42.

[2] الكهف (18)، 33.

[3] هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (446-516هـ/1054-1122م): أديب كبير، من مؤلفاته "مقامات أبي زيد السروجي" و"درة الغواص في أوهام الخواص" (الأعلام للزركلي، 177/5).

[4] تقدمت الترجمة له.

[5] الكهف (18)، 33.

[6] الكهف (18)، 42.

أقول: لعل الأولويّة في النخل المتعرّق بعروق كثيرة ذاهبة في الأرض غير ظاهرة على مالا يخفى.

قال الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية[1]، قال مولانا المذكور: **واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها** إلخ.

أقول: قوله بعيد هذا في قوله تعالى: ﴿كَمَآءٍ﴾ الآية[2]، أي: في ﴿كَمَآءٍ﴾ يخالف هذا فإن المفهوم من الأول كون الدنيا مشبها بها، ومن الثاني في العكس.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: **وقرأ أبو بكر ﴿لِمَهۡلِكِهِم﴾ بفتح الميم واللام أي لهلاكهم، وحفص بكسر اللام حملاً على ما شذّ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيص.**

وقال المحشّي الشهير بسنان جلبي[4] رحمه الله: أي: بضم العين ل"مجيء" "المرجع" و"المصير" بالكسر من "يفعِل" مكسور العين. انتهى.

أقول: لعل هذا غريب منه؛ فإنه من مسائل كتاب المقصور أن المصدر الميمي من "يفعل" بكسر العين بالفتح، إلا ما شذّ ك"المرجع" و"المصير" وظاهر أنّ مراد المصنّف رحمه الله هذا والمحشّي تركه وتكلف في غير حاجة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ الآية[5]، قال البيضاوي: روي أنّ موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام خطب النّاس إلى أن قال: فقيل له:

---

[1] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف (18)، 45].

[2] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف (18)، 45].

[3] الكهف (18)، 59.

[4] هو سنان الدين يوسف الأماسي (المتوفى س. 986هـ/1578م): من العلماء العثمانيين، أخذ العلم عن علماء العصر وكانا مدرسا في عدة مدارس في أدرنة والأناضول. ألف حاشية على تفسير البيضاوي فاشتهر بلقب المحشي سنان (الشقائق لطاشْكُبْري زَادَهْ، 167-168؛ الأعلام للزركلي، 233/8).

[5] الكهف (18)، 60.

"هل تعلم أحدا أعلم منك؟" فقال: "لا" فأوحى الله إليه: "بلى، أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين"، وكان الخضر في أيام أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى عليه الصّلاة والسّلام".[1]

وقال المحشّي الشهير بسنان جلبي: قوله وكان أي أفريدون قوله (على مقدمة ذي القرنين) أي أميرا على مقدمة جيش ذي القرنين، يعني مضى ذو القرنين ولم يبق إلى زمان الخضر، بل بقي أمير مقدمة جيشه أفريدون؛ وقوله (وبقي) عطف على قوله (وكان) أي: بقي أفريدون إلى أيام موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام. انتهى.

أقول: لعل هذا غريب الصدور من الفاضل المذكور، إذ المعنى الصواب هكذا بلا ارتياب: وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين ودخل الظلمات وأصاب ماء الحياة، وبقي الخ. وهذا واضح لا يخفى.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ الآية[2]، قال مولانا أبو السّعود: أي: **التجأنا إليها وأقمنا عندها، وذكر الإواء إليها مع أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة، فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتمهيد العذر؛ فإن الإواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة.**

أقول: لعل قوله (فإن الإواء إليها والنوم عندها) إلخ. ليس على ما ينبغي؛ فإن التأوية إلى النسيان عادة إنما تكون لو كان النوم بعد الحادثة وليس كذلك كما روي قبل.

---

[1] الحديث أصله في الصحيحين وغيرهما، أما الإضافة "وكان الخضر في أيام أفريدون...." إلى أخره لم أعثر عليه في المصادر التي أمكنني الوقوف عليها. ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر (74)، 26/1؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (170)، 1852/4.

[2] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف (18)، 63].

قال الله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ الآية[1]، قال مولانا المذكور: **وفي تعليق الإنساء بضمير الحوت أولا، وبذكره له ثانيا، على طريق الإبدال المنبئ عن تنحيته المبدل منه، إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره**. انتهى.

أقول: لعل قوله (إشارة) إلخ. لا يشفي العليل، ولا يكفي في التعليل؛ فإنه يفي بذلك أن يقال: أولا وما أنساني ذكره، فإذا كان النظم الشريف على ما كان لا بد من توجيه لطيف، وهو ما وجه به إيراد الكلام على الإبدال في كل مقام من ذكر الشيء مرتين إجمالا وتفصيلا، خصوصا ههنا لما قيل؛ ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ قيل على منواله ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾، ثم لما لم يكن متعلق النسيان إلا الذكر أبدل فقيل ما قيل والله تعالى أعلم بكلامه ورسوله عليه الصّلاة والسّلام.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام، على سيد الأنام، محمّد وآله الكرام أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى في سورة مريم: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **بعد أن أخبرتكم بنذري**. انتهى.

أقول: لعلّه يريد الإشعار بأن قوله تعالى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ﴾ من مقول القول المأمور به فأنشأت النذر بقولها فأخبرت وكانت مأذونة بهذا المقدار من التكلم، فقول المحشّي الشهير بسعدي جلبي: الظاهر أن هذا الكلام منها إنشاء للنذر، وقول المصنّف (بعد أن أخبرتكم) الخ. لكونه في صورة الإخبار أو لتضمنه له. انتهى؛ ليس على سنن الصواب، بلا خفاء ولا ارتياب، وكيف لا وهذا قول الله الآمر وبه يحصل القول المنشئ، كما لا يخفى على المتأمل الذكي.

قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: **يتشققن مرة بعد أخرى**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: قلت الأنسب لمقام المبالغة في عظم هذه الكلمة أن

---

[1] الكهف (18)، 63.

[2] مريم (19)، 26.

[3] مريم (19)، 90.

يقال يتشققن شقوقا كثيرة بمرة واحدة من هولها، ثم النظر إلى أن الأصل توافق القراءات يقتضي أن يحمل التكثير على تكثير المفعول كما في ﴿غَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾[1] لا الفعل؛ ويؤيده اختيار صيغة الانفعال في ﴿تَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾[2] حيث لا كثرة في المفعول إذ لم يثبت تعدّد الأرض، ولهذا أولوا قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[3] تارة بالأقاليم السبعة وتارة بطبقات الأرض. انتهى.

أقول: لعلّ قوله يقتضي أن يحمل التكثير على تكثير المفعول الخ. لم يصب محزّه إذ السماوات فاعل لا مفعول والتشقق وصفها، والمؤيد أيضا لنا وعليه إذ الأرض فاعل أيضا لا مفعول؛ فالصواب أن يقول على تكثير الفاعل فليس هذا إلّا من سبق القلم إلى المفعول.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي قال طه، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي قيل له طه، وعلى آله الذين شرّفوا باتباع طه، وبعد:

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الآية[4]، قال البيضاوي: **قفى تمهيد نبوته قصة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد، فإن هذه السّورة من أوائل ما نزل.** وقال مولانا أبو السّعود: استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرا عن كابر، إلى أن قال: وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي صلّى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه الصّلاة والسّلام في تحمل أعباء النبوة، والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصّلاة والسّلام عن اقتحام المشاق. انتهى.

---

[1] يوسف (12)، 23.

[2] في أ: ينشق الأرض، تم تصحيح الآية؛ مريم (19)، 90.

[3] الطلاق (65)، 12.

[4] في أ: آتيك، تم تصحيح الآية؛ طه (20)، 9.

أقول: لعل قوله (لصرفه صلّى الله عليه وسلم عن اقتحام المشاق) غريب الصدور عنه؛ فإنه صلّى الله علي وسلم لم يصرف عن اقتحام أعباء النبوة ومشاق التبليغ، كيف هذا مع أن الاقتحام المذكور مع حياته صلّى الله عليه وسلم وبقاء نبوته توأمان متلازما الوجود، خصوصا في أوائل الظهور؛ وإنما المصروف التعب بالمبالغة في مكايدة الشدائد والمشاق، إما من جهة المشركين والطغاة، أو من جهة المجاهدة في العبادة كما يشهد لهذا كلام نفسه ثمة، فيا عجبا كيف نسي بما قدمت يداه مع قربه.

قال الله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **أي علمت ما لم تعلموه وفطنت بما لم تفطنوا له، وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا إلا أحياه.** وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: فيه بُعْد؛ فإنه لو صح ذلك كان أولى الأشياء بالحياة الأثر نفسه حيث مسه ذلك الروحاني، ثم قال في قول المصنّف (أو رأيت بما لم يروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة) الظاهر أن علمه بأن مركوبه فرس الحياة؛ لأنه رآه يخضّر موطئه الخ.

أقول: لعل البعد المورد المذكور قد اندفع بقوله (يخضّر موطئه) وهو في غاية الظهور، إذ حياة كل شيء بالمعتاد المشهور، قال الله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ الآية[2].

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: **وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة.** وقال المحشّي المذكور: يشعر أنه لم يكن فيه حياة وهو مخالف لما أسلفه آنفا. انتهى.

أقول: لعل المصنّف أراد بقوله (وإن كان حيا في نفسه) الحياة العادية لا الخارقة العارضة له بالعلاج، يعني أن هذا النوع إذا كان حيا بالحياة العادية كان كذا، وفي الأول أراد الثاني فلا مخالفة لا محالة، فيا عجبا كيف خفى على الفاضل الشهير، وقوله في نفسه ينادي إليه ويشير.

---

[1] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه (20)، 96].

[2] في أ زاد على الآية: (فسيروا في الأرض) وليست منها؛ الروم (30)، 50.

[3] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه (20)، 98].

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله مولى المؤمنين، والصّلاة والسّلام على النبي الهادي للمؤمنين إلى دار السّلام، وعلى آله الكرام، وبعد:

قال الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَشَجَرَةَ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **أي تنبت نبتا بالدهن ومستصحبا له، ويجوز أن يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك**: "**ذهبت بزيد**" الخ. وقال الفاضل الشهير بملّا كوراني[2]: وجعل الباء صلة يفسد المعنى.

أقول: لعل وجه الفساد غير ظاهر، وكيف لا والمعنى فيه سديد مع المبالغة، تأمل تعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَعِينٍ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: ﴿وَمَعِينٍ﴾ **وماء معين ظاهر جار، فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء، أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع** الخ. وقال الفاضل الشهير بملّا كوراني: وجعله فعيلا من الماعون لا يناسب المقام.

أقول: لعل عدم المناسبة غير ظاهر، اللهم إلا بعدم اعتبار الموصوف وهو الماء أو الوصف وهو النفع، وذلك بعيد من المصنّف.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي قال في حقه ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[4]، وعلى آله الذين هم الأبرار الأتقياء، وبعد:

---

[1] المؤمنون (23)، 20.

[2] تقدمت الترجمة له.

[3] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون (23)، 50].

[4] يس (36)، 69.

قال الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **وإنما بدّل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق**. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: يعني أن الموجود هنا هو الخرور لا الإلقاء، لكنه عبّر به مجازا للمشاكلة. انتهى.

أقول: لعلّ أن مراد المصنّف بقوله هذا أن مقتضى المقام التعبير بالخرور، فلما عبّر بالإلقاء فكأنما بدّل به نظرا إلى المقتضى، لا أن الموجود هو الخرور ثم بدّل ،كما يفهم من كلام الفاضل المذكور؛ ولا يقال أن مراد المذكور أن الموجود في نفس الأمر هذا؛ لأنا نقول لا يمكن لنا الاطلاع لنفس الأمر إلا بإظهار القرآن. ثم قال: وفيه بحث، هو أن الله تعالى خالق خرورهم عند أهل الحق، وخلقه هو الإلقاء، فلا حاجة إلى ارتكاب التجوز، فتأمل.

أقول: لعل أن النكات المعتبرة في مرتبة ظهر القرآن هي المستفادة من ظاهر الألفاظ. وقال الفاضل: فطور آخر ممكن الاعتبار في جميع الظواهر. وقال أيضا في قول المصنّف (وأنه تعالى ألقاهم) وفيه بحث، فإنه إذا كان الإلقاء مجازا عن الخرور فلا إلقاء حقيقة حتى يطلب له فاعل.

أقول: لعل إن هذا مبني على كلامه السابق، وقد فهمت ما فيه من أنه خلاف الظاهر، ولو أطلق المجاز على هذه المرتبة لا يستغني فيها أيضا، فيعن الفاعل في الظاهر وهو المتبادر.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله خصّ الإنسان بالأعلى من الحصص، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي اختص بالقرآن والقصص، و على آله الذين فازوا بقصب السبق في الحصص، وبعد:

قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه، وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة** إلخ.

---

[1] الشعراء (26)، 46.

[2] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [القصص (28)، 14].

وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: قوله وذلك من ثلاثين إلى أربعين، روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه "الأشد ما بين الثماني عشرة إلى الثلاثين والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين،"[1] وما ذكره المصنّف لا يوافق شيئاً. انتهى.

أقول: كأن الفاضل المذكور لم ير نقل أبي الليث[2] والإمام محيي السنة[3] عن مجاهد[4] أن الأشد ثلاث وثلاثون،[5] فإذا اختلف الروايات والأقوال؛ واختار المصنّف البعض منها وبنى عليه ما قال، لا يرد عليه القيل والقال، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية[6]، قال البيضاوي: **ظاهر العداوة**. وقال المحشّي المذكور غفر ربه الغفور: قوله (ظاهر العداوة)، الأولى أن يقال ظاهر الإضلال والعداوة ولا يستلزم أحدهما الآخر، فكم من صديق مضلّ وكم من عدو لا يضلّ. انتهى.

أقول: لعلّ ما قال من عدم الاستلزام في الصوري والاستلزام في الحقيقة لازم وفيه الكلام، فافهم المرام.

قال الله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ الآية[7]، قال البيضاوي رحمه الله: **فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما. قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر، فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم**. وقال المحشّي المذكور: قوله (قيل) إلخ. إشارة إلى ضعفه لبعد أن يصبر موسى على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام إلى أن يفرغ الرعاء عن سقي مواشيهم ووضع الحجر على رأس البئر؛ ولأنها إذا كانت عادتهم ما ذكر فكيف تسقيان غنمهما؛ ولأنه لا يخالف

---

[1] الدر المنثور للسيوطي، 397/6.

[2] تقدمت الترجمة له.

[3] تقدمت الترجمة له.

[4] تقدمت الترجمة له.

[5] تفسير الطبري، 22/15.

[6] ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص (28)، 15].

[7] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص (28)، 24].

ظاهر ما روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل النّاس، قال لهما: "ما أعجلكما؟" قالتا: "وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا."[1] فالرواية الأخرى وهي أنه عليه الصّلاة والسّلام زاحمهما على الماء حتى سقى لهما،[2] بالقبول أحرى وبه يصح وصفه بالقوة أيضاً. انتهى.

أقول: لعلّ علله الثلاثة عليلة ضعيفة لا يخلو كل من شبهته، أما الأولى؛ فلأن الوضع لا يستلزم الصبر لجواز أن يكون عند مزاحمته عليه الصّلاة والسّلام تعجيزا له صلّى الله تعالى عليه وسلم، وقد روي أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما[3]. وأما الثانية؛ فلأنهما إنما كانتا تسقيان من فضل مواشيهم في الحوض لما صرّح الإمام محيي[4] السنة في المعالم، ولما نقل في أكثر التفاسير من أنهم قالوا: فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا وأغنامهما حفل بطان، قال لهما: "ما أعجلكما؟" الخ. فإن قوله (وأغنامهما حفل بطان) ظاهر في أن السقي قبل لا يكون إلا في الفضل، فلا يحصل الشبع. وأما الثالثة؛ فلأن المخالفة إنما تكون على تقدير اللزوم، وهو خلف كما عرفت؛ فيجوز أن يكون صيغة التمريض، إما لضعف الرواية، أو لمجرد النقل على أنه يفهم من كلام المحشّي، فالرواية الأخرى أن الترجيح مراد المصنّف رحمه الله من التمريض؛ فليت شعري كيف ترجح الغير المذكورة أصلا على ما في الأسطر مذكورة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ الآية[5]، قال البيضاوي رحمه الله: **العاقبة المحمودة، فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة** الخ. قال المحشّي المذكور رحمه الله: بيان لوجه إرادة الخاص من العام، ويجوز انفهام الخصوص من كلمة له، فإن العاقبة الغير المحمودة تكون عليه، لا له.

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي، 590/24.

[2] لم أعثر على رواية أخرى بهذا اللفظ في الكتب المتوفرة لدي.

[3] الكشاف للزمخشري، 401/3.

[4] تقدمت الترجمة له.

[5] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [القصص (28)، 37].

أقول: كأن المحشّي الفاضل، عن قول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1] وفي سورة غافر: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآية[2]، ذاهل، وإلا فعدم الانفهام بيّن واضح بلا إشكال، فتأمل تعرف حقيقة الحال.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[3] الآية.

قال البيضاوي بيض الله تعالى وجهه: **بتكذيب الرسل والعتو في الكفر**.

أقول: لعله بهذا يخالف ما اختاره في سورة هود في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ الآية[4]، بقوله: فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا وتباغيا، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه. ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد. وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم، مخالفة واضحة، وإن كان ما اختار ثمة مختار أهل السنة والجماعة، مرويا عن ابن عباس شرفهما الله بالرضية،[5] مدللا عليه بأن قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، إنما نزل عليهم عذاب الاستيصال لما حكى الله تعالى عنهم من إذاء النّاس وظلم البرية، وأهل التّفسير سوى مولانا أبو السّعود والمعتزلة في تلك الآية متفقون على المختار. وههنا على ما فسر المصنّف رحمه الله من التكذيب والكفر، وبينهما تناف، كما لا يذهب على من له تأمل وتفكر؛ ولعل الأولى والله تعالى أعلم ورسوله صلّى الله عليه وسلم تفسير الظلم أيضا على المذهب الحق بالظلم فيما بينهم، على ما مر في الأولى دون التكذيب والعتو على ما وقع فيما رأينا من التفاسير. فالمعنى: وما كنا في عادتنا وسنتنا القديمة مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون فيما بينهم، وأهل مكة شرفها الله تعالى ليسوا كذلك، فلهذا لم يهلكوا بعد مبعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم. ويؤيد

---

[1] ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد (13)، 25].

[2] ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر (40)، 52].

[3] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص (28)، 59]

[4] هود (11)، 117.

[5] هذا الأثر: "الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم" منقول في كتب التفسير بصيغة "قيل" غالبا كما هنا، ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، 410/18.

هذا ما قالوا من أن قوله تعالى هذا جواب مما قيل: لماذا ما أهلكهم الله تعالى بعد البعث مع تماديهم في الكفر والجحود والتكذيب. انتهى.

فإن الاندفاع بيّن نيّر، مع عدم الاحتياج إلى ما تكلّفوا في الجواب من أن المعنى إلا ﴿وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[1] أنفسهم بالشرك وأهل مكة ليسوا كذلك؛ فإن منهم من قد آمن، ومنهم من سيؤمن، ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن، كما لا يخفى للمنصف المتدبر. ولا يبعد أن يحمل الظلم هناك على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي، ويحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه، على ما قال مولانا أبو السّعود رحمه الله، ولكن كان مخالفا لمختار أهل السنة ما نبهت آنفاً عليه؛ ومع هذه المخالفة يمكن باعتباره ههنا أيضا، وإن لم يذهب إليه أحد فيما رأينا. لا يقال لم لا يجوز أن يكون مراد المصنّف رحمه الله من قوله ههنا والعتو في الكفر، الإشارة إلى المعنى المختار هناك من الظلم فيما بينهم والفساد؛ لأنا نقول هذه العبارة لا تساعد هذا المعنى كما لا يخفى.[2]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ الآية[3].

قال البيضاوي: **كان ابن عمه يصهر بن قاهث** الخ. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: وجدته مضبوطاً بفتح التاء المثناة من تحت وسكون الصاد المهملة وفتح الهاء بعدها راء، و(قاهث) بالقاف والهاء المفتوحة بعد الألف والثاء المثلثة، لكن ما ذكره المصنّف ههنا مخالف لما قال في سورة آل عمران، أن موسى وقارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي؛ لدلالته على أن يصهر جده لا عمه.

أقول: كأنّ الفاضل المذكور رحمه ربه الشكور لم يطلع على تعدد الروايات واعتمد الدرايات، وإلا فاختلاف قول المصنّف رحمه الله على اختلاف المقالات. قال الإمام محيي السنة: كان ابن عمه؛

---

[1] القصص (28)، 59.

[2] ورد في هامش أ: فإنّ العتو بمعنى الاستكبار ومجاوزة الحد مظروف الكفر، فلا يحمل إلّا على مجاوزة الحد في الكفر، لاغير؛ وما تعرضنا لهذا القيل والقال مع أنّه ليس محل الإشكال، إلا لمّا أجاب بعض الأفاضل، وهو أبو الصدر أو ابنه رحمه الله تعالى، (منه).

[3] القصص (28)، 76.

لأنه قارون بن يصهر الخ. وقال ابن إسحاق:[1] كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابن يصهر، فافهم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي أيده بجنود لم يُروأ، وعلى آله الذين نصروه يوم الأحزاب، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الآية[2].

قال البيضاوي: **وتقديم التمتع على التسريح المسبب عنه من الكرم**. انتهى.

أقول: لعل حق العبارة هكذا: وتقديم التمتع على التسريح المسبب هو عنه؛ لأن المسبب صفة جرت على غير من هي له، إذ جرى في الظاهر على التسريح، وفي الحقيقة صفة التمتع وفي مثل هذا يجب الإبراز والانفصال لئلا يلزم الالتباس، كما صرح المصنّف نفسه في هذه السّورة الكريمة في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[3] الآية، بقوله: وقرئ بالجر صفة لطعام، فيكون جاريا على غير من هو له بلا إبراز الضمير؛ وهو غير جائز عند البصريين، وقد حقق المرحوم أن الكوفيين أيضاً لا يجوزون ذلك، إلا في اسم الفاعل خاصة، كما جوز الفي الفعل على الاتفاق.[4]

---

[1] هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري (المتوفى س. 151هـ/768م): من أقدم مؤرخي العرب، من حفاظ الحديث وأول من دون العلم في المدينة. أشهر مصنفاته "السيرة النبوية" (سير أعلام النبلاء للذهبي، 33/7-35؛ الأعلام للزركلي، 28/6).

[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب (33)، 28].

[3] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب (33)، 53]

[4] ورد في هامش أ: على أنّ النحاة تكلّفوا في هذا الباب والتزموا الإبراز فيما لايلزم الالتباس أيضاً، حتى أنّ ابن الحاجب أوردَ المثال منه وقال: هذا زيد ضربته ... إياه، تبنيها على أشد اللزوم فيما سواه، (منه).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ الآية[1] ، قال البيضاوي وكذا الزّمخشري: **أي فعلنا ذلك ليسأل الله تعالى يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم،** إلى أن قال: **أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم.** وقال المرحوم أبو السّعود: وأما ما قيل من أن المعنى ليسأل المؤمنين إلخ فيأباه مقام[2] تذكير ميثاق النبيين.

أقول: ليت شعري كيف يأباه، وهو مما يؤيده إذ لا يسأل أحد ولا يعذب بمجرد الإقرار يوم الميثاق، كما لا يكون ذلك بمجرد علم الله الخلاق؛ بل بعد إرسال الرسل المأخوذ منهم الميثاق المأمورين بتذكير العهد السابق، وإيضاح الحجج؛ لأنه لا يلقى أحد إلى النار إلا بعد إقامة الحجة وقطع المعذرة، بل ذلك من جملة أسرار بعثة الرسل عليهم الصّلاة والسّلام.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآية[3]، قال المولى المذكور: **عطف على ما ذكر من المضمر، لا على ﴿أَخَذْنَا﴾ كما قيل[4]، والتوجيه بأن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين، أو بأن المعنى أن الله تعالى أكد على الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين تعسّف ظاهر، مع أنه مفضٍ إلى كون بيان إعداد العذاب الأليم للكافرين غير مقصود بالذات.**

أقول: لعل قوله (تعسّف ظاهر) ظاهر التعسف وقوله (مع أنه مفضٍ إلى كون بيان إعداد العذاب الأليم للكافرين غير مقصود بالذات) هو المقصود الأصلي كما صرح بنفسه في مواضع من تفسيره، ويدل على ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: "ما خلقت الخلق لأربح عليهم بل ليربحوا علي."[5] وقوله تعالى: "سبقت رحمتي غضبي"[6] فافهم.

---

[1] الأحزاب (33)، 7-8.

[2] ورد في هامش أ: والبراهين وهو اللاحق، كما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ وما وردَ، (منه).

[3] ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الأحزاب (33)، 8.

[4] ورد في هامش أ: قائله القاضي والزمخشري، (منه).

[5] ذكره الرازي في تفسيره وغيره، ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، 319/8.

[6] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (7553)، 160/9؛ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (14)، 2108/4.

قال تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **الأنواع من الظن، فظن المخلصون الثُّبت القلوب أن الله تعالى منجز وعده في إعلاء دينه، أو ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم**. انتهى.

وقال المحشّي الشهير بابن تمجيد رحمه الله: أقول القاضي حين اقتبس المعنى من كلام الكشاف غفل عما وقع فيه من اللف والنشر في تفصيل ظنون الفرق الثلاثة، فجعل ضعف الاحتمال مما يخافه المخلصون الثبّت القلوب وهو مما يخافه ضعاف القلوب، وإن شئت فعليك بمطالعة المأخذ انتهى.

أقول: لعل الغافل أخا ابن أبيه، فإن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية[2]، ينادى بأعلى الصوت بأن المنافقين وضعاف القلوب مظنونهما واحد، فتعين أن الحق ما قال المصنّف رحمه الله؛ وإن مراده من التغيير رد الزّمخشري، والمحشّي المرحوم مما لم يفهم المراد وزعم الغفلة على السداد.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه الله: **والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الازواج كما أشعر به** ﴿فَمَا لَكُمْ﴾. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: غير مسلّم. كيف ولو صح ذلك لسقطت بإسقاطهم وليس كذلك بالاتفاق، بل هي للولد والشرع كما تقرر في موضعه.

أقول: لعل هذا من الفاضل المذكور غريب، فإن الإسناد محقق ودلالته مقررة والمراد بكون العدة حق الأزواج أن العدة إنما تجب صيانة لمياههم عن الامتزاج وأولادهم عن الاختلاط والاحتياج فماذا لم يسلّم، لم يعلم.

---

[1] ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب (33)، 10].

[2] ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب (33)، 12].

[3] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب (33)، 49].

قال الله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **نصب بفعل يفسره ما قبله، أو عطف على ما سبق، ولا يدفعه التقييد ب(إن) التي للاستقبال؛ فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل، أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة** إلخ. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي رحمه الله: فيه أن أعلمناك أيضاً ماض فالدافع باق.

أقول: لعل مضي الإعلام ليس بدافع؛ لأنه يتأول الحل السابق واللاحق، فالدافع ليس بباق وهو أظهر من النار على الأعلام، قال الله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل، فإن هبتها نفسها من لا يوجب له إلا بإرادته نكاحها؛ فإنها جارية مجرى القبول. وقال المحشّي الشهير بسعدي جلبي: الأظهر مجرى الإيجاب، إذ الإيجاب هو الكلام عن أحد المتعاقدين، فإرادته صلّى الله تعالى عليه وسلم لتقدّمها على الهبة لشبهه لا القبول.

أقول: لعل الأظهر بل الصواب أن القبول في موضع القبول، فليت شعري كيف خفي على من عد من العلماء الفحول؛ فإن إرادته صلّى الله عليه وسلم مترتبة على هبتها الجارية مجرى الإيجاب كما يدل على ذلك قوله: ﴿إِن وَهَبَتۡ﴾ الآية؛ فإن الشرط الثاني شرط الأول غير متقدم عليه ،كما لا يذهب على أولي الألباب.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق كل شيء، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الذي أمر بالجهاد والسباء، وعلى آله الذين اتبعوه في الغزاء والسباء، وبعد:

[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب (33)، 50].

قال الله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **وصف السدر بالقلة فإن جناه وهو النبق وهو مما يطيب أكله، ولذلك يونس في البساتين**. انتهى. وقال أبو السّعود رحمه الله الودود: قيل إن وصف السدر بالقلة لما أن جناه إلخ. والصحيح أن السدر صنفان: صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد، وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً ولا تؤكل بورقه وهو الضال، والمراد ههنا هو الثاني حتماً.

أقول: لعل الوصف بالقلة يأبى عن إرادة الصنف الثاني، إذ المقام بيان كون المبدل منه عديم النفع جامع الأضرار بسبب كونهم أهل الكفران والأشرار، فلو كان المراد هو الثاني لكان إطلاق الكلام أوفق لمقتضى المقام؛ كما لا يخفى على ذوي الأفهام على أن الأول مروي عن الحسن رضي الله تعالى عنه. قال الزّمخشري: عن الحسن رحمه الله: "قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا،"[2] وإن أمكن حمل كلامه على التهكم، فافهم.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه الله: **وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص**. وعلل ذلك المولى المحشّي سعدي جلبيي بقوله: لأن المقام يأباه؛ ولأنهم جوزوا بغيره أيضاً كما يجيء[4]. وقال المرحوم أبو السّعود: أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر، أو ذلك التبديل جزيناهم لا غير. انتهى.

أقول: لعل المرحوم ظن أن التقديم للتخصيص، إما ذهولاً عن قول المصنّف، أو رداً عليه؛ فلا يسلم عن إحدى الغفلتين أسعده الله تعالى بالسعادتين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ الآية[5]، قال البيضاوي: **ويجوز أن يعدى الفعل إليه بنفسه كما في "صدق وعده"؛ لأنه نوع من القول**. انتهى. وقال المحشّي الشهير ابن تمجيد

---

[1] ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ (34)، 16].

[2] الأثر ذكره الزمخشري في تفسيره، وليس فيه كلمة "قلل"، ينظر: الكشاف للزمخشري، 576/3.

[3] ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ (34)، 17].

[4] ورد في هامش أ: وهو المنصوص بعد، (منه).

[5] سبأ (34)، 20.

رحمه الله تعالى: أي: يجوز أن يكون نصب ظنه على أنه مفعول به ل"صدق"، لكونه نوعاً من القول والقول يتعدى بنفسه. انتهى.

أقول: لعله ظن أن ضمير أنه راجع إلى الصدق، وهذا ظن لا يصدق، إذ الصدق ليس نوعاً من القول، بل المرجح الظن كما هو الظاهر المتبادر، إذ الكلام فيه؛ فالمراد بالقول القول النفسي وهو يوصف بالصدق أيضاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **وتخصيص المتنعمين بالتكذيب؛ لأن الداعي المعظم إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها**. انتهى.

أقول: لعل قوله (لم يحظ) بالحاء المهملة والظاء المعجمة وتشديدنا، أي: بمن لم يصر ذا حظ ونصيب من الزخارف والشهوات ولم يحصل له منها حظوظ وافرة ،كما كانت لهم. ومن وهم[2] أنه بالمهملة والتخفيف وقال: أي: بمن لم يحرك من الاستهانة أو لم يمنع من الأنذار بالاستهانة الخطو تحريك الشيء والخطو أيضاً المنع، يقال: ألا تخاف الله تعالى إذ خطوتني حقي أي منعتنه مني. انتهى. فقد وهم وتكلف وتخطى الصواب، كما لا يذهب على ذوي الألباب.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه الله: **سابقين لأنبيائنا** إلخ. وقال المحشّي سعدي جلبي: الأولى مسابقين فالمعاجزة من المسابقة. انتهى.

أقول: لعل الفاضل المرحوم ظن أن تفسير المشترك بالواحد ترك الأولى، والمصنّف جعل هذا إشارة إلى النكتة الأعلى وهي أن المعاجزة لما لم يتصور بالنسبة إليه تعالى تكون للواحد، فلله درّه حيث أفاد، والعجب من الفاضل مع عدم تفوية الدقيقة كيف خفي عليه هذه النكتة اللطيفة.

---

[1] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ (34)، 34].

[2] ورد في هامش أ: الواهم ابن تمجيد رحمه الله المجيد، (منه).

[3] ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [سبأ (34)، 38].

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله خالق الإنس والجن والملائكة، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الذي أرسل إلى كافة البرية، وعلى آله الذين اتبعوه في الأمور الدّينية والدنياوية، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الملائكة: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه**. انتهى. وقال المحشّي سعدي جلبي: الأولى أن يقال لواحد من هذين الأمرين بطرح كلمة كل.

أقول: بل الأولى ما قال المصنّف، إذ النص الشريف وقع بالواو دون أو فكلمة كل مخزة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **من بعد الله أو من بعد الزوال**. وقال أبو السّعود: أي: ما أمسكهما من أحد من بعده، أي: من بعد إمساكه تعالى.

أقول: لعل المولى المذكور اقتفى صاحب الكشاف ولم يتأمل ما فيه من الاعتساف، إلا على نقد الزوال كما يدل عليه السياق، أو ظن أن مراد المصنّف رحمه الله الخلاق بقوله الأول (من بعد الله) تقدير الإمساك؛ مع أن المصنّف رحمة الله تعالى عنى على الانفكاك، أو معناه لا يقدر عليه غير الله تعالى. تأمل تفهم الإحقاق.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الذي أقسم به وقيل ﴿طه﴾ و ﴿يسٓ﴾، والصّلاة على آله أجمعين، وبعد:

---

[1] فاطر (35)، 39.

[2] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَد مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا﴾ [فاطر (35)، 41].

قال تعالى في سورة يس: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **لأنهم ممن علم أنهم لا يؤمنون**.

أقول: لعل مراد المصنّف رحمه الله بقوله هذا الإشارة إلى أن الفاء سببية مفيدة للعلنية، ولما لم يمكن أن يكون عدم الإيمان الحادث علة لثبوت القول الأزلي وجّهه بقوله (علم)، فيكون علم الأزلي المتعلق بالعدم الحادث سبباً وعلة للقول الأزلي، فلا ضير بذا؛ أو يحتمل أن يكون هذا الفاء واصلاً في المسبب، وقوله (لأنهم ممن علم) إلخ. علة لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ الآية[2]، قال المصنّف: **تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم**.

أقول: لعل هذا نشر على خلاف اللف، فقوله (لتصميمهم على الكفر) ناظر إلى قوله (لأنهم ممّن علم) إلخ. والطبع على قلوبهم إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾. ولعل وجه العدول عن ترتيب الوفاق، وإن كان كلاهما من الصنائع البديعية بالاتفاق، الإشارة إلى أن العلة والسبب مقدم في الوجود وإن تأخر في الذكر، وأن المختار عنده هو المذهب المنصور؛ وهو كون الاختيار في يد العباد لا الجبر والصرف ولا الاختيار المحض فليس العبد هو المجبور المعذور، ولا المختار الغير المقهور، بل بين الخلق والكسب فالطبع من الخلق والتصميم من الكسب هذا في مرتبة الأفعال والآثار، وفي الإرادة والمشيئة، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ الآية[4]، ولا يتردد بعد ذلك إلا من لم يكن من الأخيار الأبرار، اللهم اجعلنا منهم واحشرنا معهم، آمين.

قال الله تعالى: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ الآية[5]. قال البيضاوي: **فغطى إبصار** إلخ.

---

[1] يس (36)، 7.

[2] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ [يس (36)، 8].

[3] التكوير (81)، 29.

[4] القصص (28)، 68.

[5] ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس (36)، 9].

أقول: لعله بصيغة المجهول رعاية لأدب الشرع المقبول من عدم إسناد القبيح والنشر إليه تعالى، وإن كان هو خالق جميع الأشياء كما حكى عن الجن بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1] ومثله قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الآية[2]، فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. واعتبر تقدير المضاف وهو الإبصار؛ لأن المغشى والمغطى ظاهر، هي لا غير، لكن في عدم التقدير مبالغة وإشارة إلى أنهم مغشيون من جميع الجوانب أبصاراً وبصائر، فعدم المصايرة إلى التقدير أوفق وأولى، والعلم عند الله المولى.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله خالق الكائنات وجاعل الملائكة الصافات رسل الأنبياء بالبينات، والصّلاة والسّلام عليهم وعلى سيدهم محمّد المبعوث إلى كافة المخلوقات، وعلى آله الذين هم الهداة، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الصافات: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: **وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته** إلخ. وقال مولانا أبو السّعود: أي: أشباههم ونظراؤهم من العصاة، عابد الصنم مع عبدته، وعابد الكوكب مع عبدته إلخ.

أقول: لعله لو ترك قوله (من العصاة) لأصاب؛ لأن المراد بالظلم الشرك بدليل قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4] على ما فسر المصنّف، ورد على الزّمخشري وأشار إلى أن ما أورده غير صحيح السند، كما أفاد ذلك المحشّي سعدي جلبي: لا يقال إن المولى المذكور أراد الرد على المصنّف؛ لأن اللازم ترك قوله (عابد الصنم مع عبدته) إلى قوله (الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة. والجمع بينهما غريب منه إذ قوله (من العصاة) يقتضي تعميم الظلم وقوله (عابد الصنم) إلخ. يخصصه فافهم.

---

[1] الجن (72)، 10.

[2] الفاتحة (1)، 7.

[3] ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات (37)، 22].

[4] تم تصحيح الآية، وقد زيدت كلمة "كان"؛ مريم (19)، 49؛ الفرقان (25)، 17.

ولعل أغرب من ذلك قوله: قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية الكريمة[1]، وأنت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة، جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته، فلا عموم ولا تخصيص. انتهى. ومراده به رد على المصنّف رحمه الله، فكأنه ظن أن المراد ب ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الآية[2]، غير مشركي أهل الكتاب، فلا يكون الموصول في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عاما شاملاً لعيسى وعزير على نبينا وعليهم الصّلاة والسّلام. فلعله فرّ من المطر ووقف تحت الميزاب، إذ يتناول الملائكة لا محالة، ويلزم التخصيص، قال الله تعالى في سورة الأحزاب:[3] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ الآية[4]، وفي هذه السّورة الشريفة: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية[5]، فرحم الله تعالى الفاضل المذكور، صرح في الأولى بأنهم عبدة الملائكة ونسي هنا، وفي الثانية مرة قدم رجلاً وأخر أخرى. فالحق ما قال المصنّف فدخل فيه عيسى ابن مريم والملائكة على نبينا وعليهم الصّلاة والسّلام وخص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ﴾ الآية، فلم يدخلا وطابق الكلام مقتضى الحال والمقام، فافهم تصل المرام.

قال الله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ الآية[6]، قال البيضاوي: **ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضيا لا محيص لهم عنه** إلخ. وقال المحشّي سعدي جلبي: دلالة النظم على أن ضلال الفريقين كان أمرا مقضيا إلخ. غير ظاهرة مع أنه يجر إلى الجبر، كما لا يخفى. وقال في الهامش: ويخالف قوله لأنهم كانوا قوما مختارين الطغيان.

أقول: لعل دلالة النظم الكريم أمراً في غاية الظهور، والجر إلى الجبر لا يختص بهذا بل الجرار، أكثر من أن يحصى عند الأخيار، وكون الجبر المتوسط مما يختار، هو المشهور، ولا مخالفة بين الأقوال، إذ الحق عند ذوي الأحوال، إنا نحن المجبورون في صورة الاختيار. ولعل مراد السلف

---

[1] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء (21)، 101].

[2] الصافات (37)، 22.

[3] هي سورة سبأ وليس الأحزاب وتم تصحيح الآية.

[4] سبأ (34)، 40.

[5] الصافات (37)، 161.

[6] ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات (37)، 31].

رحمهم الله تعالى بقول المتوسط ذلك، لكن خلف من بعدهم خلف أضاعوه وهو كالشمس في وسط النهار وقد سلف من ذلك نبذ ما فتذكر.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **وهو كالحجة على ما قبله**.

أقول: لعله يعني قوله تعالى: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةَ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الآية[2]، وظن المحشّي الشهير بابن تمجيد قوله (قبله) "قلّبه" فتكلف بما هو عن القبول مقلوب، عفا عنا مقلب القلوب.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق العباد ونهيهم عن الفساد والإفساد، والصّلاة والسّلام على حبيبه الهادي إلى الصواب والسداد، وعلى آله الذين هم أصحاب الهدى والرشاد والإرشاد، وبعد:

قال الله تعالى في سورة صاد: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ الآية[3]، قال المحشّي المرحوم سعدي جلبي: **المعلوم عبر هنا عن الاختصام الماضي بصيغة المضارع وعن التخاصم المستقبل بصيغة المضي لاستحضار الحالة الماضية الغريبة هنا دلالة على تحققه هناك**.

أقول: لعل الفاضل المذكور رحمه الله الغفور ظن أن قوله تعالى: ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾[4] أو ﴿لَحَقٌّ﴾ فعل ماضي وليس كذلك، ولم ينقل في رواية ولو ضعيفة، فلا وجه لقوله عن التخاصم المستقبل بصيغة الماضي أصلاً.

---

[1] الصافات (37)، 87.

[2] الصافات (37)، 86.

[3] ص (38)، 69.

[4] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص (38)، 64].

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي يجعل لمن يشاء من العباد أهل النصر والظفر، ويخذل من يشاء فيكون أهل المقت والخسر، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي قال: "نصرت بالرعب مسيرة شهر،"[1] وعلى آله الذين هم هداة كل خير، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **وهي عيون ومجار كائنة فيها، أو مياه نابعات فيها، إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر**.

أقول: لعل قوله (فنصبها على المصدر) ناظر إلى الوجه الثاني إذ في الأول إنما النصب على الظرفية بنزع الخافض بتقدير مصدر موصوف بها مفعول مطلق لفعلها، أي: فسلكه سلكاً في ينابيع فحذف المصدر وأقيم صفة مقامه، هكذا قيل، لكن الأولى كونها منصوبة على الظرفية لفعل سلك بنزع الخافض قصراً للمسافة، والإطلاق والإجمال للاعتماد على فهم الأزكياء في الأعمال. والمحشّي الشهير بابن تمجيد ظن أنه ناظر إلى الوجهين فقال: أي: على أنه مفعول مطلق لفعل مقدر تقديره فسلكه في المجاري ينبع ينبوعاً، أي: نبوعاً، أي: يخرج خروجاً. مع ما فيه من التعسف في التقدير والتصوير والتكلف.

قال الله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ الآية[3]، قال البيضاوي: **جانبه أي في حقه وهو طاعة** إلخ.

أقول: لعل مراد المصنّف بذلك أن كون الجنب بمعنى الجانب على الاستعارة التصريحية لما بين العضو ولازم الشيء وتابعه مشابهة، على ما صرح الإمام الرّازي رحمه الله الباري وبقوله: بعيد؛ وهو كناية فيها مبالغة أن ذكر الجنب بمعنى الجانب وإرادة النفس بقوله (في حقه) وهو طاعة كناية إذ يلزم من التفريط في المكان تفريط في النفس كما ينادى على هذا تشبيهه بقوله: ....في قبة

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التيمم (335)، 74/1؛ صحيح مسلم، كتاب المسجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (3)، 370/1.

[2] الزمر (39)، 21.

[3] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر (39)، 56].

ضربت على ابن الحشرج...[1] فقول المحشّي سعدي جلبي: قلت لكن ح [حينئذ] [2]يكون إطلاق الجنب وإرادة الطاعة من الاستعارة التصريحية، وبعد تسليم صحتها لا يكون من باب الكناية على ما زعم المصنّف. انتهى. ناش من تخليط المراد وعدم تمييزه، فافهم.

ولعل قول المصنّف (وقيل في ذاته على تقدير المضاف) كالطاعة إشارة إلى التمريض والرد على صاحب الكشاف بأنه مع بعده من الإرادة ليس من باب الكناية، بل اعتبار تقدير المضاف من الكفاية، فقول المحشّي المذكور وإنما الكناية إذا أريد به الذات على ما حقق في الكشاف، ليس على ما ينبغي ولا هو شافٍ. وقول المحشّي الشهير بشيخ زاده: (وقيل في ذاته) على أن يجعل جنب الله كناية عن ذات الله أيضاً لا بتقدير في حق ذات الله تعالى، بل بتقدير في ذات طاعة الله تعالى؛ والفرق بين الوجهين أن المضاف مقدر قبل الجنب الذي كني به من الذات في الوجه الأول، وبعده في الثاني[3]. انتهى. فغاية ما فهمت من كلامه أنه رحمه الله في واد والمصنّف في واد، جمع الله تعالى إياهم وإيانا في الجنان بنيل عام المراد من الرضوان.

قال الله تعالى في سورة الواقعة[4]: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ الآية[5]، قال البيضاوي رحمه الله تعالى: **يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر عنه غيره**. انتهى.

أقول: لعل مراده به قدس سره أن الشرب لا ينفك عن الحضور، أما حضور صاحب النوبة وإما نائبه، فلله دره ما أدق نظره حيث أظهر ما في المطاوعة من لزوم الأثر، ومن ذلك قلما يوجد المستفيد، فضلاً عن المفيد، فقول المحشّي الشهير بشيخ زاده رحمه الله: أي: يمنع عنه غيره صاحبه على أن الحضر بمعنى المنع لا بمعنى الحضور، وليس مجيئه بهذا المعنى مذكوراً في الصحاح. انتهى. ليس على ما ينبغي فيا ليت شعري كيف يظن بالمصنّف بعد العلم بمرتبته مثل ذلك. وبعد زمان نلت

---

[1] جزء بيت شعر هو: "إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ" ذكره البيضاوي مثالا لكناية فيها مبالغة. (ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، 46/5).

[2] زادها المحقق.

[3] ورد في هامش أ: على أنّه لا يناسب المقام ولا حلاوة في قوله (في ذات طاعة الله) كما لا يخفى على مَن يفهم، (منه).

[4] الآية في سورة القمر وليست الواقعة.

[5] القمر (54)، 28.

إلى حاشية أفضل الأفاضل سعدي جلبي فحمدت الله حمداً، وكتبت قوله مؤيداً، وهو هذا سديداً، قوله: (أو يحضر عنه غيره)، قيل: أي: يمنع عن ذلك الشرب غير صاحبه، وفيه أن الذي بمعنى المنع إنما هو الحظر بالظاء، ولعله مبني للفاعل، أي: يحضره صاحبه بنفسه أو يحضر غيره نائباً عنه.

قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون**. وقال المحشّي زكريا[2] رحمه الله: أي لا مقطوعون أصلاً ورأساً بزعمهم. انتهى.

أقول: المحدود بالحاء المهملة المحارَف المحروم الذي المبارك والمجدود بالجيم والدال المهملة، يقال فلان جديد ومجدود إذا كان له حظ ونحت. ولعل المحشّي المذكور ظنه بالذال المعجمة ففسره بما فسره.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي بفتح كسر العالم أبدع العالم، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي جعله مفتاح المطول المكسور في العالم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3]، وعلى آله الذين فتحوا البلاد والأمصار، وهم المهاجرون والأنصار.

---

[1] الواقعة (56)، 67.

[2] هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، شيخ الإسلام (823-926هـ/1420-1520): قاض مفسر، من حفاظ الحديث. نشأ وعاش أغلب حياته في مصر، وولي منصب قضاء القضاة. صنف كتبا كثيرة، منها "حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل" (الأعلام للزركي، 46/3).

[3] القتح (48)، 1- 2.

قال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **متعلق بأن تطؤوهم** إلخ. وقال المحشّي سعدي جلبي: بعد التطويل الغير المعتاد، فالأقرب الأصوب تعليقه بتصيبكم أو بمعرة. انتهى.

أقول: لعل أن الإصابة والمعرة لا توصفان بالعلم ولا بعد منه، فلا محالة يرجع عدم العلم إلى المخاطبين متعلقاً بأنفس الرجال والنساء، أو وطئهم والمال واحد، وإنما التغاير في التعبير فقط[2]، فالقول ما قالت حذام[3].

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية[4]، قال البيضاوي: **لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين**. انتهى. وقال المحشّي المذكور: ثم جعل قوله تعالى: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ كناية عن الاختلاط خلاف الظاهر. انتهى.

إذ الظاهر أن مراد المصنّف بقوله (لاختلاطهم بالمشركين) تعليل قوله تعالى ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بذلك بدلا جعله كناية عنه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا﴾ الآية.

قال الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ الآية، قال البيضاوي: **علة لما دل عليه كفّ الأيدي من أهل مكة صوناً لما فيها من المؤمنين، أي: كان ذلك ليدخل الله في رحمته، أي: في توفيقه لزيادة الخير أو للإسلام من رغب فيه من مشركيهم**. وقال الفاضل المرحوم أبو السّعود رحمه الله: وقد جوز أن يكون: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ عبارة عمن رغب في الإسلام من المشركين، ويأباه قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾

---

[1] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح (48)، 25].

[2] في هامش أ: هذا الرمز بملاحظة الوجود كله خير، والعدم كله شر، فالذَنْب المتقدم في لسان الإشارة عدمه صلى الله تعالى عليه وسلم، والمتأخر عدم أفلاك الموجود، فافهم ولا أظنك، (منه).

[3] مثل شعبي تتمه: "إذا قالت حَذام فصدِّقوها ... فإن القول ما قالت حذام" ويقال هذا المثل فيمن نثق في صحة رأيه (ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي،402/2؛ https://www.qssas.com/story/1798 (21.5.2020)).

[4] الفتح (48)، 25.

الآية، فإن فرض التّنزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقيق المباينة بين الفريقين بالإيمان والكفر قبل التّنزيل حتماً. انتهى.

أقول: لعل المولى المذكور أراد الرد على الزّمخشري وظن أن مراده من رغب في الإسلام قبل الصلح، وخدع بلفظ "رغب" على المضي، وليس كذا، بل المراد الراغب الموفق بعد الصلح من بعض المشركين؛ ويدل على هذا لفظ "يدخل" ولا يقدح التعبير بلفظ الماضي، إذ من الشرطية تقلب الماضي إلى المستقبل، وإن كان هذا التعيين لا ينم عن الخدش ظاهراً. ولعل ذلك وجه عدول المصنّف رحمه الله عن عبارة الزّمخشري، ولا محالة أن المقام يأبى عن إرادة المضي، وإن المريد مردود بلا مرية؛ ويؤيد ما قلت بل يدل عليه قول المحشّي الفاضل المرحوم سعدي جلبي حيث قال: فإن قيل كيف يعقل على هذا صحة كون قوله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ الآية، علة لكف الأيدي عن أهل مكة لصون ما فيها من المؤمنين، والقول بأنهم لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله تعالى حيث كف أيدي المسلمين عنهم بعد أن غلبوا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين، رغبوا في مثل هذا الدّين، لا وجه له؛ فمن أين لهم العلم بما ذكره وهم جاحدون منكرون؟ قلنا: اللام مستعارة عن معنى التعليل، فإنه لما ترتب على الكف للصون توفيق الله تعالى بعض المشركين للإسلام، شبه ذلك بالعلة الغائية واستعملت فيه اللام، فلله دره نعم ما حقق.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله خالق الكائنات، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي جعل الذين ينادونه من وراء الحجرات، غير العقلاء، وعلى آله الذين هم الهداة إلى الدرجات، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ الآية[1]، وقال المحشّي سعدي جلبي: **وقال أبو حيان: أثبت أصحابنا في معاني (من) أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد، وأن الشيء الواحد يكون محلا لهما؛ وقالوا: من ذلك قولهم: أخذت الدرهم من زيد، فزيد محل لابتداء الأخذ منه وانتهائها معا. قلت: بل محل الانتهاء هو المتكلم ليس إلا هو.**

[1] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات (49)، 4].

أقول: وبالله التوفيق وبيد قدرته أزمّة التحقيق، لعل قولهم بملاحظة النسبة المفعولية فقط، وقوله بملاحظة النسبة الفاعلية، فالنزاع لفظي؛ وليت شعري كيف خفي على المحشّي المذكور رحمه ربه الغفور.

قال الله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **بفصل ما بينهما على ما حكم الله تعالى، وتقييد الإصلاح بالعدل ههنا مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة.** وقال المحشّي الشهير بابن تمجيد رحمه الله: على كون الثاني مظنة الحيف بوقوعه بعد المقاتلة، وفيه نظر؛ لأن الأول مظنة الحيف أيضاً بهذا المعنى لأنه متفرع على قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ والاقتتال لا ينم عن حيف وظلم إلخ.

أقول: أطنب وأطال وتركته خوف الملال، فكأنه لم يصل إلى المراد من المقاتلة؛ فلذا أورد المقاولة، والحق أن المراد مقاتلة الحكام المأمورين بالإصلاح، وفي الأول مقاتلة إحدى الطائفتين بالأخرى. فافهم الأولى والأحرى والعلم عند الله المولى.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

وقال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **لما كانت السّورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرنا بالرحمن.**

أقول: فإن قيل: إن في هذه السّورة الشريفة آيات متعلقة بالجلال والغضب والنقمة، فكيف يستقيم ادعاء القصر على النعم؟ أجيب؛ أولاً: بأن النقمة والغضب في محل نعمة أيضاً في حق المغضوب عليهم، فإنه تربية وتأديب على ما ينبئ اشتقاق العذاب، ولو إشارة، وقد أيد بميل من[3] مال إلى قوله العرفاء وفي حق الغير أيضاً، فإن التمييز بين المطيع والعاصي آلاء ونعم في مظاهرنا على ما

---

[1] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات (49)، 9].

[2] الرحمن (55)، 1- 2.

[3] ورد في هامش أ: أعني شيخ الشيوخ الشيخ الأكبر قُدّس سرّه الأذفر.

يصرح بعيد هذا. وثانياً: بأن المقصود بقوله هذا توجيه تخصيص البدء بهذا الاسم الشريف دون سواه من الأسماء العليا، فيكفى فيه القصر الإضافي، بمعنى أن السّورة الشريفة مقصورة على كلتا النعمتين لا على أحديهما فقط، فابتدأ باسم شامل لهما. ويمكن تأييد الثاني بما يشعره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[1] أن في ذلك الاسم نوع من جلال، لا سيما وقد قالوا كل شيء فيه كل شيء، فافهم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي بيده الملك، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي قال: "بعثت والساعة الحاقة كهاتين" وأشار إلى المسبحة والوسطى مضمومتين،[2] وعلى آله الذين هم أهل الحق والحقيقة، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الملك: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ الآية[3]، قال البيضاوي رحمه الله: **جملة واقعة موقع المفعول ثانياً لفعل البلوى المتضمن معنى العلم، وليس هذا من باب التعليق؛ لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً فلا يعلق الفعل عنها** إلخ. وقال المحشّي سعي جلبي رحمه الله: قوله (وهذا ليس من باب التعليق) يخالف لما تقدم في سورة هود وقد ذكر هناك وجه التعليق. انتهى.

أقول: لعل الخلاف عين الوفاق؛ لأن المصنّف رحمه الله أشار ههنا إلى مختار الجمهور من عدم التعليق في مثل ما يصدر المفعول الثاني بأي، وهناك إلى مختار الفراء[4] والزجاج[5] فحصل التوفيق ونعم التحقيق.

---

[1] مريم (19)، 45.

[2] الحديث أخرجه أحمد والبخاري بختلاف يسير في الصيغة، ينظر: مسند أحمد، (22862)، 507/37؛ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [النبأ (78)، 18] (4936)، 166/6.

[3] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك (67)، 2].

[4] هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء (144-207هـ/761-822م): عالم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، يوصف بإمام الكوفيين (الأعلام للزركلي، 145/8).

[5] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (241-311هـ/855-923م): عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد (الأعلام للزركلي، 40/1).

وقال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **وفي الجو على خلاف الطبع**. وقال المحشّي سعدي جلبي: يعني الطبع الذي خلقهن عليه ووضع فيهن، فلا نزوع فيه إلى قول أهل الطبيعة. انتهى.

أقول: فعلى هذا ليت علمي كيف يتصور الإمساك على خلافه، وليس الإمساك إلا بما خلقن عليه، ويدل عليه قول المصنّف بعيد بأن خلقهن على أشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء، فافهم.

قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ الآية[2].

أقول: بلسان الإشارة أن الاسم "الله" الجامع حاو لذته الجلال والجمال، وأنا ومن معي بوجه الخصوصية مظهر له بسر الخلافة، إن أهلكنا بمقتضى[3] عن الأول، وأن الإيمان والأعمال غير موجبة؛ وأن النجاة والخلاص مقتضى الفضل والإفضال على أنا بمقتضى البشرية لا ننم بالكلية عن آثارها، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ الآية[4]، فمن أين يتصور الإجارة والخلاص للكافرين منطفية فيها الآثار الجمالية، لا ترفع طرفة عين بشوم عينهم الخارجية أو رحمنا بمقتضى الثانية[5]، وأن الإيمان والأعمال منجية بمقتضى وعد الله ذي الأفضال؛ فكيف السّلامة عن فقدها من رأسها. فعلم وجه أن الشكيّة دون إذا التحقيقية وفيه إشعار بأن اللائق أن يداوى غلبة الخوف بالرجاء، وبالعكس العكس[6]. ولا تغفل عن إيماء إلى أنه صلّى الله عليه وسلم لولاه لم يفتح الموجودات الساترة للواحد الحقيقي عينا من الكمون، فافهم لعله يدخل في عينك.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الآية[7]، تلويح إلى أنّا بوجه العموم أقررنا بالرحمن في عالم الذر والميثاق، وعليه توكلنا بالاتفاق فليس الضلال المبين إلا بالنزل إلى الكثرة والنسيان. اللهم

---

[1] الملك (67)، 19.

[2] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك (67)، 28].

[3] ورد في هامش أ: أعني سترته الجلال، (منه).

[4] عبس (80)، 23.

[5] ورد في هامش أ: أعني سترته الجمال، (منه).

[6] ورد في هامش أ: أي في هذا القول على هذا التقدير، (منه).

[7] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك (67)، 29].

ارزقنا إليك الوصول بأحسن الحصول ولا يخلو التوصيف عن إبانة أن نفس النّزل ضلال وتحير، وإنما القادح المبين، فأولنا وتحير. اللهم زدنا فيك التحير.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية[1]، بهذا اللسان أيضاً إشارة إلى أن ماء الفيض الواصل بواسطة أم الأشياء وممدّ الأسفل والأعلى صلّى الله عليه وسلم في الآخرة، والأولى إن غار فمن يأتيكم بماء خلق جديد معين، وهو تعالى في كل آن وحين معين، اللهم منك المدد بلا عدد.

قال الله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **أي: الساعة أو الحالّة التي يحق فيها الأمور، أي: يعرق حقيقتها أو يقع فيها حواقّ الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي**. انتهى. وقال المحشّي سعدي جلبي: أي: الزمان في الوجهين، قال صاحب الكشف على الوجه الأخير يحتمل الإسناد المجازي؛ لأن الثبوت والوجوب لما فيها، ويحتمل أن يراد ذو الحاقة من باب تسمية الشيء باسم ما يلابسه إن ذا الحاقة حقيقة هو الله تعالى، وإطلاقه على الساعة للملابسة إلخ.

أقول: لعل مراد صاحب الكشف به أن الحقيقة الوجوبية الثبوتية وصف الأمور الحالّة في الساعة، والساعة ذاتها لا نفسها، لكن أطلق هذا الوصف على الساعة باعتبار ملابسة الحالّ المحل وبالعكس إذ الكلام فيه لا في وصف الصاحبية حتى يقال ما قيل. ثم قال في الهامش: فإنه تعالى مالك يوم الدّين، فأشعر أن يكون المراد من الحاقة يوم الدّين وليس كذا، بل عبارة عن الأمور الواقعة فيه من الحساب والجزاء وغير ذلك؛ فيا ليت شعري لو سئل الفاضل المرحوم بأنه إذا كان المراد من بالحاقة يوم الدّين فماذا الحاقة على المجاز بم أجاب، فالقول ما قالت حذام وهو الصواب.

---

[1] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك (67)، 30].

[2] الحاقة (69)، 1.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله مالك يوم الدّين والغاشية، وخالق الفجر والليالي والشفع والوتر، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي جعل نور الظلمة والغاشية والغمة، وعلى آله الذين هم هداة النجاة من الضلالة، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الغاشية: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي: **ويؤيد الأول أنه قرئ "ألا" على التنبيه**. وقال المحشّي شيخ زاده: ومن على هذه القراءة شرطية، والجواب قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ بتقدير: فإنه يعذبه، ولابد من هذا التقدير؛ لأنه لو كان الجواب الفعل الذي بعد الفاء لقيل فيعذبْه بالجزم، وكذا في الفريد. انتهى.

أقول: لعل اللزوم بهذه العلة غير لازم؛ لان المعلوم أن فعل الشرط إذا كان ماضياً والجواب مضارعاً يجوز في الجواب الوجهان، ويمكن ترجيح الرفع بهذا النص؛ لأن الأصل عدم التقدير، بل الوجه الوجيه تعليل اللزوم بدخول الفاء في الجواب؛ لأنه من القاعدة المقررة في النحو أن الفاء لا يدخل في الجواب، إلا إذا كان ممنوعاً من ظهور الجزم بكونه نهياً أو جملة إسمية، أو ماضياً صريحاً، أو دعاء، فتأمل تفهم.

وقال الله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي: **أقسم بالصبح أو فلقه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾**[3] إلخ. وقال المحشّي سعدي جلبي في تفسير قوله (أو فلقه): أي: عوده وإضاءته.

أقول: لعل الفاضل المرحوم جعل الفلق متحرك العين بمعنى الأمر الحاصل بالمصدر وخص التمثيل به، والأولى سكون العين مصدراً بمعنى الشق وكون التمثيل الأول فقط[4]، ويدل على ما قلنا أن صاحب الكشاف ومولانا أبو السّعود رحمهما الله لم يتعرض للثاني والتمثيل مورد.

---

[1] الغاشية (88)، 23- 24.

[2] الفجر (89)، 1.

[3] التكوير (81)، 18.

[4] ورد في هامش أ: وجه الأولوية إفادة الترويد، ولكن تأخير التمثيل لا عن الإشعار بما قال المحشى ،كما لايخفى، (منه).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **أين منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله، واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة، فإن هذا التذكير توبة.**

أقول: لعل مبنى هذا الكلام الاستدلال على أن الأدلة لا تفرق بين الدارين. وما قال الفاضل أبو السّعود رحمه الله من أن تذكّره ليس من التوبة في شيء، فإنه عالم بأنهما إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُ﴾ الآية[2]، انتهى. ليس على ما ينبغي، إذ لا يلزم من كون التوبة في غير أوانها إلا انتفاء جدواه، لا نفسها، وكون التذكير توبة مما لا يحتمل الإنكار كما لا يذهب[3] على الأخيار.

قال الله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ الآية[4]، قال البيضاوي رحمه الله: **أي: لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة، وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المجبور عن الشيء قد يتمنى إن كان ممكّناً منه.** انتهى.

أقول: لعل كلامه هذا رد لما ذهب إليه الزّمخشري حيث قال: هذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقاً بقصدهم وإرادتهم، وإنهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع، وإلا فمعنى التحسر. انتهى. على طريق المناقضة حيث منع قوله (وإلا فما معنى التحسر) بقوله: فإن المحجور عن الشيء إلخ. فإذا جاز تمني المحجور فتمني المختار الغير المستقل أولى وأفيد، فسبحان الله كيف تعصب صاحب الكشاف[5] وافترى على أهل السنة والجماعة وسماهم باسمه، فحاشاهم من الأهواء والبدع والرضاء بالجبر؛ وهم يثبتون الاختيار في الصورة والظاهر، والكبار منهم مشاهدون الأمور بالمعاينة، فليس نزاع المعتزلي معهم إلا مثل نزاع الأعمى مع البصير. وهذا المثل مناسب للمقام جداً، إن العميان وجدوا درهما فاشتهى كل منهم اشتراء شيء، فوقع منهم الخصام والجدال ففاجأهم عالم بصير فسألهم عن باعث الغوغاء، فقال واحد: أريد اشتراء العنب به، والآخر قال: أريد أنكور، والآخر: أريد أوزم.[6] فقال: أعطوا الدرهم إلي فاشترى

---

[1] ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الفجر (89)، 23].

[2] ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر (89)، 24].

[3] في أ – كما لا يذهب، صح هامش.

[4] الفجر (89)، 24.

[5] أ – صاحب الكشاف، (مكتوبة بين الأسطر، وهو منه).

[6] ورد في هامش أ: فعبر واحد عن مراده بالعربي، والثاني بالفارسي، والآخر بالتركي.

العنب وجاء به فمس الكل وفرحوا بنيل المراد؛ فأهل الاعتزال لو علموا عَماهم وسلموا القوس لباريهم لوصلوا إلى حقيقة الحال.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي أقسم بالتين، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي أرسله بالكتاب المبين، وعلى آله الذين هم أسوة أهل الدّين، وبعد:

قال الله تعالى في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى**. انتهى.

أقول: فعمم متعلق أعمى ليناسب بقرينيه في العموم، فيكون وجه الحذف المتعلق التعميم. وقال في مقابله وهو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾[2] بما أمر به فعمم أيضاً لما قلت آنفاً. وقال أبو السّعود رحمه الله تعالى: أي: فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التي نهى عنها، وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان. ورد على المصنّف رحمه الله وقال تفسير الأول بإعطاء الطاعة، والثاني بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾[3] انتهى.

أقول: فعلّ كونه خلاف الظاهر خلاف الظاهر، وبعد التسليم فأخرج الكلام على خلاف الظاهر إذا كان لنكتة نوع من البلاغة، وأن الإيباء المذكور إنما يكون على تقدير عدم دخول إعطاء حقوق المال في الطاعة، ودخوله أبين وأغنى من البيان؛ لأن الطاعة تتناول القلبية والبدنية والمالية، وكذا البخل بالمال يدخل في البخل بالمأمور به.[4] وفي هذ التّفسير نكات؛ منها ما سبق آنفاً، ومنها

---

[1] الليل (92)، 5- 6.

[2] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل (92)، 8].

[3] الليل (92)، 11.

[4] ورد في هامش أ: ويدلّ على الاستقلال التنزّل في الأدنى في ذلك من الإعطاء والبخل إلى الأعلى في التصديق والتكذيب، فافهم، (منه).

الإشارة إلى أن السعادة والشقاوة مركوز مجملة في الإنسان، فيظهر التفصيل في الأعمار بالأعمال، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. ومنها أن كلا من الثلاثة مستقل في استلزام التيسير لليسرى والعسرى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى**. انتهى. وقال أبو السّعود رحمه الله: أي: زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه، فلم يتقه أو استغنى إلخ.

أقول: لعل وجه ترك المصنّف رحمه الله الشرح الأول كون الاستغناء عنه فيه غير صريح، بل على سبيل التشبيه بخلاف الشق الثاني المختار.

قال الله تعالى في سورة والتين: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ الآية[2]، قال البيضاوي رحمه الله: **أي الآمن من أَمِنَ الرجل أمانة فهو أمين**. انتهى. وقال المحشّي سعدي جلبي رحمه الله: فيه أنه لا يجيء الآمن من أُمن بضم الميم، بل يقال أمين وأمّان ككريم وكرّام. انتهى.

أقول: لعل مراد المصنّف رحمه الله الإشعار بأن الأمين هنا إما بمعنى الفاعل أو المفعول، لا تجويز مجيء الأمن من المضموم، وقد صرح بقوله (من أمن الرجل أمانة فهو أمين) أنه منه أمين، فافهم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي آلف قريشاً رحلة الشتاء والصيف، وتب على بعض منهم بالختم والطبع كافراً مقتولاً بالسيف، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي اجتباه واصطفاه من الكل، واختاره على الكل بالسيادة واللطف والشرف، وعلى آله الذين اتبعوه في القول والفعل والسيف، وبعد:

---

[1] الليل (92)، 8.

[2] التين (95)، 3.

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ الآية[1]، قال البيضاوي رحمه الله: **متعلق بقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾[2] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط، إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل.**

أقول: لعل هذا جواباً عن سؤال مقدر ناشئ عن قوله (متعلق) إلخ. تقديره كيف يتعلق به، والحال أنه يلزم في الظاهر توسط الفاء بين العامل والمعمول، ولا وجه له وإن أوّل وروعي تقدم العامل وأعطى حقه لزم وقوع الفاء في الابتداء، فلله دره حيث تقصّى عن الإشكالين بأوجز كلام؛ فافهم القصور في كلام المحشّيين[3] لما ورد أن يقال إذا كانت اللام متعلقة بقوله: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ لزم توسط فاء التعقيب من العامل والمعمول ولا وجه له. انتهى الأول. فورد عليه أنه يكفي في دفع هذا أن يقال العامل مقدّم وإن قدم المعمول اعتناء بشأنه لكونه مرغباً للعبادة. وقال الثاني: فورد عليه أن هذا إنما يرد بعد تعليل التقديم، فحق الأداء ما قدمنا كما لا يخفى للأذكياء.

قال الله تعالى: ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ الآية[4]، قال المحشّي الفاضل سعدي جلبي رحمه الله: **في كون من للتعليل الجوع لا يجامع الإطعام.** انتهى.

أقول: لعل هذا إنما نشأ عن الذهول عن قولهم قعدت عن الحرب جنباً على أنه لا لزوم مجامعة العلة مع المعلول، إنما يكفي الترتب فقط، فلاحظ الضرب للتأديب.

قال الله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ الآية[5]، قال البيضاوي رحمه الله: **يعني حطب جهنم، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعادات الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم وتحمل زوجها على إيذائه، أو النميمة، فإنها توقد نار الخصومة، أو حزمة الشوك والخسك كانت تحملها وتنشرها بالليل في طريق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم.**

أقول: لعل المراد في الوجه الأول استعارة الحطب للأوزار والآثام، وفي الثاني للنميمة.

---

[1] قريش (106)، 1- 2.

[2] قريش (106)، 3.

[3] ورد في هامش أ: أعني شيخ زادة وابن تمجيد رحمهما الله، (منه).

[4] قريش (106)، 4.

[5] المسد (111)، 4.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1] قال المصنّف رحمه الله: **أي: مما مسّد، أي: فتل ومنه رجل ممسود الخلق، أي: مجدوله وهو ترشيح للمجاز**. انتهى.

لعل هذا مصروف إلى الوجهين الأولين؛ لأن هذا ملائم للحط المستعار منه، وقوله (أو تصوير لها) إلى الثالث، وفيه أيضاً مجاز؛ لأن حزمة الشوك والخسك ليست الحطب بعينه، وهذه الثالثة على تقدير أن يكون قوله تعالى هذا مسوقاً لبيان حال المرأة الدنياوية. وقوله (أو بيان لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم) إلخ. على تقدير أن يكون مساق الآية الشريفة بيان حالها الأخروية. هذا فلا وجه لقول من[2] استشكل قول المصنّف (تحمل الأوزار) وحمل الوجه الرابع عليه، والعلم عند الله العليم. وقال الفاضل شيخ زاده: قوله (أو بيان لحالها) عطف على قوله (تحقير لشأنها)، أي: ويجوز أن يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطّابة بيان أن حالها في نار جهنم يكون على نحو ما كانت عليها في الدنيا، جزاء وفاقاً لعملها، فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم، ونحوه في جيدها سلسلة من النار ،كما أنها في الدنيا على الصورة. انتهى.

أقول: لعل المرحوم المذكور اغترّ بما في بعض النسخ من قوله (أو بياناً بالألف) وليس على ما ينبغي؛ إذ الوجهان الأولان على المجاز، والثالث قريب منه. وقوله (أو بيان لحالها في نار جهنم) إلخ. قسيم الثلاثة محمول على الحقيقة، غير أنه في الآخرة، والله تعالى أعلم بالحقيقة؛ ويؤيد ما قلنا كلام الزّمخشري، فإنه بعد أن قال: وإنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطّابون، تخسيساً لحالها وتحقراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات إلخ. ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم إلخ. فتبين القسمية، فلا يكون قسيم الشيء قسماً منه، فتنبه.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3].

فلعل أنه تعالى أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة، فمن فهمها فهم ما وراءها، وهو قوله: ﴿قُلْ

---

[1] المسد (111)، 5.

[2] ورد في هامش أ: أعني المحشى الفاضل سعدي جلبي رحمه الله، (منه).

[3] الإخلاص (112)، 1- 4.

هُوَ﴾ فتم به المراد لأخصّ الخواص، ومن ذا قد حقق أن الكتب المنزلة مجموعة في القرآن الكريم، وهو من هو؛ فاعرف واخرج من البين تدخل الزين. وقل على الدوام هو مع هو، له، وبه، وفيه، ومنه، وإليه، وهو منزّه عن كل حرف ولفظ، وعبارة فاترك العبارة تفهم الإشارة.

ثم زاد بياناً للخواص، فقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم زاد للأولياء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ثم زاد بياناً للخلق، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، اللهم إني أعوذ برضائك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، وأعوذ بوجهك الكريم.

روي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "أتحب يا جبير إذا خرجت في سفر أن تكون من أمثل أصحابك هيئة، وأكثرهم زاداً؟" فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي، قال: "اقرأ هذه السور الخمس: "قل يا أيها الكافرون"، و"إذا جاء نصر الله والفتح"، و"قل هو الله أحد"، و"قل أعوذ برب الفلق، و"قل أعوذ برب النّاس"، وافتح كل سورة ب"بسم الله الرحمن الرحيم"، واختم قراءتك ب"بسم الله الرحمن الرحيم"،" قال جبير رضي الله عنه: وكنت غنياً كثير المال، فمكثت أخرج في السفر، فأكون من أبذّهم هيبة، وأقلهم زادا، فما زلت منذ علمنيهنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم، وقرأتهن، أكون من أحسنهم هيئة، وأكثرهم زاداً حتى أرجع من سفري،[1] رواه أبو يعلى.

فيا ولدي دم على الطهارة يوسع عليك الرزق ما دمت في الحضر، واقرأ هذه السور ما دمت في السفر؛ ترزق من حيث لا تحتسب بلا كدر. وإن ترقيت وفهمت سر قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] علمت أنك تسافر مع الأنفاس، فدوام الطهارة والقراءة؛ يحصل لك من الإياس عما في أيدي الأناس، ممدوداً مرزوقاً من الرزاق رب النّاس.

فالحمد لله الذي تصير إليه الأمور، وهو الغفور الشكور، والصّلاة والسّلام على حبيبه الذي قال في شأنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

---

[1] مسند أبي يعلى الموصلي، (7419)، 414/13.

[2] ق (50)، 15.

[3] التوبة (9)، 128- 129.

قد تم المقابلة والكتابة بعناية الملك المنان من مسودة المصنّف، أعني به شيخ الشيوخ عمر الأسكوبي الناصح بجامع آيا صوفيا الكبير يمحمية قسطنطينية، الشّيخ بزاوية ترجمان بقرب جامع سلطان سليم خان، لسنة إحدى وثلاثين وألف في جمادى الآخرة.

## الخاتمة

تمثّل الحواشي منهج تأليف سار عليه كثير من العلماء والمحقّقين الذين كتبوا في العلوم الإسلامية، وهي عبارة عن شرح مضمون الكتاب وتفكيك الغامض منه، أو دراسته مع النقد العلمي له. ومن الكتب التي كثر اهتمام العلماء بالدراسة والتحشية والتعليق عليها؛ تفسير البيضاوي المسمى "أنوار التّنزيل وأسرار التأويل". وهذا الكتاب "فتح الغطاء عن وجه العذراء" لعمر بن محمّد الأسكوبي يندرج تحت هذا النوع من التأليف، وهو إلى ذلك دراسة ونقد على تعليقات لبعض أهم الحواشي على نفسير البيضاوي مثل حاشية سعدي جلبي، وحاشية شيخ زاده، وحاشية ابن التّمجيد، وغيرها.

فأهمّ ما توصّلت إليه في هذا البحث سواء أكان بما يتعلق بحياة المؤلّف وعلمه، أو بما يتعلّق بمنهجه في التّفسير ونقده العلمي من خلال كتابه المذكور؛ يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- ❖ عمر بن محمّد الأسكوبي من أبرز العلماء العثمانيين في عصره. برع في علم التّفسير وعلم الحديث.
- ❖ تولّى مناصب مهمة في مجالات العلم والدعوة، حيث عمل واعظا في آيا صوفيا إلى أن توفّي.
- ❖ لعب دورا إيجابيا في المجتمع وشارك في أحداث مهمّة مثل مشاركته مع السلطان محمّد الثالث في حملة أكري (Eğri).
- ❖ ترك ثروة علمية قيّمة متمثّلة في مؤلّفات تستحق الدراسة والاستفادة منها، وأبرزها في التّفسير والتصوّف.
- ❖ أُدمجت كتاباته الأخرى في التّفسير-التي توصّلت إليها- في كتابه فتح الغطاء.
- ❖ نقل واستفاد في كتابه من علماء كثر، أمثال الزّمخشري، والرّازي، وأبي السّعود والمحشّين المذكورين.
- ❖ حاول الجمع بين علم الظاهر والباطن كما يسمّيهما.
- ❖ ينتمي إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ويدافع عنها، وإلى المذهب الحنفي، كما ينتسب إلى الطريقة الخلوتية الصوفية.

- ❖ يتميّز أسلوبه بالنقد العلمي وبالموضوعية، كما يمكن وصفه في الردّ على المخالفين بالشدّة وقوّة العبارة.
- ❖ جمع في تفسيره بين الرواية والدراية ويميل إلى المأثور في ترجيحاته عند التعارض.
- ❖ يلاحظ في كتابه شيء من التّفسير الإشاري وبعض المصطلحات الصوفية.
- ❖ نقد كل المذكورين آنفا وغيرهم في مسائل تفسيرية ولغوية وكلامية، مركّزا على المحشّين.
- ❖ غلبت في كتابه المسائل الكلامية واللغوية.
- ❖ لا يتطرّق في كتابه إلى المسائل الفقهية إلا نادرا دون ذكر خلافات المذاهب فيها.

## قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م.
- ابن حبان، محمّد، صحيح ابن حبّان بترتيب الأمير علاء الدّين الفارسي، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دون رقم الطّبعة، مصر: دار المعارف، 1372هـ/1952م.
- ابن سعد، محمّد، الطّبقات الكبرى، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ/1990م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنّهاية، تحقيق: علي شيري، الطّبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، 1408هـ/1988م.
- ـــــــــــ، طبقات الشّافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الطّبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004م.
- أبو السّعود، محمّد بن محمّد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دون رقم الطّبعة، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، دون تاريخ النّشر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤط، الطّبعة الأولى، دمشق: دار الرّسالة العالمية، 1430هـ/2009م.
- أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الطّبعة الثّانية، دمشق: دار المأمون للتّراث، 1410هـ/1989م.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، الطّبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1421هـ/2001م.
- أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دون رقم الطّبعة، دون مكان النّشر، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

❖ الأدنه وي، أحمد بن محمّد، طبقات المفسّرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطّبعة الأولى، السّعودية: مكتبة العلوم والحكم، 1417هـ/1997م.

❖ الأسكوبي، عمر بن محمد، كتاب آداب الطريقة، مكتبة جامعة إسطنبول، تحت رقم 2808 A.

❖ _____، الحجّة النّيرة في بيان الطّريقة المنيرة، جامعة إسطنبول، (3808).

❖ _____، فتح الغطاء عن وجه العذراء، نسخة جامعة إسطنبول، (A2134 – 616).

❖ _____، بيان أقوال تفسير القاضي في آيات الموازين، مخطوط، المكتبة السليمانية، Yazma Bağışlar، تحت رقم 1965.

❖ _____، تعليق على تفسير قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج، مخطوط، المكتبة السليمانية، SEREZ 3880.

❖ الإسنوي، عبد الرّحيم بن الحسن، طبقات الشّافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.

❖ البخاري، محمّد بن إسماعيل، التّاريخ الكبير، تحقيق: هاشم النّدوي وآخرون، دون رقم الطّبعة، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، دون تاريخ النّشر.

❖ _____، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر الناصر، الطّبعة الأولى، دار طوق النّجاة، 1422هـ.

❖ البغدادي، إسماعيل بن محمّد، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، الطّبعة الأولى، إسطنبول: مؤسسة التّاريخ العربي، 1951م.

❖ البغوي، الحسين بن مسعود، مصابيح السّنّة، تحقيق: يوسف عبد الرّحمن المرعشلي، محمّد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذّهبي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1407هـ/1987م.

❖ ـــــــــــ، معالم التّنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمّد عبد الله النّمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الطّبعة الرابعة، الرّياض: دار الطّيبة للنّشر والتّوزيع، 1417هـ/1997م.

❖ البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل ، تحقيق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي الطّبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، 1418هـ/1998م.

❖ ـــــــــــ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تحقيق: محمّد صبحي حلّاق، محمود أحمد الأطرش، الطّبعة الأولى، دمشق-بيروت: دار الرّشيد، 1421هـ/2000م.

❖ التّرمذي، محمّد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م.

❖ التّستري، سهل بن عبد الله، تفسير التّستري، جمع أبو بكر محمّد البلدي، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1423هـ.

❖ الثّعلبي، أحمد بن محمّد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: صلاح باعثمان وحسن الغزالي وزيد مهارش وأمين باشة، الطّبعة الأولى، جدّة: دار التّفسير، 1436هـ/2015م.

❖ ـــــــــــ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: علي بن عاشور، الطّبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422هـ/2002م.

❖ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمّد شرف الدّين يالتقايا، دون رقم الطّبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1941م.

❖ الحاكم، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصّحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م.

❖ خاروف، محمّد فهد، التّسهيل لقراءات التّنزيل، الطّبعة الثّالثة، دمشق: دار البيروتي، 1433هـ/2012م.

❖ الدّارمي، عبد الله بن عبد الرّحمن، مسند الدّارمي لمعروف بسنن الدّارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، الطّبعة الأولى، المملكة العربية السّعودية: دار المغني للنّشر والتّوزيع، 1412هـ/2000م.

❖ الدّاوودي، محمّد بن علي، طبقات المفسّرين، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

❖ الدّولابي، محمّد بن أحمد، الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمّد الفاريابي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، 1421هـ/2000م.

❖ الذّهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النّبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم القرقوسي، الطّبعة الحادية عشرة، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1996م.

❖ الذّهبي، محمّد حسين، التّفسير والمفسّرون، الطّبعة الأولى، القاهرة: دار الحديث، 1433هـ/2012م.

❖ الرّازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، 1401هـ/1981م.

❖ الزّرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطّبعة الثّالثة، بيروت: دار المعرفة، 1426هـ/2004م.

❖ الزّركشي، محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، بيروت: دار التّراث، 1957م.

❖ الزّركلي، خير الدّين بن محمود، الأعلام، الطّبعة الخامسة عشر، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

❖ الزّمخشري، محمود بن عمرو، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل = تفسير الزّمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيخا، الطّبعة الثّالثة، بيروت: دار المعرفة، 1430هـ/2009م.

❖ السّبكي، عبد الوهّاب بن تقي الدّين، طبقات الشّافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمّد الطّناحي، عبد الفتّاح محمّد الحلو، الطّبعة الثّانية، مصر: هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1413هـ/1992م.

❖ السّيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطّبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرّسالة ناشرون، 1434هـ/2013م.

❖ ـــــــــــ، الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دون رقم الطّبعة، بيروت: دار الفكر، 1433هـ/2011م.

❖ ـــــــــــ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م.

❖ الصّنعاني، أبو بكر عبدالرّزاق، المصنّف، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، الطّبعة الأولى، جنوب أفريقيا: المجلس العلمي، 1970م.

❖ طاشْكُبْري زَادَهْ، أحمد بن مصطفى، الشّقائق النّعمانية في علماء الدّولة العثمانية، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، 1395هـ/1795م.

❖ الطّبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الطّبعة الأولى، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ/1995م.

❖ الطّبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطّبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، الطّبعة الأولى، القاهرة: دار هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، 1422هـ/2001م.

❖ الطّحاوي، أحمد بن محمّد، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطّبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1415هـ/1994م.

❖ الطّيّار، مساعد بن سليمان، التّحرير في أصول التّفسير، الطّبعة الثّانية، المملكة العربية السّعودية: مركز الدّراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1438هـ/2017م.

❖ الطّيبي، الحسين بن عبد الله، شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح المسمّى بالكاشف عن حقائق السّنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطّبعة الأولى، مكّة المكرّمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ/1997م.

❖ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمّد فؤاد عبد الباقي، محبّ الدّين الخطيب، الطّبعة الأولى، القاهرة: المطبعة السلفيّة ومكتبتها، دون تاريخ النّشر.

❖ علي، يوسف أحمد، البيضاوي ومنهجه في التّفسير، مكّة: جامعة أمّ القرى، دون تاريخ النشر.

❖ عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمّد شلتوت، دون رقم الطّبعة، جدّة: طباعة خاصّة السّيد حبيب محمود أحمد، 1399هـ.

❖ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، دون مكان النّشر، دار ومكتبة الهلال، دون تاريخ النّشر.

❖ القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطّبعة الثّانية، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م.

❖ الكبرى، أحمد بن عمر، التّأويلات النّجمية في التّفسير الإشاري الصّوفي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م.

❖ مالك بن أنس، الموطّأ، تحقيق: محمّد مصطفى الأعظمي، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: مؤسّسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ/2004م.

❖ المتّقي، علاء الدّين علي بن حسام الدّين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السّقا، الطّبعة الأولى، دون مكان النّشر، مؤسّسة الرّسالة، 1401هـ/1981م.

❖ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسّسة آل بيت، الفهرس الشّامل للتّراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن مخطوطات التّفسير وعلومه، عمان: المجمع الملكي، 1989م،

❖ مسلم بن الحجّاج، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، 1412هـ/1991م.

❖ Adıvar, Adnan, *Osmanlı Türklerinde İlim*, 4. Basım, İstanbul: Remzi Kitabevi, 1991.

❖ Atâî, Nev'izâde, *Hadâikü'l-Hakâik fi Tekmileti'ş-Şakâik*, 1. Basım, İstanbul: Türkiye Yazma Eserler Kurumu Başkanlığı yay., 2017.

❖ Ayverdi, Samiha, *Türk Tarihinde Osmanlı Asırları*, İstanbul: Damla Yay., 2.basım, 1978.

❖ Bursalı, Mehmet Tahir, *Osmanlı Müellifleri*, hzl. A. Fikri Yavuz, İsmail Özen, Meral Yay., İstanbul: 1972.

❖ Develioğlu, Abdullah, *Büyük İnsanlar: Üç bin Türk ve İslâm Müellifi*, İstanbul: Demir Kitabevi, 1973.

❖ Hulvîzâde, Mahmud Cemâleddin, *Lemezât-ı Hulviyye ez Lemeât-ı Ulviyye*, hzl. Mehmet Sarhan Tayşi, İstanbul: Marmara Üniversitesi İlahiyat Vakfı Yay., 1993.

❖ İdiz, Ferzende, *Ömer Fânî Efendi ve Tasavvufa Dair Üç Eseri* (Doktora Tezi), Erzurum: Atatürk Üniversitesi, 2009.

❖ *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul: TDV, 2001/2004/2007.

❖ Peçevi, İbrahim, *Peçevi Tarihi*, hzl. Bekir Sıtkı Baykal, Ankara: 1. Basım, Kültür ve Turizm Bakanlığı Yay .

❖ Süreya, Mehmed, *Sicill-i Osmanî*, hzl. Nuri Akbayar, İstanbul: Tarih Vakfı Yurt yay., IV/1315 .

- Uzunçarsılı, İsmâil Hakkı, *Osmanlı Devleti'nin İlmiye Teskilâtı*, Ankara: Türk Tarih Kurumu yay., 1965.
- _____, *Osmanlı Tarihi*, TTK. Basımevi, Ankara, 1988


## المواقع الألكترونية


- http://ktp.isam.org.tr
- https://www.qssas.com/story/1798